

هَذِهِ هِيَ الصُّوفِيَّةُ

تأليف

عبد الرحمن اليوكيل



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الرابعة

١٩٨٤م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

هَذِهِ هِيَ الصُّوفِيَّةُ

تأليف

عبد الرحمن اليوكيل

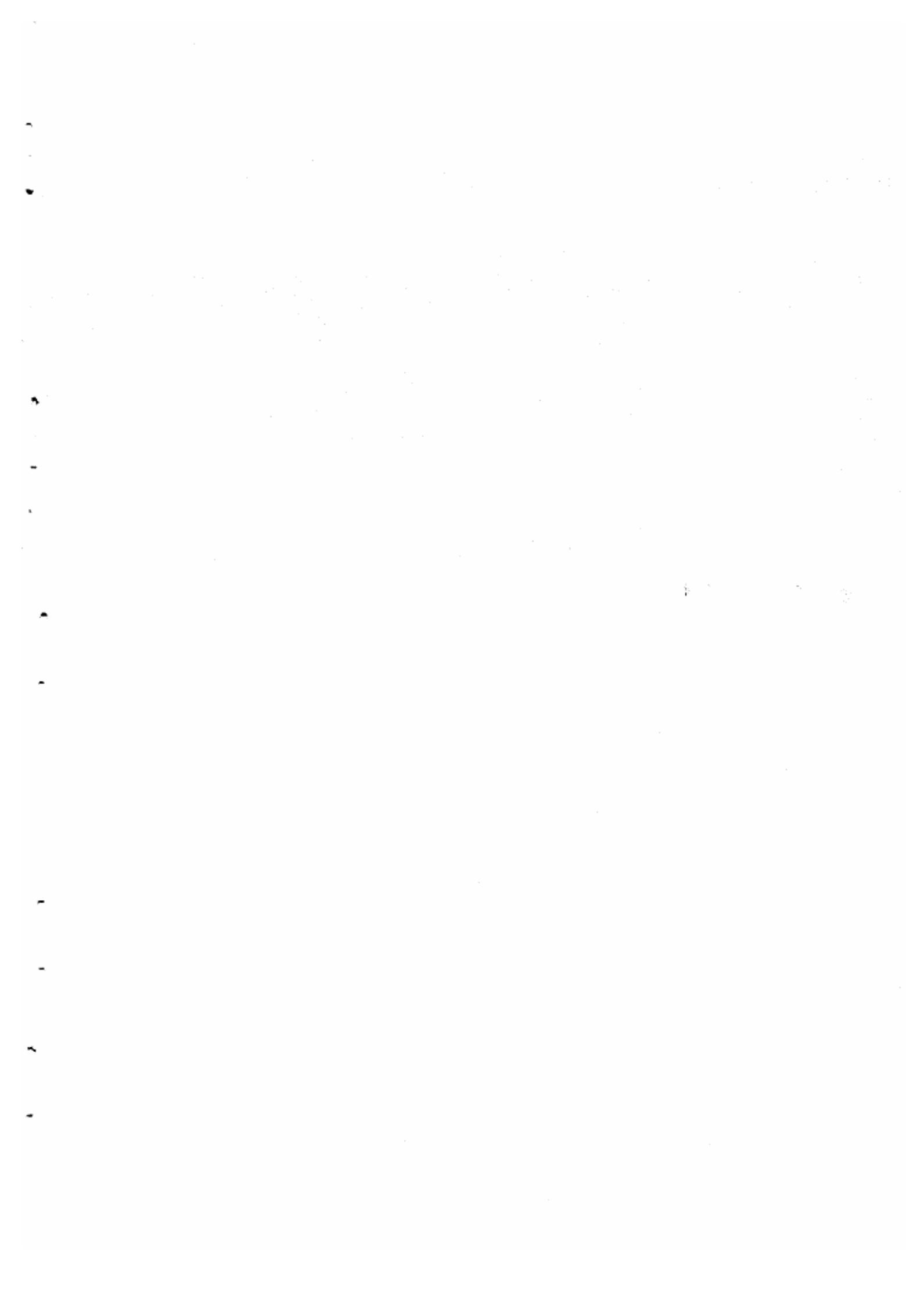


جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

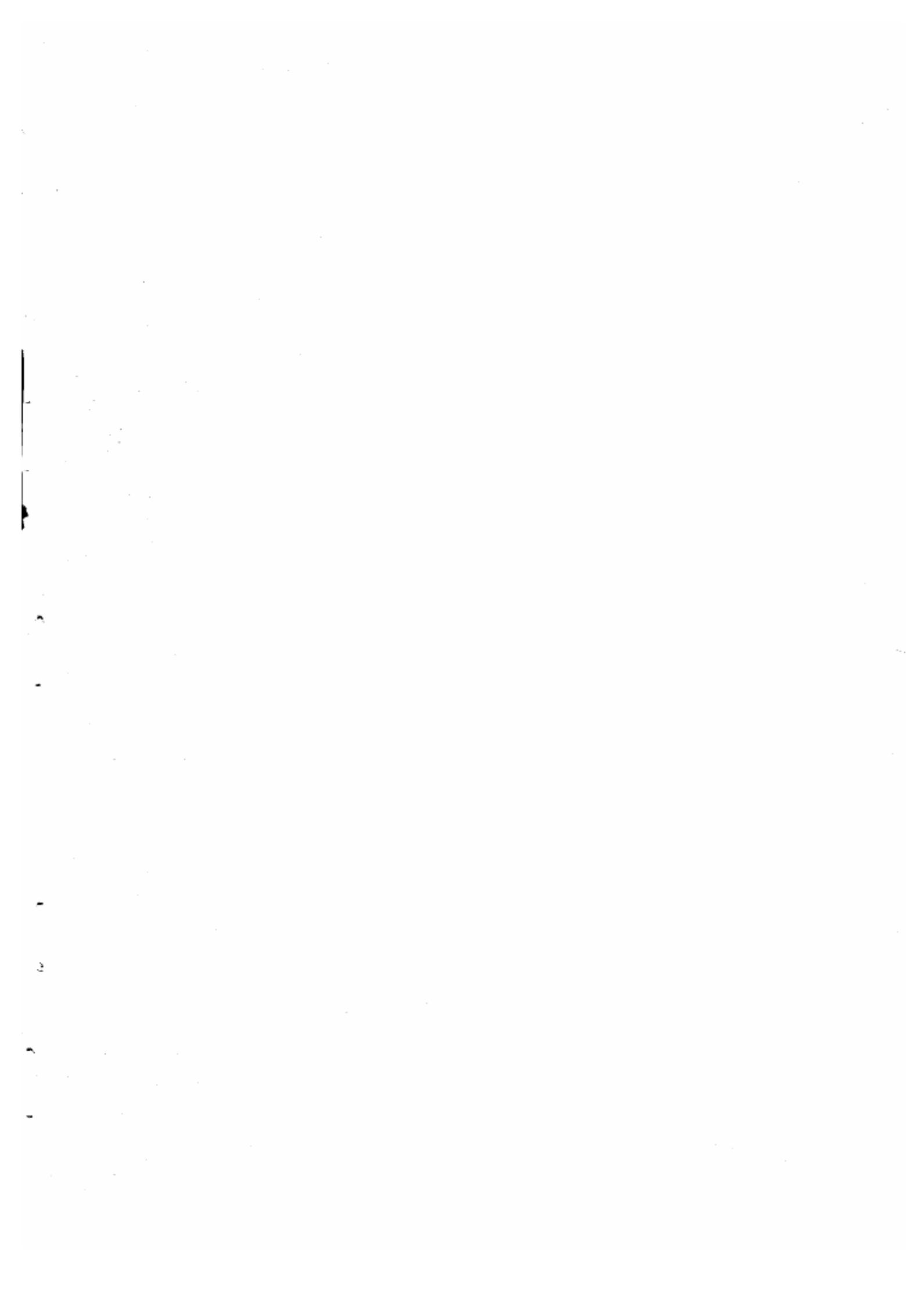
الطبعة الرابعة

١٩٨٤م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



هذه هي الصوفية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد خاتم النبيين وسيد ولد آدم
أجمعين .

« أما بعد » فما زلت أذكر ، وأنا طالب في معهد طنطا الديني ، ذلك الشيخ
الشبية يقسم لنا - وعيناه مُخْضَلَّتَانِ بالدموع ونَبْرَاتُ صوته أصداء عميقة بعيدة
الغُورِ من الشَّجْوِ الوَلْهَانِ ، والحنينِ الهائم ، والحرمانِ الجريح - يقسم لنا أن في
ضريح عبد العال المجاور لضريح البدوي شعرة من رأس الرسول ! ، وأنها معين
خير ، وقيض بركة ويؤمن ، ومطافُ آمالٍ ، ومهوى رجاء !! وأذكر أنني حين
سمعت حديثه ، يؤكد بقسم غليظ ، شعرت بقلبي ، وكأنما يود أن ينشق عنه
الصدر ؛ ليهفوَ في صبابته الملهوفة إلى معبد الشعرة يقبلها ، ويكنُّها في مهجته ، بل
شعرت كأنما حملت الملائكة إلى بشري الخلود !! .

وما زلت أذكر أيضاً أنني سألت الشيخ ؛ ليطمئن قلبي على هذا الأمل الحلو
الساحر الفتنة ، عما جعلهم يوقنون بنسبة هذه الشعرة إلى رأس النبي الأعظم ؟
فأجاب - تولاه الله بما قدّم - : لقد وضعناها في زجاجة ، وأقمنا حولها حلقة ذكر
وإنشاد ، فإذا بالشعرة تذكر مع الذاكرين على دفيق الدفوف ، وحنّات النايات ،
والنغم المطرب المرقص من الأناشيد !! .

وأذكر أنني آمنت بهذه الأسطورة كأنما هي من الله برهان ساطع !! وأذكر
أن الشيخ تداركنا - حتى يُحكِّم القيد - بحجة أخرى ، فزعم أنهم وضعوا الشعرة
تحت الشمس ، فلم يجدوا لها ظلاً !! وكان هذا الوهم الوثني الجديد حجة عندي
تدحض كل ريبة !! .

وأذكر - ويارب غفرانك - أن خرافة الشيخ هذه غمرتني بنشوة سكرى

خَلْتُ فِيهَا أَنْتَى أَرَى الْجَنَّةَ ، أَوْ أَنْتَى مَحَابِي يَتْلُو عَلَيْهِ الرَّسُولَ وَحَىَّ اللَّهُ !! .
فَكَنتُ أَهْنُو إِلَى هَيْكَلِ الشَّعْرَةِ خَاشِعِ الطَّرْفِ ، رَيَّانَ الْقَلْبِ بِالْوَلَاءِ ،
أَصَلَّى لَهَا بِنِجَاوَى الْحُبِّ الْعَابِدِ ، وَأَلِّمْتُ خَشْبَ هَيْكَلِهَا وَحَجَّرَهُ فِي شَفْهِ نَائِرِ
الْأَشْوَاقِ عَزِيدِ التَّلْهِفِ ، وَأَنْهَنِي بِالْأَرْوَاحِ الْعَطْرِيَّةِ - الَّتِي أَخَالَ أَنَّهَا تَنَاسَمِي
مِنْهَا - دَمُوعِي الْمَسْكُوبَةِ لَوْعَةِ عَشْقِي ، وَظَمًا غَرَامًا !! .

وتعال معي أذكرك بأنني كنت أطوف حول صنم البدوي ، حتى إذا مثلت
أمام الكوفة الصغيرة في وثني النحاسي البراق ، أنفذت منها يدي^(١) - في رعشة
التقديس - حتى ألمس ستر القبر ، ثم أخرجها رويداً رويداً في حرص وحذر
بالعين ، وقد ضمت قبضتيهما على . . . ؟ على ماذا ؟ كنت أوقن حينذاك أنني
أضهما على بركات سماوية تفيض من روح الله على القبر^(١) !! ثم أبسط يدي في
جيبِي ، ثم أمسح بها وجهي ، رجاء أن أكون مُيسِّرَ الرزق ، داني قطوف
النجاح ، مشرق الوجه بنور الله !! وتعال - ولا تسأم من ذكرياتي ، فإنها عبرة
ضحية ، وعظة مأساة - أذكرك بذلك الدوي^(١) ترجف منه الأرض ، وترتعد جذر
المعهد حين كانت تُوزَعُ أسئلةُ اختبارِ آخر العام الدراسي . أتدرى ماذا كان
يحدث ؟ .

تهب هذه الآلاف المضطربة من الطلبة رافعة أكفها في ضراعة ناعقة بما
لا يسمع ، ولا يبصر ، حتى ليبح صوتها ، وتتمزق حناجرها إذ تنعق ضارعة :
يا سيد !! ويا ويل السمع من طول « ياء النداء » !! . لقد كانت تطول ، وتطول ،
حتى كُيخِيلُ إليك أنها دخان مارد يحترق ، فيلمس دخانه قبة النجم ، ولعلمهم
كانوا يفعلون ذلك ؛ لتصل أصداؤهم ضراعتهم إلى حيث جثمت على الأرض في
غيابة القبر جيفة من دَعَوِهِ !! .

(١) يزعم الصوفية أن فوق كل ضريح ولي نافذة مفتوحة في السماء ، يفيض الله
منها بركاته على الطائفين حول الضريح !

ولعلك تسألني : وماذا كان يفعل بكم شيوخكم ؟ كانوا يرفعون في سكرة
الحب^١ وذل الخشية أيديهم المروقة ، يمسحون بها وجوههم ، أو يمشطون لحامهم ،
ومن بين الشفاه الذوابل تنساب هذه التهممة : « رضى الله عنك ياسيد !! » ثم
يلتفتون إلينا ، وعلى وجوههم ألق الرضى ناصحين في تأييد وإعجاب : « كفاية
ماخلاص سيمفكم السيد !! » .

وتعال - وناشدتك الله إلا ما أصغيت غير مال ولا كاره - أذكرك بذلك
الشيخ الأكبر الذى كان يشرك الدهماء في يوم « الكذسة » وكان يمزق عمامة
صنم البدوى مزقاً مزقاً ، ثم يهديها إلى مرديه بركة - فى زعمه - من رُوح الله
التي يفرق صيبها ذبالك الوتن !! .

لقد كان للشيخ الأكبر شيخ هو تاجر خيط فى المدينة ، وقد أعطاه العهد ،
وألبسه « خِرقة التصوف » ، وكان التاجر على أمية وجهالة ، بيد أنه كان خبيراً
بزندقة الصوفية ، مؤمناً بها ، يبشها ، ويهوى بالهالكين فى حمتها !! .

ولقد كنا نرى الشيخ الأكبر يخفض من رأسه عبودية للتاجر الصوفى !! ثم
يلثم يديه فى خشية ورهبة وإجلال !! وكنا نهتف إعجاباً بصنيع الشيخ ؟ إذ نراه
دلائل قوية على إيمان عميق ، وتواضع كريم !! .

كذلك كنا نحرص كل الحرص على أن ننشى بمشهد الشيخ ، وهو يطوف
حول ضريح البدوى ، يتلمس نحاسه وستره ، حتى إذا بلغ فنه موضعاً منه ، راح
يشويه بسمير القبل من شفتيه الناريتين !! ونحصر كل الحرص على أن نوقف
من منازلنا سراعاً إلى « مولد » البدوى ؛ لنشهد سرادق الشيخ الأكبر المضروب
على أبدٍ طويل عريض من الأرض احتفاءً بمولد الوتن الأكبر !! ولننطم طعامه ،
ونشرب شرابه ، ثم نخرج من السرادق الفخم الضخم مهرولين صوب النصب
الكبير ، أو مايسميه الدراويش « العمود أو الصارى^(١) » نقترف هذا ، لعلنا

(١) هو عمود طويل من الخشب مفرط فى الارتفاع مثبت فى قاعدة من الأسمت

نصيب بركة من القطب الغوث الذي قيل لنا : إنه لا يحرص على شيء كما يحرص على شهود الليلة الخاتمة « للمولد » هو والأقطاب الآخرون والأوتاد والأبدال والأنجاب !! ولعلنا نبصر واحداً منهم فيما تجسد فيه من صور^(١) .

ثم تعال معي إلى الجامع الأحمدى الكبير ، أو هيكل الطاغوت الأكبر ؛ لترى هذه الحشود التي يمور ، ويموج بها الجامع من نساء ورجال وأطفال ، وفدوا إلى الصنم من كل فج عميق ، وقد أشعلوا مواقدهم ، يطهون الطعام ، أو يصنعون « الشاي ، والقرفة » وأمام كل منهم « شوال » خبزه ، ووعاء « دُقَّتِه » وقد حبا على الأرض الأطفال يبولون ، أو يتبرزون !! .

وهنا ، وهناك حانات ذكر يرقص فيها « الدراويش » وتتلخع « الدرويشات »

* * *

ويزور بي شيخ من أهلى - وأنا صغير - القاهرة ، فيجوب بي الصحراء ، ويجتاز الأودية ، ويسلك المفاوز ، ويتعثر في الجلاميد نشداناً لضريح ابن الفارض سعياً على القدم !! وهناك حيال الوثن الفارضى ، يغنى مرافقى قصيدة ابن الفارض : « نسخت بحبي آية العشق من قبلى » فتذرف عيناه وعيناي الدموع ، ويحترق قلبي وقلبه شجناً على هذا العاشق المحروم ، عصف به الغرام ، وأضناه الحرمان !! . كل هذا كان !! ثم ماذا ؟ ! .

(١) كان قد حدثني تقيب صوفى من قريتي عن القطب وأنه رآه . قال : « كنا بمولد البدوى مرة دون الصارى فسمعت من بعيد فحيح مزمار ، فرأيت شيخى يهرول إلى باب السرادق ، ثم يكسر من قامته ، حتى لتكاد تمس رأسه الأرض ، ويرفع يديه في رعب شديد يحى بهما رجلا أشعث أغبر منتهك السوأة ، ويده عكاز طويل ، يدب به على الأرض ، وقد تقدمه رجل مثله ينفخ في « مزمار » ثم تنهد الرجل وهو يستعيد ذكرياته ، ثم قال : « وهكذا رأيت القطب ، فقد سألت شيخى عن الرجل الأول : أليس هو القطب ؟ وصاحب المزمار حاجبه ؟ ! فأجاب : بلى ، ولكن اكنم السر !! »

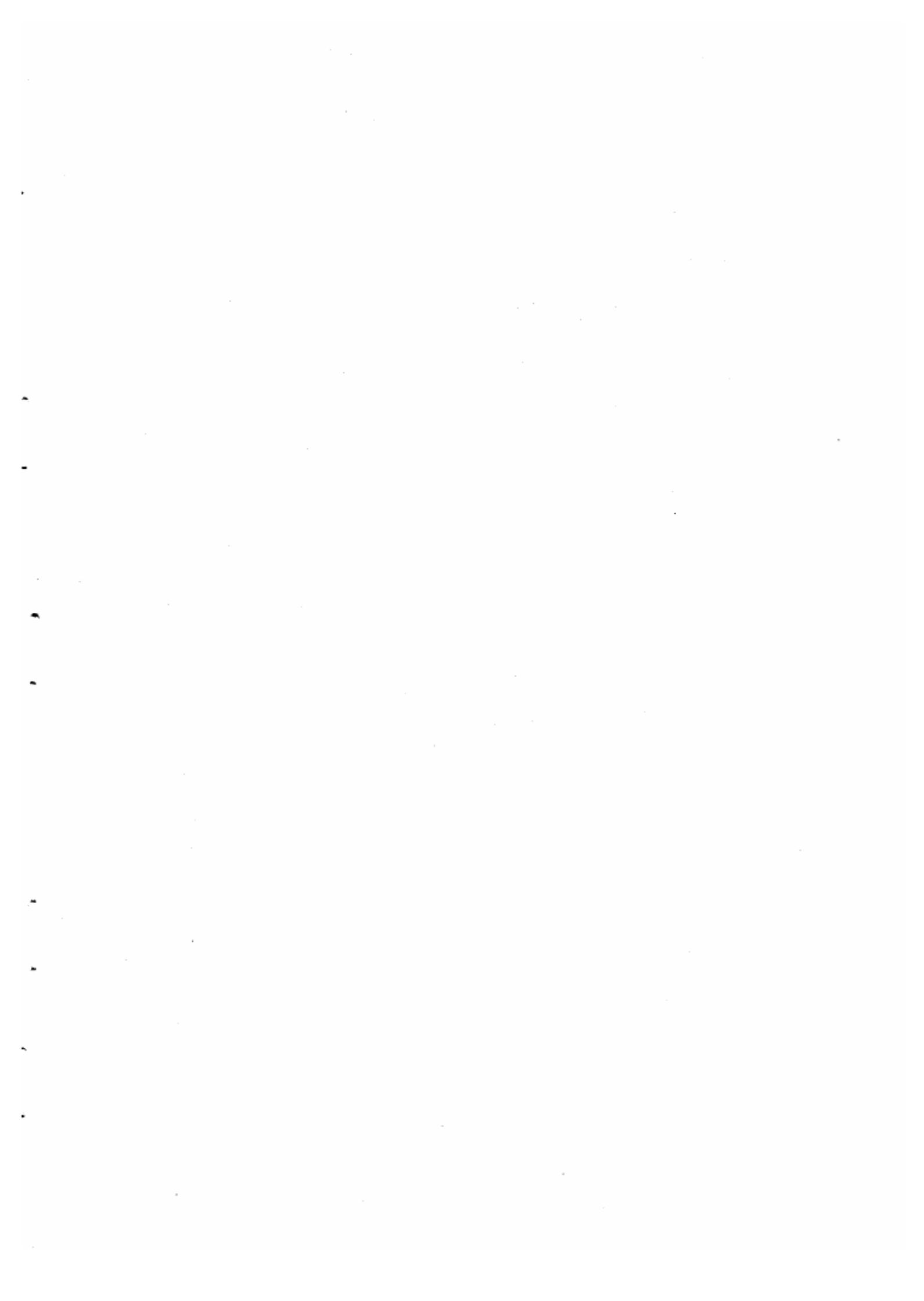
ثم هداني الله سواء سبيله ، وسلكت بي رعايته مسلك التوحيد والإيمان ،
فماذا حدث بعد ؟! تطلعت نفسي إلى الماضي الوثني - وهي نهب حسرة حزينة
للمأساة ، وخميلُ أفرّاح معطّرة - تطلّع الناجي من السعير مازالت في أتونه المتأجج
ضحايا تعسة منكودة جنت عليها الصوفية ماجنت عليّ ، وتطلعت إلى الزيف
الحزين ، يستعبده شيوخُ الطرق ، ويفصبون أبتامه ما يوّصّوصُ فيهم من
رَمَقِ خابي الشعاع ، وأرامله ما هنّ في حاجة ملهوفة إليه لِيَسُدُّنَ خَلَّةً ، أو يسترن
عورة ، ومساكينه حتى الذبالة المحتضرة من حشاشتهم

تطلعت إلى الزيف الوديع تجعل منه الصوفية فساد عقيدة ، وضلالة فكر ،
وذلة ومهانة في الأخلاق ، وَرَدَّغَةَ بدع وجهالة وخرافة وأساطير ، وعبودية خانة
لهوى الأبحار ، وسدانة يعكف فيها السدنة على بغي طواغيتهم ، يبشرون
بمأحة برّه . وأريحية رحمته !! .

وتطلعت إلى المدينة يعبث في أرجائها الصوفية ، فتحيل أهلها - حتى الكثير
من المثقفين منهم - عبيد قبور ، وَعَبَّاد جيف ، وأحلاس منكر وزور ، وموالي
أذلاء لكل طاغية باغية !! .

تطلعت إلى هؤلاء وأولئك ، وذكرت ما كابدته ، فصرخت موجعاً من
هول الفاجعة أحاول إنقاذ الضحايا التعسة . الْمُغِدَّةِ السَّرَى وراء الذئاب الضواري
من الصوفية !! .

وأكتب ما أكتب ، ضارعاً إلى الله وحده أن يمد بالمعونة - فمنه وحده
يُسْتَمَدُّ - وأن يتبين لتلك الضحايا المسكينة أنها تتجرع الغسلين تحسبه رحيقاً ،
وتطعم الوزير تظنه فاكهة الخلد ، وتدين بوثنية - هي شر ما ابتدع الشيطان
لأوليائه من وثنيات ، وتخالها توحيداً مُطَيَّباً بروح الله !! .



هذا الكتاب

هذا الكتاب . لهذا الكتاب الذى نصدرة بهذه المقدمة قصة . فمن أعوام خلت شكوا سماحة شيخ الصوفية إخواناً الى من أنصار السنة ، بدعوى أنهم ينالون من كرامة الصوفية ، فكان أن رجوت وكيل النائب العام أن أقف وحدى موقف المتهم ، فلم يجد المحقق ما يأخذنا به ، وقد قدمنا له الأدلة الدامغة من كتب الصوفية على مادمغناهم به ، وعلى صفحات « مجلة الهدى النبوى » نشرت - بعد التحقيق

معى - خطاباً مفتوحاً إلى سماحة الشيخ ، فيه ما فيه من حق يصعق باطلا ،
وتوحيد يقضى على وثنية ؛ ليعلم الشيخ ومن خلفه ، أنهم مهما كادوا لنا ، أو مكروا
بنا ، فإننا لن نسكت عن أساطيرهم ، ولأحققه ، فيضرب بكل سهم في جعبته ،
فتكون فرصة أهتبلها ، لكشف خفايا الصوفية أمام كل جهة يشكو إليها منى ،
وألح إخواننا أنصار السنة هنا وفي السودان العزيز وغيره في طبع الخطاب .
فطبعت منه آلاف النسخ ، فكان أن صودر في السودان بأمر الحاكم العام السابق
ولما أن نفذت نسخة طبعه إخواننا في سوريا الشقيقة^(١) قد ترجم إلى
الأندونيسية .

وألح إخواننا في طبعه مرة أخرى ، فعدت إلى الكتاب أكتبه من جديد
وأزیده كثيراً من النصوص ، وموضوعات جديدة لم تكن في طبعته الأولى ، حتى
أرعى الكتاب على ضعفى حجمه الأول ، فليس افتتاحاً على التاريخ أن أسميه :
« هذه هي الصوفية » بدلا من اسمه الأول « صوفيات^(٢) » وسيرى القراء كما

(١) طبع هناك تحت إشراف الأخ الكريم الأستاذ « محمد نسيب الرفاعى »
عن جماعة الصراط المستقيم بحلب عام ١٩٥٢ م وقد جاء في مقدمته الرائعة التي
قدم له بها الأخ الكريم ما يأتى : « إن بوادر خاتمة أولياء الشيطان قد لاحت ،
وبشائر انتصار الحق على الباطل قد دقت ، وإن هذه البوادر والبشائر لاحت جميعها
من هذا الكتاب - صوفيات - هذا الكتاب الذى ساوم المبطلون الضالون صاحب
المطبعة التي طبع فيها على إعطائه أجرة الطبع ، وقيمة الورق مقابل تسليم الكتاب
لهم ليحرقوه .. هوناً أيها القوم ، ما يغنيكم إحراق كتاب الصوفيات ؟ أليس مأخوذاً
عن كتبكم ورسائلكم ؟ إن كل تهمة موجهة إليكم فيه إنما هي منقولة بالحرف الواحد
من مجلدات تتحداكم أن تقولوا إنها ليست لسادتكم وكبرائكم » .

(٢) رد عليه كاتب في السودان بكتيب سماه « الجياد الصافيات في الرد على
صوفيات » ورد عليه كاتب في سوريا بكتاب سماه « نفس الصوفيات » فكان ردهما
أبلغ دليل على أن الصوفية وثنية عفنة ، وحجة على أنهم في ضلال مادمغناهم به .

عودتهم ، أننى لم أرم الصوفية بغير ما به تدين ، وأننا لم نعتد بقول أحد فى الصوفية ، وإنما اعتدنا بنقل نصوص كثيرة من كتب الصوفية بينة الدلالة على معتقدهم ، مفارنين بينها وبين بعض آيات القرآن الكريم ، وأحاديث خاتم النبیین صلى الله عليه وسلم ، هذا لكيلا يفترى صوفى أننا نرميهم بغير ما يفترون على الله . كنا نستطيع أن نصنع صنيع بعض نقدة الصوفية قديماً وحديثاً ، فنأتى بفتاوى أئمة المسلمين فى شأن الصوفية ، أو نقل ما نقلوه عن الصوفية من نصوص ، بيِّدَ أنى رأيت أن يكون للعدل والحق والتحقق الرعاية الأولى ، فنقلت دين الصوفية من كتبهم التى يؤمنون بها ذا كرا اسم الكتاب ، وتاريخ ومكان طبعه ، ورقم الصفحة التى عنها نقلت ؛ لأرمى الظن والريب باليقين الواضح ؛ ولأبعد كل شبهة تتوهم أننا نفتات عليهم ، أو نبهتهم ؛ وليكون كل قارىء مفتياً لنفسه بالحق ، وحكماً بين الحق وباطلهم .

وقد يعيب علينا بعض من سحرتهم طقوس الصوفية ، وشاعريتها الكهنوتية العُنفَ فى الحاجة ، لكننا لهؤلاء نقول : رويدكم !! فإنما نسي الأشياء بأسمائها ، ونصفها بصفاتهما ، فلا نقول عن الزقوم : إنه تفاح الجنة ، ولا عن الفسلين : إنه رحيق الفردوس ، ولا عن الشرك : إنه توحيد ، بل لانحِب أن ندهن النفاق فزعم أن شرك الصوفية خطأ ، فحسب ، كما ينافق بعض الشيوخ الذين مرَدُوا على النفاق ، ومرنوا على الخادعة والمداجاة ؛ ليحسبوا مع الكافرين ، ومع المؤمنين !! وعجب مُغْرِبٌ فى العجب ، أن نغضب ، بل نرتجف من الحنقِ إذا دُعِينَا نحن بغير أسمائنا ، ونحقر من ينتسب إلى غير أهله ، ثم لا نغضب من نعت الباطل بأنه حق !! وعجب ذاهل الدهشة أن نرمى بالعمى والجهالة من يسم الليل : بأنه نهار مشمس ، أو من يقول عن المر : إنه حلو ، أو من يقول عن الثلاثة : إنها واحد !! أو من ينسب إلى مذهب رأى مذهب آخر ، أو من يخطيء فى حقيقة تاريخية ،

أو جغرافية ، أو مادة قانونية ، ثم لا ترمى بهما - بالعمى والجهالة - من ينفت
الصوفية بأنها إسلام صحيح ، ومن يقول عن الطائفتين حول القبور ، اللاتذنين
بأحجارها الصم : إنهم مسلمون !! ثم يتمكر ؛ ليحسب مع المسلمين ، فيقول عن
أولئك : ولسكنهم مخطئون !!

عجب أن نكفر من ينسب إلى محمد صلى الله عليه وسلم حديثاً موضوعاً ،
والقائلين بأن الله ثالث ثلاثة ، ثم نحكم بالإيمان الحق لمن ينسبون إلى النبي أنه
الصوفي الأول ، وأنه الموحى بدين الصوفية !! من يقولون : إن الله عين كل شيء
وأنه مليون ملايين !! نحكم بإيمان هؤلاء ، لالشيء سوى أن لهم أسماء تشا كل
أسماء المسلمين !! .

إن الحق والدفاع عنه يمتحان علينا أن نسمى كل شيء باسمه ، ونصفه بصفاته ،
وإلا افترينا عليه ، وجعلنا للباطل السورة والصولة ، وداجينا في الإيمان . أما هذه
النعومة والطرارة والرخاوة الخنثى في الزياد عن الحق ، والجهر بكلمة الحق ،
أما ذلك فشر أنواع الجبانة الذليلة ، والخداع والرياء والمعجز المهين !! قولوا عنا
ما شئتم ، فإن للحق صولة تجتاح كل صولة أخرى ، ولن ينال منها أن ترموا بعض
جنده بالعرف في البيان والحاجة . وعجيب أن ترمى بالعرف ، أو ينتقد علينا هذا في
الدفاع عن أعظم مقدسات الدين والفضيلة ، والله يقول (٩ : ٧٣) يا أيها النبي
جاهد الكفار والمنافقين ، واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم ، وبئس المصير) .

قولوا ما شئتم ، فليس بنافع ما تقولون به في الزياد عن الصوفية أو الإبقاء على
رمقها الشاحب المحتضر !! بل ستبقى رغم ما تقولون به تلك الحقائق الصاعقة
العاصفة المدمرة تدك هياكل الصوفية . ستبقى شاهد عدل وحق ساطع البرهان
على أن الصوفية عدو الإسلام الألد الخصام ، بيد أن هذا العدو يسحرك بغزل

التقيل ، ويسرك بخمرة العناق ، حتى إذا أغمضت عينيك النشوة الحاملة ،
أنفذ إلى صميم قلبك خنجره المسموم .
وما نشترى بما نكتب رضا الناس ، وإنما نبتغي به رضا الله ، فله ما بذلت
من جهد ، وأضرع إليه سبحانه أن يدخره لي جهداً في سبيله ، وألاً يضيعه بذنب
منا نقترفه ، وهو مولانا ونعم النصير .

عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل

القاهرة

١١ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٥

٢٦ من نوفمبر سنة ١٩٥٥

الفِصْلُ الْأَوَّلُ

مقدمة

معدور

شكوتَ إلى النيايةِ يا سماحة الشيخ^(١) ؛ لَتَنَتَّصِفَ لك من إنسان يدعوك إلى الحق ، وإلى الإيمان به .

ولا تَثْرِبَ عليك !! فَهَتَكَ القناعُ السَّخْرِيَّ عن الصوفية حرمانُ لِكَهْنَتِهَا من السُّحْتِ يُجْبِي بِاسْمِ الْأوثان . ولم لا ؟ ! .

وسيراها الناسَ تَمَّتْ أمشاجاً من اليهودية الباغية ، والمجوسية الماجنة ، والوثنية المستغرقة في الجحود !! سيرون الصوفية الغزَلِيَّةَ الفتون حَمَاءَ من الشرك الخائل تَمِضُ على شفثيه بسماة الغانية المُتَبَرِّجَةِ ؛ لتفتك ، وتقتل !! .

أرأيتَ إلى من شكوته ، كيف يَفْتَرِي لك العذر ، ويتسم إشفاقاً عليك من ثورتك العارمة عليه ؟ ! وما تَنَقِّمُ من هذا المسلم سوى أنه يبصرك بجناية هذه الجماعة التي قال الله فيها (٣٦ : ٦٠ ألم أعهد إليكم يا بنى آدمَ أن لا تعبدوا الشيطان ، إنه لكم عدو مبين ؟ !) يُبَصِّرُكُ بجنابيتها الظلمة على الدين الحق وقيمه الروحية . على الفكر الملهَم ، والأخلاق التي تَسْتَوْحِي السماءَ والنورَ والسموَّ والهداية . على المُثُلِ العليا للجماعة الإسلامية .

أملنا في الشيخ

ولقد كنا نأمل - والشيخ من كبار علماء الأزهر - أن يقود هذه الجماعة الضالَّةَ الخَيْرِيَّ إلى هَدْيِ الله ، وأن يحول بينهم ، وبين تَدْمِيرِ ما للجماعة الإسلامية من مَقَوِّمات ، وما لدينها من قِيَمٍ ، وما زال الأمل يُغْرِينِي طيفه الشاعرُ أنك يا سماحة

(١) المقصود سماحة شيخ الطرق الصوفية فاليله يوجه الخطاب .

الشيخ متفعل ذلك للمالك في ماضيك من سوابق خير ، وأوقن أنك لو فعلت ،
لكنت ليث بطولة فادية ، تهتف بها الأحقاب في إعجاب ، وترتل الثناء عليها
مزاميرُ القرون !! .

ضحية

هذا رجاء شاب مسلم أغوى صباه الفريرَ سحرُ الصوفية ، فَجَرَّعته زُعافها
يحسبه خمر الجنة تدهق كثوسها الملائكة ، وغسلينها يخاله رحيقاً تُزويه به
الخورُ النواعم ، ثم أشرقت على روحه المظلم أشعة الهدى من كتاب الله ، فنظر ،
فماذا رأى ؟ .

رأى ماضيه الصوفيَّ شيطان كفرٍ ماردٍ يفتال إيمانه ، وشركٍ يعصف بالرَّمقِ
الشاحب من توحيدِه ، فياحَرَ قلباه !! كان الفتى اليتيم الروح يأمل أن يمشى
على الماء ، وأن يُحَلِّقَ بجناحيه فوق قبة النجوم ، وأن يتخذ بالروح الإلهيِّ الأعظم ،
وأن يهتك - كالشهاب الثاقب - حُجُبَ «السُّوِيَّةِ وَالْفَيْرِيَّةِ»^(١) ؛ ليشهد حقيقة
الوحدة الكُبرى ، وحدة الوجود ، ويسعدَ بها ، وقد تحققت في ذاته !! كان
يأمل ذلك كله ، فبكل هذه الأساطير الجوسية وعدته الصوفية . ولكن !!
وآه مما بعدها من أدمع وجراح !! .

أملت أن أمشى على الماء ، فكانت الحَمَمُ المدمماتُ من سقر !! .
أملت أن أحلق بجناحيَّ فوق الأفق ، فإذا هي مأساة الشرك التي قصَّها الله
في كتابه (٣٢ : ٣١) ومن يُشْرِكْ بالله ، فكأنما خرَّ من السماء ، فتخطفه الطيرُ ،
أو تهوى به الريح في مكانٍ سحيق) .

فَمِنْ ذُرْوَةِ الْقَمَةِ الْحَالِمَةِ انجلىال هويت - يَدُكُنِي الصخر الأَصْمُ النَّاقِي -
إلى غُورٍ سحيقٍ سحيق !! .

(١) اصطلاحان صوفيان مأخوذان من كلمتي «سوى وغير» والصوفي الحق في
دين الصوفية من يوقن أنه لا «سوى ولا غير» أي يرى الكلَّ عيناً واحدة !!

وهنالك على الصخور الحدياء بقيت منى أشلاء متناثرة ، تروى لك عبرتى
الحزينة المفجوعة !! .

وهنا فى القلب الدامى جراحُ نازفةٌ تنوح بين يديك بمأساتى الدامية !! .
أملت الاتحاد بالروح الإلهى ، فلم أجد غير الشيطان ينفث فى دمي فتونه ،
ويتلظى فى غرائزى غيًّا يتعشق كل ساجية !! .
أملت شهود الوحدة الكبرى !! .

وآه من هذه الأسطورة الناعسة الفتنة ، المكحولة الآثام !! .
فقد وعدتني الصوفية أن هذه الأسطورة ستجعل منى إلهًا تآثر الرغبات ،
عاصف الشهوات ، يجمعُ به هواه إلى امتهان ألوهيته فى سبيل مثل هذه الرغابِ
التي تشهها الحرمان من شاعر ظامى الجسد .

آه يا يوم التلاقى ليتنى كنت إلهًا
لأبحتُ الناسَ لنا من خلوداً وشفافاً

وعدتني بالربوبية تتجلى في بصورة بشرية ، فأصرف الوجود بقدرى القاهر ،
وقضائى الذى لا مردَّ له ، وأسخر السماء والأرض ، والعواصف والجن ، والملائك
والحور ، أسخرهم لصبواتِ شبابى ، ونزواتِ هواى !! .

ألم يُبيح كاهن الصوفية التلمسانى فى دينه الأم والأخت ، ويرمى من يجرمها
على الابن والأخ بأنه محبوب ؟^(١)

ألم يؤكد طاغوت الصوفية الأكبر «ابن عربى»^(٢) أن الربَّ الأعظم غانيةٌ
هلوكٌ تحترق الشفاهُ على ثغرها قبلا دنسة ملتهبة !! وأن هذا الربَّ لا يبلغ كمال
تجليه الأعظم إلا حين يتجسد فى صورة أنثى تجتاح أنوثتها خطيئة كل عزبيد
فى غيابة الليل !! قد يتجلى هذا الربُّ فى صورة ملكٍ أو رجلٍ ، بيد أن تجليته

(١) ص ١٧٧ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية .

(٢) هو محمد بن على بن محمد الحاتمي الطائى الأندلسى مات سنة ٦٣٨ هـ .

في صورة ماجنة تُعَوِّل بالشهوة ، وتصرخ بالرغبة ، وتَتَقَتَّل بالمفانن ، وتغازل بالإثم - تجليه في تلك الصورة أحلى وأجمل ، وأتم وأكمل !!! .

إذ يتجلى في الرجل بصورة فاعل ، أما في المرأة فيتجلى في صورة فاعل ، وصورة منفعل ، وصورة فاعل منفعل معاً في تجلّي واحد^(١) !!! .

تثليث آخر !!! غير أن وراءه شهوة متمردة تنزُّو به !!! عُدْرَاك إن جَمَحَتْ بي رغبتى في الذيد عن الحق إلى ذكر خطايا صوفية ، يَدْمى منها حتى الخزى ، وتثير الحياء في صفاقة وجه البغى !!! . عُدْرَاك فإمّا نجاهد لتدمير الطاغوت الأكبر ، وشيخ الصوفية يشكو منا إلى النيابة ، لأننا نكشف لهم ما افتراه الشيطان من أديان وثنية ، فتن بها الآبقين من الخلق ، وسَمَّاهم صوفية !!! .

فمضى الكهان يبشرون بها على أنها توحيد يشع منه وحده الحق ، وإيمان سماوى الروح ، عُدْرِيُّ الحب ، فكان خطرها الناجم الدائم ، هو القاصمة ، بل كانت أشد خطراً على المسلمين من المجوسية ، فهذه مُسْتَعْلِنَةُ البغى لها من قلنسوتها آية . أما الصوفية ، فبَسَمَاتُ حلوة خُلُوب ، ونجاوى ناعمة شَفَّ رِقَّتْهَا عشق محروم ، ونغمات عِدَابٍ آسرة ، وعمائم منتفضة كالبطون المُتَخِمة من الحرام ، ولحى بيض مُرْسَلَةٌ على قلوب سود ، يعيث فيها مشط مُوسِس ، ومسبحات بألوان الطيف مسحورة الهَيْئَةِ ، لاتمل من الترتيل ، مَوْشَاةُ الذوائب ، مُنَعَمَةٌ الأنامل ، تصطفق حَبَّاتِهَا في رعونة نائرة !!! .

واجب الشيخ

كان واجب الشيخ - وقد ذكرته بهدى الله - دعوة أتباعه إلى الإسلام ، يؤمنون بالكتاب والسنة ، ويكفرون بالصوفية ، وراثتها الوثني ، فإن لم يرض أتباعه بالله وحده ربا ، وبكتابه - فَحَسَب - إماما ، وبرسوله الحق وحده أسوة

(٣) سيأتيك نصه بلفظه .

وقدوة ، كان حقاً على الشيخ أن يفر إلى الله مُجْتَبِئاً مؤمناً ، وأن يترك - رَضِيَّ النفس - هذا المنصب وأصنامه ، ترجمهما لعنة الله !! .

لماذا أكتب للشيخ؟

في خيالي الكليل شفقٌ خابٍ من حسن الظن بالشيخ ، وأطياف شاحبة الصور تُخَيِّلُ إليَّ أن الشيخ على جهالة بدين الصوفية . وبما تطفح به كتبها من وثنية ، ومن أعماق نفسى الخانية ينبعث دعاء نائر الإلحاح في برِّ وإشفاق ، يدعوني إلى أن أنشر بين يدي الشيخ ، وصوب فكره وعينه كتاب الصوفية ليرى فيه صور أربابها - وتعالى جدُّ ربنا الحق - ، ورسولها - وبرأ الله خاتم النبيين من بهتانها - ، وأوليائها - وحاشا أولياء الرحمن أن تمسهم صوفية - ، فلعل الشيخ حين يرى هذه الصور التي تفجع النفس والضمير والخلق الكريم والفكر البصير ، يهب بها على الجاهلية الصوفية ثورة حقٍ قوى لطمه باطلٌ ، وعزم مشبوبٍ أحقنه ظلمٌ خاتل . وهناك يروى التاريخ عنه للأباد الواعية قصة البطولة القادية ، وتزخر القلوب المؤمنة بمشاعر الإعجاب به آية حب عميق ، ودليل أخوة في الله . أتراك تفعل يا سماحة الشيخ ؟ !

وإلا فسَنظَل - بعون الله - نُلَهَبُ بسياط الحق ظهورَ الآبقين ، ونَدْكُ بمعاوله - غير هيَّابَةٍ ولا واهنة - معابد الأصنام ، حتى تخر على سدتها وعبيدها ، ولن يحول بيننا - بتوفيق الله - وبين التذكير بماهدى الله إليه ، وفرض علينا الجِلَادَ المُسْتَلِمِ دونه ، عواصفٍ شرِّ تثيرها علينا أحقاد الصوفية المُسْتَعْرِة ، فما لقلب المؤمن أن يرهَبَ في الحق إلا من فطره ، ولا أن يرغب إلا في رضا (٩ : ١٢٩ فإن تَوَلَّوْا ، فقل حَسْبِيَ اللهُ ، لا إله إلا هو . عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم) .

دين الصوفية

للصوفية مدد من كل نحلة ودين إلا دين الإسلام ، اللهم إلا حين نظن أن للباطل اللثيم مدداً من الحق الكريم ، وأن للكفر الدنس روحاً من الإيمان الطهور . والصوفية نفسها تبرأ إلا من دين طواغيتها مؤمنة بأنه هو الحق الخالص . يقول التلمساني - وهو من كُفَّان الصوفية - « القرآن كله شركٌ ، وإنما التوحيد في كلامنا ^(١) » وابن عربي يزعم أن رسول الله أعطاه كتاب فصوص الحكم - وهو دين زندقته - وقال له : « اخرج به إلى الناس ينتفعون به - ويقول : ففقت الأمنية كما حدَّه لي رسول الله بلا زيادة ولا نقصان » ثم يقول :
فمن الله ، فاسمعوا وإلى الله فارجعوا ^(٢)

على حين يذكر الحق وتاريخه الصادق أن الصوفية تنتسب إلى كل نحلة مارقة ، وتنتهب منها أخبث ما تدين به ، ثم تفتريه لنفسها ، مؤمنة به ، وتحمل على الإيمان به كل فراشة تطيف بجحيمه ، وإلا فهل من الإسلام أسطورة وحدة الوجود ، وخرافة وحدة الأديان ؟ ! فتلك تزعم أن الله سبحانه عين خلقه ، عينهم في الذات والصفات والأسماء والأفعال ، تزعم أن واهب الحياة ، وخالق الوجود عين الصخر الأصم ، والرمة العفنة ! ! ووحدة الأديان تزعم أن كفر الكافر ، وخطيئة الفاجر عين إيمان المؤمن ، وصالحة الناسك ، تزعم أن دين الخليل هو دين أبيه آزر ، وأن إيمان موسى عين كفر فرعون ، وأن وثنية أبي جهل عين توحيد محمد ، فكُلُّ رب الدين ورسوله ! ! كل تعيّن للذات الإلهية ، غير أنها سميت في تعيّن بمحمد ، وفي آخر بأبي جهل ، وهي هي في مظهرها ، أو اسمها ! ! تزعم أن دين إبليس وإيمانه عين دين أمين الوحي ، وروح إيمانه ، بل زادت

(١) ص ١٤٥ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية .

(٢) ص ٤٠٥ فصوص الحكم بشرح بالي ط ١٣٠٩ هـ

الخطيئة فجوراً ، فزعمت أن إبليس أعظم معرفة بآداب الحضرة الإلهية من أمين الوحي ، وأسمى مقاماً !! .

أفمن دين الإسلام هذه الخطايا الكافرة؟! .

افتراء على دين الله

ولكن ما بالي أسرف في الحجاج ؛ لأثبت ما ليس في حاجة إلى دليل يثبته ، بل ما الصوفية - نفسها - تقر مؤمنة به؟! .

سلوها لم اتبذت من المسلمين مكاناً قصياً تسمى فيه المدنسين برجسها صوفيين ، لاسلمين ، والاسمان متقابلان تقابل الظلام الجائر ، والضوء الباهر ؟ سلوها لم تمت ماسمى به الله من يعبدونه على بصيرة ، وتجنح إلى اسم ماله من دلالة إلا على كفر أو مذلة ؟ سلوها من هم كهان دينها ، وأحبار طقوسها ؟ سلوها لم تؤرث أحقاد طواغيتها على الكتاب والسنة ؟ سلوها لم تفتن الأغرار عن دين الحق ، فزعم لهم أن الإسلام شريعة وحقيقة ، تعنى بالشريعة ما أوحاه الله إلى رسوله ، وبالأخرى وساوس الأبالسة النافثين لبدع الصوفية . سلوها ، وسلوها ؟ ولكن لا تكفوا أنفسكم ، فهذا ابن عجيبة الفاطمي الهوى ، الصوفي الدين يلهمكم جواب ماعنه تسألون ، فإليكم ما افتراه : « وأما واضع هذا العلم « يعني التصوف » فهو النبي صلى الله عليه وسلم علمه الله بالوحي والإلهام ، فنزل جبريل أولاً بالشريعة فلما تقررت ، نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض ، وأول من تكلم فيه ، وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه ، وأخذته عنه الحسن البصرى^(١) » وإنها لفريضة جائرة الإفك على رسول الله ، وبهت له بجريرة ملعونة ، جريرة كتمان العلم ، وأي علم ؟ إنه علم الحقيقة في دين الصوفية !! أفيحكم الرسول الحق وعلمه ودلائله ،

(١) ص ٥ إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ج ١ ط ١٩١٣ م . وفي قوله ذلك دليل الصلة الوثيقة بين الصوفية وبين الشيعة التي تؤله أئمتها .

وقد توعد كاتم العلم بعقاب شديد من الله « من كتم علماً يعلمه الله إياه ، أَلِجْمُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ ^(١) » ثم وراء هذا البهتان اتهم صريح لأبي بكر وعمر وعثمان ، ومعهم خيار الصحابة من السابقين ، بأنهم كانوا أنصاءً ضلالةً وجهالةً بما يعرج بالروح إلى محبة الله ، ورائه محاولة حقودٌ مصممة على تجريد الجماعة الإسلامية من خيار سلفها وخيار خلفها من صفة الإيمان الحق . وحسب الصوفية أن تبوء هي وحدها بما تبهت به الصديقين والشهداء .

وسيلة المعرفة عند الصوفية

ويدين الصوفية بهتان آخر يدمغها بالمروق عن الإسلام ، ذلك هو اعتقادها أن الذوق الفردي ^(٢) - لا الشرع ، ولا العقل - هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها . معرفة الله وصفاته ، وما يجب له ^(٣) ، فهو - أي الذوق - الذي يقوم حقائق الأشياء ، ويحكم عليها بالخيرية أو الشرية ، بالحسن أو القبح ، بأنها حق أو باطل ، فلا جرم أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة ، ولا عجب أن ترى النحلة منها تعبد وثناً بغير ما تعبد به أخرى ، أو تمنع لصنم يكفر به سواها من النحل الصوفية ، لا عجب من ذلك كله . ما دامت تجعل « الذوق » الفردي حاكماً وقياً على المسميات وأسمائها ، فيضع للشيء معناه مرة ، ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى . هذه الحدة في توتر التناقض صبغة الصوفية دائماً في منطقتها الخجول ، ولقد ضربت الصوفيين أهواء أحبارهم بالخيرة والفرقة ، فخالوا طرائق قدا ، تؤلّه كل طريقة منها ما ارتضاه كاهنُها صنم له ، وتعبد به بما يفتره هواه من خرافات!!

(١) أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم وصححه من طريق أبي هريرة وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٢) يعني به الذوق الخاص بكل إنسان .

(٣) لم نقل : وما يستحيل عليه . لأن الصوفية تؤمن بأنه سبحانه يجب له كل شيء ، لأنه عين كل شيء ، فلا يستحيل عليه نقص ولا عجز .

على حين يجمعهم على الوحدة هوى واحدٌ ، وغايةٌ واحدة ، هي القضاء على الإسلام والجماعة الإسلامية .

وما إخالك ياسماحة الشيخ تمتري فيما ذكرته لك ، فأنت به خير ، وإلاً فقيم هذه الشَّيْعُ المتطاحنة^(١) ، وفيم هذه المشيخات المتنازدة ، كلما دخلت واحدة منها عليك لعنت أختها ، بل فيم هذه الحرب التي يثيرونها عليك في مكر دنىء ورياء ما كر ؛ إذ جلست على عرشهم دون أن تكون لك قدم ثابتة في التصوف ، ودون أن تُنصَّبَ شيخ طريقة من قبل !!؟ قلها صريحة الجرأة ياسماحة الشيخ ، يهب الله لك هداه ، ومقام الصَّديقين ، وإنه للخَيْرُ الذي تنشده نفس كل مؤمن

الفصل الثاني

آلهة الصوفية

يفتري الصوفية - فالهم من سجية غير ذلك - أنهم الذين يعرفون الله معرفة لا يمس يقينها ريب ، ولا يشوب جلال الحق فيها شبهة ، ويصمّون المسلمين بعمى البصيرة^(٢) ، وعمه العقل ، وخطل الفكر ، وجمود العاطفة ، وفساد الذوق ، وخمود جذوة الحياة في الشعور ، والإغراق العميق السحيق في المادية الصماء ، والجمود الأحق على عبادة التاريخ ، وما زالت تلك دعواهم . فما الرب الذي يعبدونه وإذا شئت إحكام الدقة ، فسلهم : ما الرب الذي اختلقوه ، ثم عبده ؟

ناشدتك الله - إن مسك فيما أقول وهم ريبية ، أو فتتك منهم عن الحق

(١) يقول رويم البغدادي : « لا يزال الصوفية بخير ماتنافروا ، فإن اصطلحوا ، هلكوا » ص ١٨١ طبقات الصوفية للسلي ، فليتنافر المسلمون ، وليتطاحنوا ، فهذا دين الصوفية .

(٢) يقول نيكلسون « والصوفية لا يفتشون يعلنون أنهم أمة الله المختارة » ص ١١٧ الصوفية في الإسلام ترجمة نور الدين شريعة .

غزل ابتسامة ، أو ترنيمة عاشقة بتسيحة أو دعاء ، ناشدتك الله إلا ما قرأت شيئاً من كتبهم ، لتعرف رب الصوفية الأعظم . اقرأ من الفتوحات ، أو الفصوص ، أو ترجان الأشواق ، أو عنقاء مغرب ، أو مواقع النجوم ، وكلها لابن عربي . اقرأ من الإنسان الكامل للجبلى ، اقرأ من تائية ابن الفارض وشرحها للنابلسي أو القاشاني ، اقرأ من الطبقات والجواهر والكبريت الأحمر للشعراني ، اقرأ من الإبريز للديباغ ، اقرأ من كتاب الجواهر ، والرماح وهما للتيجانية ، وروض القلوب المستطاب لحسن رضوان ، بل اقرأ حتى مجموع الأوراد الذي يتعبدون به الآن ودلائل الخيرات ، « وأحزاب » الكهنة منهم في العشايا والأسحار .

إن الصوفية تمتع ابن عربي بأنه « الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر » وتخر له ساجدة ، والجبلى بأنه « العارف الرباني والمعدن الصمداني » وابن الفارض بأنه « سلطان العاشقين » والشعراني بأنه « الهيكل الصمداني والقطب الرباني » فما أدعوك إذن إلى تلاوة كتب تنعم منها الصوفية دلائل الحق ، وإشراق الهدى ، بل إلى كتب تقدسها الصوفية على اختلاف نوازعهم ، وتباين أهوائهم ، ويجلونها - ولا أعدو الصدق إذا قلت يعبدونها - ويرونها الأفق الأسمى لنور التوحيد ، والمنبع السلسال لفيوض الربانية !! فإن قرأت شيئاً من تلك الكتب ، فتدبر بعده آية واحدة من كتاب الله ، واقذف بنور الحق الإلهي على دياجير الباطل الصوفي ، وتمت يروعك ، ويستفز الغضاب الثوائر من لعناتك أن تجد الصوفية تدين ربَّ يَتَجَسَّدُ في أحقر الصور ، وَتَتَعَيَّنُ « هُوَيْتُهُ وَإِنِّيَّتُهُ ^(١) » في أنتن الجيف ، وتمثل حقيقته الوجودية صوراً أوهام في الذهن الكليل ، وظنون حيرى في الفكر الضليل ، وتهاويل أسطورية في الخيال . ألم تؤله الصوفية في دين كاهنها

(١) الهوية عندهم هي الحقيقة الباطنة للذات الإلهية ، والإنية هي حقيقتها الظاهرة في مجالها المتنوعة .

التلساني رِمة كلب تقزز من صديدها الدود^(١) ؟ !

ومعذرة بإسماحة الشيخ ، فوالذي هدى المسلمين إلى دينه الحق ، وأوجب الجهاد
دونه ، ماقلت إلا الحق للحق ، وما رميت إلا بالحق ، وإن شئت فمرحبا بموعد
نلتقى فيه للمحاجة ، فاختر ماشئت من أمكنة ، وإن يكن قبة البدوى !!

وهاك من النصوص مايكشف لك في جلاء عن معتقدات الصوفية ، وسأختار
من النصوص مالا يكثر به التأويل ، من كتب تتخذها الصوفية شرعة لها ومنهاجا
في الدين ، وتجعل أوثان من افتروها مطافات تستروح عندها - كما تزعم - نسائم
الجنة ، وعبير الخلود ، ورؤح الله ، وتضرع إلى جلاميدها الصم أن تهب للروح
السكينة ، وللقلب اليقين المطمئن ، وأن تمد الوجود بالحياة الفياضة بالخير واليمن
والبركة ، وأن تكشف لعبادها حقيقة الربوبية والإلهية ليعرجوا إلى الاتحاد بها ،
ترجو ماينخر في عظامها من سوس ، وينهش لحومها من دود ، أن يُصَرَّف
كهمان الصوفية في أقدار الله ، وأن يجعل لهم السلطان على قضائه ، وأن يُخلَق بهم
فوق الذرى السامقات من أقداس الربانية !!

إله ابن الفارض^(٢)

يؤمن هذا الصوفي ببدعة الاتحاد ، أو الوحدة سمها بما شئت . بصيرورة العبد

(١) مر التلساني على كلب أجرب ميت في الطريق ، فقال له رفيق له - وكان
التلساني يحدثه عن وحدة الوجود - : أهذا أيضاً هو ذات الله ؟ مشيراً إلى جثة
الكلب . فقال التلساني : نعم . الجميع ذاته ، فإمن شيء خارج عنها ، انظر ص ١٤٥
مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية .

(٢) هو عمر بن أبي الحسين علي بن المرشد بن علي شرف الدين الحموي الأصل
المصرى المولد توفي سنة ٦٣٢ هـ ، ولم يتحدث عن سبقه من الصوفية كالحلاج أو
البسطامى مثلاً ، لأننى اخترت أن أتقل عن يجمع الصوفية جميعاً سلفاً وخلفاً على
تقديسهم ، أما الحلاج وغيره فيطعن فيه رياء ونفاقاً بعض الصوفية فتركته ، حتى
لا يكون لهم رياء معذرة .

ربا ، والمخلوق خلّاقا ، والعدم الذاتى الصّرف وجوداً واجبا ، وإذا شدّت الحق فى صريح من القول ، فقل : هو مؤمن ببدعة الوحدة ، تلك الأسطورة التى يؤمن كهنّتها بأن الرب الصوفى تَعَيَّن بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله فى صور مادية ، أو ذهنية ، فكان حيوانا وجمادا وإنسآ وجنآ وأصنامآ وأوثانآ . وكان وهما وظنا وخيالا ، وكانت صفاته وأسماءه وأفعاله ، عين ما لتلك الأشياء من صفات وأسماء وأفعال ؛ لأنها هى هو فى ماهيته ووجوده المُطلق أو المقيد ، وكل ما يقترفه البُغاة من خطايا ، وما تنهش الضاريات من لحوم ، أو تعرق من عظام ، فهو فعل الرب الصوفى ، وخطيئته وجرمه !!

وإخالك الآن تود لو تُسَوِّى بى الأرضُ ، أو تدهمنى - على غِرَّةِ صاعقة ؛ إذ يجرى على لسان الحق ذكرُ ابن الفارض منعوتا بالزندقة وتعجب أن يكون سلطان العشق الصوفى زنديقا !!

وما على - برحمة الله - مما تود ، ولن يمنعنى عجبك فى ذهوله من أن أحكم على ابن الفارض بما ارتضاه هو دينآ له وتدبّر ما سأنقل لك عنه من تائيبته ، فلعل يزول عجبك ، وينفث غضبك .

جَلَّتْ فى تجلّيتها الوجودَ لناظرى فى كلِّ مرئىٍّ أراها برؤية يزعم أن الذات الإلهية هتكت عنه حُجَبَ الغيرية ، وجَلَّتْ له الحقُّ المُغَيَّب ، فرأى حقيقة الله مُتَعَيِّنَةً بذاتها فى كل مظاهر الوجود ، رأى هذا الكون المادى بكل ما يدب عليه ، أو يفتال الحياة والأعراض فى غياهب ليله السّاجى ، ومغاوره المظلمة ، رآه هو عينَ الله وما هيئته ، ورأى وجوده عين وجوده ، فأتى من شىء عند ابن الفارض إلا وهو الله ، بل مالرب - رب ابن الفارض - وجود سوى وجود تلك الصور المادية ، أو الذهنية المنطبعة عن شىء متحقق ، أو مُتَوَمِّم ، أو متخيّل . أما وقد نَعَقَ بهذا البهتان ، فَلَيَقْتَرِ لِنَفْسِهِ ما يترتب على الإيمان به ؛ لهذا راح يزعم أنه بذاته اتحد بذات ربه ، فكانت الثنائية فى الاسم ،

وكانت الوحدة في الحقيقة والوجود ، وأنه في جلوة تلك الوحدة يشهد في ذاته وصفاته وأفعاله ذات الله وصفاته وأفعاله ، وعن هذا يعبر .

وأشهدت غيبي ، إذ بدت ، فوجدتني هناك إياها بجلوة خلوتي
شهد «هوية» الوجود الإلهي ، أو باطنه ، و «إنيّة» وجوده هو ، أو ظاهره ،
فلم يجد للرب وجوداً سوى وجوده ولا لذاته كياناً متقوماً غير كيانه ، فهتف في
جدل البشري : أنا الله !!

بيد أنه خشي أن يتوهم أحد أن هذا الشهود وهم طاريء ، أو حال عارض
أو صورة من حلم أسبل لها فكره وعينه ، خشي هذا ، فقال :

ففي الصحو بعد المَحْوِ لم أكُ غيرها وذاتي بذاتي ، إذ تحلّت ، تجلّت
والصحو في دين الصوفية هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد سكرته
بوارِدِ قوى ، وفيه يشهد العارف المغايرة بين الذات الإلهية ومظاهرها أو صفاتها ،
يشهد أن الكون ليس هو الذات الإلهية ، وإنما هو تجليات أسمائها وصفاتها ،
ومجال لأفعالها . أما المحو في دينها فهو أمحاء الكثرة والغيرية ، والخلقية المتنوعة
المتعددة . وفناء السوية ، وتجلي الوحدة المطلقة ، فيرى الصوفي الخلق عين الحق ،
والمربوب عين الرب .

فتمت إذن فرق عند الصوفية بين الصحو والمحو ، ولكن ابن الفارض أبي
أن يؤمن بهذا الفرق المُبتدع ، فهتك الستر ، ومزق القناع ؛ ليكشف لك في
قول صريح عن حقيقة معتقد الصوفية ، ومضى مسرعاً يلهث ؛ ليدرك فكرك قبل
أن يؤمن بذلك الفرق بين الصحو وبين المحو !! وليؤكد لك أن دين الصوفية
قائم من أول أمره على الإيمان بأن الله سبحانه هو عين خلقه !! على نفي كل
مغايرة - مطلقة ، أو مقيدة ، إضافية ، أو نسبية - بين الخالق والخلق ، سواء في
ذلك حال الصوفي في الصحو ، وحاله في المحو ، وهكذا صرح ابن الفارض في

جرأة شرود بما يرمز عنه سنواه من مناقى الصوفية ، حين يفجؤهم برهان الحق ،
ولذا يقول .

إلى كم أوأخى الستر ، هاقد هتكته وحل أوأخى الحجب فى عقد بيعتى
يعنى أنه عاهد الحق حين بايعه على أن يهتك كل ستر ، ويحل كل
أنسوطه ، حتى يرى كل ذى بصر أن الله يتمثل دائماً فى صور الخلق ، وتتعين
ذاته بذواتهم !!

وتدبر هذه الصراحة الصارخة الجرأة فى قول ابن الفارض : « وذاتى بذاتى ،
إذ تحللت تجللت » تدبر تجد الزنديق ، يابى أن يثبت لربه ذاتا ، ويتعالى أن
يجعل وجوده هو فيض وجود ربه ، فلم يقل : « وذاتى بذاته » أو « ذاته بذاتى »
وإنما قال ؛ ليحكم بالعدم الصوفى على رب الوجود الحق ، وخالقه : « وذاتى بذاتى »
فليس تمت إلا ذاته هو فى الحالين !! ألا تحس الجحود طاغى البغى !!

مأمم عند ابن الفارض من رب ، ولا مروب . إلا وهو ابن الفارض
إنه الخلاق . وإنه هو الوجود ، وواهب الوجود ، وما الرب الأكبر إلا أثر من
آثار قدرته ، أو جزئى تائه حيران من كليله !! هذا دين ابن الفارض . فباذا
تحكم عليه ؟ ! .

فوصفني ، إذ لم تدع باثنين وصفها وهيئها - إذ واحد نحن - هيئتي
يزعم أن كل ما وصف به الله نفسه ، فالموصوف به على الحقيقة هو ابن
الفارص ؛ لأنه الوجود الإلهي الحق ، فى أزليته ، وأبديته ، وديموميته ،
وسرمديته .

فإن دعيت كنت المجيب ، وإن أكن
منادى أجابت من دعانى ، ولبت
إن دعى الله أجاب ابن الفارض ؛ لأنه عينه ، وإن دعى ابن الفارض

كَلِمَةِ اللَّهِ ، لِأَنَّهُ اسْمُهُ وَمُسَمَّاهُ ! وَلَكِنْ أُنْمَحَ الْكَبِيرَ جَائِزَ الْعُتُوِّ مِنْ ابْنِ الْفَارِضِ عَلَى خَالِقِهِ ؟ إِذْ يَزْعَمُ أَنَّهُ إِنْ دُعِيَ الرَّبُّ ، فَمَا يَفْعَلُ ابْنُ الْفَارِضِ شَيْئًا سِوَى أَنْ يَجِيبَ ، أَمَا إِذَا دُعِيَ ابْنُ الْفَارِضِ ، فَمَا يَكْفِي الرَّبَّ أَنْ يَجِيبَ ، وَإِنَّمَا يُهْرَوِلُ مَلْهُوفًا إِلَى التَّلْبِيَةِ ! ! .

مَا كَفَاهُ زَعْمُهُ أَنَّهُ هُوَ اللَّهُ ، فَأَكْثَرُ أَنْ الرَّبَّ الْأَكْبَرَ مَا هُوَ إِلَّا صُورَةٌ شَاحِبَةٌ مِنْهُ ، وَظَلُّ حَيْرَانٍ لَهُ ! ! .

فَقَدْ رُفِعَتْ ^(١) تَاءُ الْمُخَاطَبِ بَيْنَنَا وَفِي رَفْعِهَا عَنِ فُرْقَةِ الْقُرْقِ رَفَعْتِي الْخُطَابَ بِسْتَلْزَمِ الْإِنْتِنِيَّةِ ، إِذْ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ طَرَفَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ مُخَاطَبٍ وَمُخَاطَبٍ ، وَهَذَا يَكْفُرُ ابْنَ الْفَارِضِ بِمَا يُوَكِّدُهُ الْخُطَابُ فِي آيَاتِ اللَّهِ ، أَوْ فِي دَعَاءِ الدَّاعِي مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى الْمَغَايِرَةِ بَيْنِ الْمُتَخَاطَبِينَ ! ! وَيَنْفِي صُدُورَ خُطَابٍ أَوْ دَعَاءٍ مِنْهُ إِلَى « غَيْرِ مَا » فَتَأْتِي « غَيْرٌ » حَتَّى يَخَاطَبُهُ ، أَوْ يَدْعُوهُ ! ! .

فَإِذَا مَا صَدَرَ مِنْهُ خُطَابٌ ، أَوْ دَعَاءٌ إِلَى اللَّهِ ، فَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّهُ يَخَاطَبُ غَيْرَهُ ؛ إِذْ الْخُطَابُ صَادِرٌ مِنْهُ إِلَيْهِ ، وَالِدَعَاءُ مُتَوَجِّهٌُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ إِلَى نَفْسِهِ .

لَقَدْ كَانَ يَقُولُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُكْشَفَ عَنْهُ الْغَطَاءُ : أَنْتَ أَنْتَ ، فَلَمَّا تَجَلَّتْ لَهُ الْحَقِيقَةُ صَارَ يَقُولُ : « أَنَا أَنَا » فَمَا « أَنْتَ » تِلْكَ إِلَّا « أَنَا » ذَاتًا وَوُجُودًا ! ! .

وَيَرَى ابْنُ الْفَارِضِ أَنَّ إِثْبَاتَ الرَّبُوبِيَّةِ الْخَلَّاقَةِ وَحُدُودَهَا لِنَفْسِهِ شَيْءٌ دُونَ مَقَامِهِ الْأَكْبَرِ ، فَيَفْتَرِي أَنَّ لَهُ الرَّبُوبِيَّةَ بِوَحْدَانِيَّتِهَا وَصِفَاتِهَا وَأَسْمَائِهَا وَأَفْعَالِهَا ، بِمَلِكِيَّتِهَا وَمَلِكُوتِهَا ، بِرَحْمَانِيَّتِهَا وَجَبْرُوتِهَا ، بِقُدْرَتِهَا الْقَهَّارَةِ ، وَعِلْمِهَا الْحَاطِطِ الشَّامِلِ ، بِمَا أْبَدَعَتْ مِنْ خَلْقٍ ، وَمَنْحَتْ مِنْ حَيَاةٍ .

(١) يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْخُطَابَ رَفَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ ، لِعَدَمِ وَجُودِ غَيْرِهِ . وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنَّ « الْفَتْحَةَ » مِنْ تَاءِ الْخُطَابِ فِي مِثْلِ « تَاءِ الْفَتْحَةِ » بَفَتْحِ التَّاءِ تَحَوَّلَتْ إِلَى ضَمَّةٍ وَهِيَ عَلَامَةٌ رَفَعٍ ، فَصَارَتْ « خَلَقْتَ » بِضَمِّ التَّاءِ لَا فَتْحَهَا أَيْ صَارَتْ تَاءُ الْمُخَاطَبِ بِفَتْحِ التَّاءِ عَيْنِ تَاءِ الْمُتَكَلِّمِ .

ولا فَلَكَ إلا ومن نور باطنى به مَلَكٌ يَهْدِي الهدى بمشيتى^(١)
ولا قَطْرًا إلا حَلًّا من فيض ظاهرى
به قطرةٌ عنها السحابُ سَحَّتْ
ولولاي لم يُوجد وجودٌ، ولم يكن شُهودٌ، ولم تُفهد عهودٌ بذمة
فلا حَيًّا إلا من حياتى حياته وطوع مرادى كل نفس مريدة^(٢)
فبأذا يحكم المؤمن على زنديق يفترى أن ملكوت كل شيء بيده، وأن
الوجود كله قطرةٌ فيضٍ من جوده ووجوده، وأن الإرادة البشرية كلها
طوع هواه .

وكلُّ الجهات الستَّ نحوى توجهت بما تمَّ من نُسكٍ وحجٍّ وعمرة
لها صلواتى بالمقام ، أقيمها وأشهد فيها أنها لى صلَّت
هذه الصلوات يقيمها النسك في قدس الحارِيب ، وهذه الضراعات يتبطلُ
بها القديسون ، وهذه الدعوات يتهجَّد بها العباد تحت سَجَواتِ الليل ، وهذه
المناسك ينسكها الحجاج والمعمرون . إنها لا تُرفع في الحقيقة إلى الله ، وإنما تتوجه
بها القلوبُ إلى ابن الفارض رجاء رحمة ، وابتغاء رضاه ! .

وهؤلاء المصلُّون يؤلُّون وجوههم شطر المسجد الحرام . إنهم يؤلُّونها شطر
هيكل ابن الفارض . وهذه النذور يحفد بها الملهوفون ، إنها قرابين العبودية
منهم ، يبتغون بها وجه ابن الفارض ! .

والله جل شأنه يقول : (٢ : ١١٥) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَسَمَّ
وَجْهَ اللَّهِ) غير أن ابن الفارض يرفع في وجه الحق باطله ، فيفتري أنه ما تمَّ
إلا وجهه هو ، وأن الكون كله ما يؤلُّ بجهاته الست وجهه إلا إليه ! .

(١) يقول تعالى لنبىه الأعظم (٥٦: ٢٨) إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله
يهدي من يشاء) فجعل ابن الفارض نفسه أعظم من محمد ، وقريناً مساوياً لله !!
(٢) أيقول هذه مسلم ؟ إنها لله وحده ، فنسبها ابن الفارض إلى نفسه !!

وذلك الرب الصوفي الهيمان في ملكوت ابن الفارض ! أيعيش عاطلا بلا عمل ؟ أُمخالفُ عن أمر ابن الفارض ؟ كلا فقد أرغمه ابن الفارض على أن يرتسم خاشع الذل في المعابد صلى لابن الفارض ، ويرجو رحمة .
أرأيت إلى سلطان العاشقين : كيف يفترى في شعره الوثني كل هذه الخطايا المجوسية ؟ !

ويهفو ابن الفارض لاهت الأنفث ؛ ليفترى لك مرة أخرى . أنه هو الله .
كلانا مُصلٍّ واحدٌ ساجدٌ إلى حقيقته بالجمع ^(١) في كل سجدة
ولكن « كلانا » هذه دلالتها الحتمية على وجود اثنين أو تحقق وجودين يفاير أحدهما الآخر . لهذا كَرَّرَ ابن الفارض يعدو في لهفة مجنونة ؛ ليستدرك على « كلانا » بما ينسخ ماتوهمه ، فقال :

وما كان لي صليّ سواي ، ولم تكن صلاتي لنبري في أدا كلِّ سجدة

عبادة الأنوثة

ولست أدري لم يُغرَم الصوفية دائماً بنعوت المرأة يحملونها على ربهم ، فيزعمون أن ربهم يتجلى - غزليّ الجمال - في صورة أنثى عاشقة ملهوفة تتقتل بفتون أنوثتها الهيم لحيوان يراودها عن نفسها . إن هذا الإلحاح الجسدي في عبادة الأنوثة يدفعنا إلى محاولة اكتنائه ما يعْتَلِجُ به من شعور يتلظى بالنزوات الملتهبات والشهوات العراييد ؛ لتدرك علة ذلك التمجّس الصوفي الذي يؤلّه نار الجسد . أترى حين استبد بالصوفية عشقُ الأنثى ، ولوّعهم بالحرمان ، أراقوا الغزل في هوى المعشوقة ، فلم تُند أنوثتها منهم غليلا ، ولم تُبج لحمها للناب الملهوف ، أترام حين احترقوا تلهفاً حتى إلى ظلي أنثى مبدولة ، فلم ينالوا ، صور لهم ما يؤجّج في غرائزهم من سعي أن الأنثى ليست - إذن - إلا ربات تعالت كبرياؤه ، وتسامى عرشه ؟

(١) الجمع عند الصوفية هو « شهود الحق » أي الله « بلا خلق » .

أم ترام - والأنوثة تعاطيهم صهبا، إنما - أبوا إلا أن يترعوا الدن كله ،
فراحوا يمدونها في النى ، فزعموا لها أن الحقيقة الإلهية ليست إلا أنى مشتهاة
مشتهاة ، وأن حقائق الوجود كله أنوثة تشرب الشهوات خمر جسدها المعتقد ؟!
يمثل ابن عربى الطائفة الأولى ، وستأتيك أنباؤه ، أما ابن الفارض^(١) فاسمع إليه
يقول :

ففى النشأة الأولى ترامت لآدم بمظهر حوا قبل حكم البنوثة
وتظهر للعشاق فى كل مظهر من اللبس فى أشكال حُسن بدیعة
فى مرة «لبنى» وأخرى «بئنة» وآونة تُدعى «بعزة» عزت
يزعم أن ربه ظهر لآدم فى صورة حواء ، و «لقيس» فى صورة «لبنى»
و «لجلیل» فى صورة «بئنة» و «لكثیر» فى صورة «عزة» . فما حواء أ.
البشر إلا الحقيقة الإلهية ، وما أولئك العشاق سكرت على شفاهن خطايا القبل
المحرمة ، وتهاوت بهن اللهفة الجسدية الثائرة تحت شهوات العشاق ، ما أولئك جميعاً

(١) يصور لنا أحد أتباع ابن الفارض لونا من ألوان مجون سلطان العاشقين
فيقول : « دفع إلى دراهم ، وقال : اشتر لنا بها شيئا للأكل ، فاشترت ومشينا إلى
الساحل ، فنزلنا فى مركب ، حتى طلع البهنا ، فطرق باباً ، فنزل شخص فقال :
باسم الله ، وطلع الشيخ ، فطلعت معه ، وإذا بنسوة بأيديهن الدفوف والشبابات ،
وهم يغنون له ، فرقص الشيخ إلى أن انتهى ، وفرغ ونزلنا ، وسافرنا حتى جئنا إلى
مصر ، فبقي فى نفسى شيء ، فلما كان فى هذه الساعة جاءه الشخص الذى فتح له
الباب ، فقال له : ياسيدى فلانة ماتت - وذكر واحدة من أولئك الجوارى - فقال :
اطلبوا الدلال ، وقال : اشترى لى جارية تغنى بدلها ، ثم أمسك أذنى ، فقال : لا تنكر
على الفقراء !! » ص ٣١٩ ج ٤ لسان الميزان لابن حجر العسقلانى طبع الهند
١٢٣٠ هـ . هذا هو ابن الفارض القديس يرقص ويغنى والنسوة يرقصن معه ويضربن
له الدفوف !! ومع هذا يحرم على تابعه أن ينتقده !! وهكذا كل الشيوخ

سوى رب الصوفية تجسد في صور غَوَانٍ تطيش بهُدَاهُنَّ نَزْوَةَ وَلَهْنِي ، أو نَشْوَةَ
سَكْرِي ، أو رغبة تَتَاظَى في عين عاشق !! .

ويسرف ابن الفارض في تأكيد أنوثة ربه ، وتجليه أبداً في صورة جسد
امرأة يَزِلُّ بها موعد الليل ، فيقول :

وَلَسَنَ سِوَاهَا ، لا ، ولا كُنَّ غَيْرَهَا وما إن لها في حسنهما من شريكة
خشى ابن الفارض أن يَتَوَهَّم أحده في ربه أنه يغيّر حقيقته ، أو تتباين
صفاته ، وهو يتجلى مرة بعد مرة في صورة غانية ، أو أن يَظُنَّ أن هؤلاء الغانيات
« لبني ، بثينة ، عزة » تغيّر حقائقهن حقيقة ربه في شيء ما ، خشى ابن الفارض
ذلك ، فاستدرك على الأوهام بما يحياها يقيناً ثابتاً في أنوثة ربه ، فقال : « ولسن
سواها ، لا ، ولا كُنَّ غَيْرَهَا » وهكذا صدق فيهم قول الله (٤ : ١١٧) إن يدعون
من دونه إلا إناثاً ، وإن يدعون إلا شيطاناً مَرِيداً) ماذا يحدث للشباب المسلم ،
ومنه لو أنه آمن بهذه الصوفية ؟ ! .

فليفهم كل عاشق يطويه الليل على خاطئة أنه حين يقترف الخطيئة مع أنثاه ،
وتعربد في جسدها الرَّخْصَ أنيابه وأظفاره ، ليفهم كل عاشق أن أنثاه هذه
التي يعرق أنوثتها ليست إلا رب الصوفية الأعظم !! .

ولِيَصَحِّحْ مؤرخو الأدب تاريخه ، فإن الفارض يؤكد أن أولئك العشاق
« قيس ، جميل ، كثير » وكل شعراء العشق لم يُرِيقُوا خمور الغزل إلا للذات
الإلهية متجسدة في صور عشيقاتهم القواتل !! .

أَوْعَيْتِ إذن علة إطلاق الصوفية على أربابهم أسماء نسوة^(١) جُلَّهن عواطل
من الفضيلة ، عوارٍ عن الشرف ؟ ! .

وعلة عبادتهم لأجساد تلظى فيها الشيطان ، وعربد بخطاياها ؟ ! ذلك لأن

(١) أنصت إلى المنشدين اليوم في حلق الرقص الصوفي أو الذكر كما يزعمون
تجدهم يرقصون الناكرين على مناجاة « ليلي وسعاد » وغيرها !!

كهان الصوفية أوحوا إليهم أن أربابهم تتجلى دائماً في صور إناث تَجَرَّدَنَ
لخطايا العشق ، وآثام الليل في حان الغرام !! .

ومعذرة إلى من يقرءون للهدى عما أثرت في نفوسهم من غثيان بذكر هذا
القيء القذر من الكفر الصوفي ، وعمما يحسونه بنقل تلك الأبيات من حَرَجٍ
تحتق في العاطفة ، ويتقلّ الضمير .

لمن كان سجود الملائكة ؟

ولا يمل ابن الفارض من تكرار إفكك الوثني يزعم فيه أنه هو الله ، فيضيف
إليه أنه عين رسل الله أيضاً ، وعين آدم الأب الأول للبشرية ، وعين الملائكة
الذين سجدوا لآدم .

وفيَّ شهدت الساجدين لمظَهري^(١) فَحَقَّقْتُ أَنِي كُنْتُ آدَمَ سَجَدْتِي
وإليك شرح القاشاني - وهو كاهن صوفي - هذا البيت : « أي عاينت
في نفسي الملائكة الساجدين لمظَهري ، فعلت حقيقةً أني كنتُ في سجدتي
آدمَ تلك السجدة ، وأن الملائكة يسجدون لي - والملائكةُ صفةٌ من
صفاي^(٢) - فالساجد صفة مني تسجد لذاتي^(٣) » رأيت إلى شرح القاشاني ؟
لقد نقلته لك بلفظه مثلاً لما يشرح به الصوفية أساطير دينهم ؛ لتؤمن أني لم أمِلْ
مع الهوى فيما شرحت لك به أبيات ابن الفارض ، وأظنني ما بلغت مبلغ
القاشاني في الشرح ، فهو صوفي يدين بالتائية .
وحسبنا هذا من سلطان عشاق الصوفية !! .

(١) يعنى به آدم عليه السلام ، فهو في دينه تجسد للذات الإلهية التي هي ابن الفارض
(٢) فسر الملائكة بأنها صفات ، لیتی القول بالغيرية والتعدد ، ولكيلا يعترض
عليه بمثل هذا : مادمت تتحدث عن ساجدين وعن مسجود له فقد قلت بذوات
كثيرة ، وأغيار عديدة . . لا يعترض عليه بمثل هذا لأنه يزعم أن الملائكة ليست
ذوات . وإنما هي صفات للذات الإلهية والصفات عند عين الذات ، فالتعدد ، ولاغيرية
(٣) ص ٨٩ ج ٢ كشف الوجوه الفرع على هامش شرح الديوان طبع ١٣١٠ هـ
٣٢ - هذه هي الصوفية

إله ابن عربي

أما هذا الطاغوت الأكبر ، فقد افتدى للصوفية رباً عجيباً يجمع بين النقيضين المتوترين في ذاته ، وبين الضدين الحقيقيين في صفاته ، فهو الوجود الحق ، وهو العدم الصرف ، هو الخلاق ، وهو الخلق ، هو عين كل كائن ، وصفاته عين صفات كل موجود وكل معدوم ، هو الحق الكريم والباطل اللئيم ، هو الفكرة العبقرية ، والخرافة الحمقاء ، هو الخاطرة الملهمة ، والوهم الداهل ، والخيال الخيران ، والمستحيل الذي لا يتصور فيه العقل أبداً أن يخطر حتى مرة واحدة في بال الإمكان ، والممكن الذي يرى فيه الفكر أجلى معاني الإمكان ، والذي لا يتوهم فيه العقل وهم استحالة . هو المؤمن ، وهو الكافر ، هو الموحد الخالص التوحيد ، وهو الشرك الأصم الوثنية . هو الجواد الغليظ ، وهو الحيوان ذو المشاعر المرهفة ، والحساسية المتوقدة ، هو الملاك الساجد تحت العرش ، وهو الشيطان الذي يصرخ في سقر ، هو القديس الناسك يذوب قلبه في دموع التسايح ، وهو العريذ يضج الماخور من بغى خطاياها ، هو الراهبة التي تحيا على محبة الله وتقواه ، وهو الغانية التي تحيا للجسد المبذول ، وتعيش على ثمنه ، هو النور يغمر الوجود بمباهجه ، وهو الظلام موار الكهوف بالفرع والرهبنة ، تلك هي بعض ذاتيات رب ابن عربي ، وبعض خصائص الإله الصوفي !! .

ولهذا يؤمن الطاغوت بأن اليهود عبادة العجل ناجون ، بل يؤمن بأنهم كانوا على علم بحقيقة الألوهية ، لم ينعم موسى ولا هرون بلهعة من تجلياته ، ولا ببارقة من انكشاف الأسرار الإلهية المغيبة له !! لأنهم ما قصرُوا العبادة على فكرة مجردة خاوية كموسى ، وإنما عبدوا الرب متجليا في صورة عجل ، فأدركوا من حقيقة الأمر ما لم يدركه هرون ، وهو أن الذات الإلهية لا تمبد إلا حين تتجلى في صور خلقية !! .

ويؤمن ابن عربي بقدسية عبدة الأصنام ، ويمجد صدق إيمانهم وإخلاص

توحيدهم ، يؤمن بالصابئة عباداً يوحدون الله ، ويخلصون له الدين ، يؤمن بسمو
إيمان الذين عبدوا ثلاثة آلهة غير أنه يعيب عليهم قصورهم عن إدراك الحقيقة كاملة ؛
إذ عبدوا الله في ثلاثة أقانيم ، على حين كان الواجب أن يعبدوه في كل شيء ،
فليس الرب عنده هو تلك الأقانيم فحسب ، وإنما هو عين ما يرى أو يُحَسَّ ،
وعين ما لا يُرى ، وما لا يُحَسَّ ، فأصحاب الثالوث عنده مخطئون ؛ لأنهم عبدوا
بعض مظاهر الرب ، أو بعض تَعَيِّنَاتِهِ وكان واجباً أن يعبدوه في الكل ؛ لأنه
هو ذلك الكل فيما ظهر منه ، وفيما بطن ! (١) .

ربوبية كل شيء

واسمع إليه يؤكد لك أن كل شيء هو الله سبحانه : « سبحان من أظهر
الأشياء ، وهو عَيْنُهَا (٢) » « إن العارف من يرى الحق (الله) في كل شيء ،
بل يراه عين كل شيء (٣) » وكلمة « شيء » في دين الطاغوت تُطْلَقُ حتى على
الصور الذهنية والوهمية وعلى العدميات ، فوق إطلاقها على كل موجود له كيانه
المادى المستقل المتقوم بذاتيته وخصائصه . فابن عربي كما ترى أصرح الدعوة إلى
وحدة الوجود ، بل هو كاهنها الأكبر ! ! .

الربُّ إنسان كبير

واسمع إليه يحكم على ربه بأنه يجب أن يوصف بما يوصف به الخلق ، حتى
بما فيهم من نقص وعجز وحمق وجهالة ، وَيُحَدِّدُ بما يُحَدِّدُ به كلُّ كائن على حدة :

(١) اقرأ الفص « العيسوى » و « المحمدى » من فصوص الحكم لابن عربي

(٢) ص ٦٠٤ ج ٢ الفتوحات المكية لابن عربي .

(٣) ص ٣٧٤ فصوص بشرح بالي ، ص ٣٨٢ بشرح قاشاندا .

ص ١٩٢ ج ١ بتحقيق الدكتور عفيفي .

« فما يُحدِّثُ شيءٌ إلا وهو حدٌّ^(١) الحق ، فهو السارى فى مُسمَى المخلوقات والمبدعات فهو الشاهد من الشاهد ، والمشهود من المشهود ، فالعالم صورته ، وهو روح العالم المدبر له ، فهو الإنسان الكبير^(٢) » .

الرب هو صور العالم

واسمع إليه يؤكد لك أن ربه هو كل ما ترى من صور العالم : « هى ظاهر الحق ؛ إذ هو الظاهر ، وهو باطنها ؛ إذ هو الباطن ، وهو الأول ؛ إذ كان ، ولا هى ، وهو الآخر ؛ إذ كان عينها عند ظهورها^(٣) » وتدبر تعريف ابن عربى لربه بقوله : « هو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن فى حال ظهوره ، وما تمَّ من يراه غيره^(٤) ، وما تمَّ من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسمى أبا سعيد الخراز^(٥) ، وغير ذلك من أسماء المرثيات^(٦) » والعارف الحق بالله عند ابن عربى هو من يرى « سريان الحق (الله) فى الصور الطبيعية والعنصرية ، وما بقيت له صورة إلا ويرى عين الحق فيها^(٧) » .

(١) الحد هو أتم أنواع التعريف ، فإذا عرفت الصنم مثلاً بحد ما ، فهذا التعريف صادق على الرب الصوفى ، لأنه هو ذلك الصنم نفسه .

(٢) ص ١١١ فصوص الحكم ط الحلبى .

(٣) ص ١١٢ فصوص ط الحلبي .

(٤) يعنى أنك إذا رأيت إنساناً ، أو حجراً ، فقد رأيت الرب الصوفى ، بل الرأى والمرئى هما عين ذلك الرب .

(٥) هو أحمد بن عيسى ممن تكلم فى الفناء الصوفى توفى سنة ٢٧٩

(٦) ص ٧٧ ج ١ فصوص ط الحلبي .

(٧) ص ١٨١ للصدر السابق .

صفات الرب صفات الخلق

ويحكم ابن عربي على ربه ، ويصفه بالعجز الذليل ، والنقص المشين ، والسفاهة والحماسة ، وبأنه مناط مذمة وتحقير ومهانة . فيقول : « ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات ، وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص ، وبصفات الذم ؟! ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها - وكلها حق له - كما هي صفات المحدثات حق للحق (١) » .

لقد خشى ابن عربي أن يتوهم فيه إنسان أنه يطلق صفات الخلق على الله سبحانه إطلاقاً مجازياً ، أو يطلق صفات الله على خلقه كذلك . خشى هذا ، فحاشا توهم المجاز عن الأولى بقوله : « كما هي صفات المحدثات حق للحق » فلا تنوهم مجازاً مما فيما يحكم به ابن عربي على ربه ، أو فيما يصفه به من ذم ونقص وعجز . ومحاشا عن الأخرى بقوله : « وكلها - أي صفات الله من ربوبية وإلهية وخالقية ورازقية ، وسواها مما هو من صفات الله وحده - حق له » ، أي للمخلوق ، فالخلق يوصف بصفات الله على الحقيقة لا على المجاز !! ذلك دين ابن عربي .

رب الصوفية وجود وعدم

ورب الصوفية في دين ابن عربي يستغرق كل نسبة عدمية ، أو وجودية « فأعلى لنفسه ، هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية ، والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا لمسمى الله تعالى خاصة (٢) »

فأي رب هذا الذي يبعثه وجود ، وبغنيه عدم ؟ أي رب هذا الذي

(١) ص ٨٠ فمؤوض راجع ما كتبت في « دعوة الحق » ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) ص ٧٩ فصوص .

يكون مناظ الذم من الشرع والعقل والعرف ؟ لقد نعت ابن عربي ربه بكل مذمة ، فلماذا لا يذمه الشرع والعقل والعرف !؟ .

كل شيء رب للصوفية

لقد كفرت الصابئة ؛ لأنهم عبدوا الكواكب ، وكفرت اليهود ؛ لأنهم عبدوا العجل ، وكفرت النصارى ؛ لأنهم عبدوا ثلاثة أقانيم ، وكفرت الجاهلية ؛ لأنهم عبدوا أصناماً أقاموها لمن مات من أوليائهم ، لتكون مقصد الرجاء ، ومطاف الآمال ، كما كان أصحابها ، وهم ناعمون بالحياة . فماذا تقول في الصوفية ، أو بماذا تحكم عليها ، وهي تدعو إلى عبادة كل شيء ؟! ألا يقول الجبلي : « إن الحق تعالى من حيث ذاته ، يقتضى ألا يظهر في شيء ، إلا ويُعبَد ذلك الشيء ، وقد ظهر في ذرات الوجود^(١) !؟ » ويزيد ابن عربي الفرية جلاء بقوله : « والعارف المكمل من رأى كلَّ معبود تجلّى للحق يُعبَد فيه ، ولذلك سموه كلهم إلهاً ، مع اسمه الخاص بحجر ، أو شجر ، أو حيوان ، أو إنسان ، أو كوكب ، أو ملك »^(٢) .

فهل ترانى جَنَحْتُ إلى غُلُوِّ ما حين قلت لك : إن الصوفية استمدت من كل كفر ، ودانت بكل مادان به الكافرون من قبل ، فكانت هي وحدها تاريخ الوثنية كلها ، وحماؤها منذ ابتدئها إبليس ليضل الكافرين !؟ .

ألا ترى ابن عربي حَفِيَ القلب والشعور والعاطفة بعبادة الحجر والشجر « آلهة الجاهلية » و بعبادة الحيوان « آلهة الفرعونية واليهودية » و بعبادة الإنسان « إله النصرانية والشيعة » و بعبادة الكوكب والملك « أى آلهة الصابئة » !؟ .

(١) ص ٨٣ ج ٢ الإنسان الكامل للجبلي .

(٢) ص ١٩٥ ج ١ فصوص ، وقد عدد في هذا النص آلهة الذين كفروا من قبل ، فعبدوا الحجر والشجر والحيوان والإنسان والكوكب والملك ، يعنى الصابئة واليهود والنصارى والذين أشركوا . وصوب عبادتهم ، إذ كل ما عبده في دينه ليس إلا رباً تجلّى في صورة ذلك المعبود .

فالصوفية هي كل ذلك الكفر ، ثم تحته وفوقه ، وعن شماله ويمينه ومن خلفه ومن قدامه كفرها الخالص بها !! وفيما ذكر ابن عربي ما يثبت اليقين في قلبك بما أقول .

التجسد في النساء

وكما عبد ابن الفارض جسد الأنثى ، عبده كذلك ابن عربي ، بيد أن الأول عبد المرأة مستباحة العفة له ، وعبدها الآخر مستعصية الشرف عن أهوائه . وإليك نصاً واحداً من فصوصه يكشف لك عن مدى إيغال ابن عربي في عبادة الأنثى « ولما أحب الرجل المرأة ، طلب الوصلة^(١) ، أى غاية الوصلة التي تكون في المحبة ، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح^(٢) ، ولهذا تم الشهوة أجزاءه كلها ، ولذلك أمر بالاعتسال منه - فعمت الطهارة ، كاعم الفناء فيها - عند حصول الشهوة ، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره ، فطهره بالغسل^(٣) ؛ ليرجع بالنظر إليه فيمن فنى فيه ، إذ لا يكون إلا ذلك ، فإذا شاهد الرجل الحق^(٤) في المرأة ، كان شهوداً في منفعل ، وإذا شاهده في نفسه - من حيث ظهور المرأة عنه - شاهده في فاعل ، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ماتكون عنه ، كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل ؛ لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل ، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة ؛ فلهذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء ؛ لسكمال

(١) يقصد بها ما يحدث بين الذكر والأنثى .

(٢) يقصد به ماله من معنى في أذهان العامة بدليل ما ذكره بعده . لا يريد الزواج بل شيئاً آخر .

(٣) يزعم أن الله لم يأمر بالغسل إلا ليتطهر العبد مما توهمه من أنه كان مع امرأة ، على حين كان هو مع الربة الصوفية جسداً وخطيئة !!

(٤) الحق في دين الصوفية هو الذات الإلهية في وجودها المطلق !!

شهود الحق فيهن^(١) ، إذ لا يشاهد الحق مجرداً عن المواد أبداً ، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله ، وأعظم الوصلة النكاح^(٢) .

وتستطيع أن تلخص ، وتستخلص من هذا النص وحده دين ابن عربي كله . إنه يعتقد أن رب الصوفية يتجلى أعظم تجل له في صورة أنثى يهصر جسدها المستسلم حيواناً متأثر الجسد . يعتقد أن عاشقين يتهبان خطايا الليل ، هارب الصوفية !! ويلحف على العشاق عربدت بهم خمرة الأجساد من دنان الإثم أن يدينوا بأنهم كانوا مع الرب الصوفي ليلاً وخطيئة وغريزة وئدة !! ، فما استفرقوا في المذة بأنثى ، بل بالرب المتجسد الخطايا في أنوثة عصفت بها الرذيلة !! ثم ينحدر ابن عربي في سرعة مجنونة إلى أعماق الأغوار السحيقية من المادية ، فيؤكد لنا : أن الرب الصوفي شيء مادي ، وأنه لا يرى أبداً إلا في مادة !! هذه هي روحانية الصوفية يأمن عنها تذودون !! روحانية يفترى كاهنها الأكبر هذه القرية الكبرى فيقول : « لا يشاهد الحق (الله) مجرداً عن المواد أبداً » ويقول : « وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالسمى مُحدثات هي العلوية لذاتها ، ويست الإله هو^(٣) » :

وما ينبغي - احتراماً لعقلك بإسماحة الشيخ - أن أدلك على أساطير الزندقة في تلك النصوص الصوفية ، فإنها تكاد تنشب مخالبها في العين نراها !! أتري تخزك الندامة على أنك شكوتنا ، فنكات لك الجراح ، أم تراها تخزك لما ظلمت به من يود لك الخير ، ويدعوك إليه ، ولأنك في مكانك هذا تحمل أوزار الصوفية كلها على ظهرك !! .

(١) يزعم ابن عربي أن علة حب الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء هي اعتقاده أنهن الله في أجمل صور تعيناته وتجلياته ، ورغبته في الالتذاذ الجسدي المتنوع بربه !!

(٢) ص ٢١٧ فصوص ج ١ ط الحلبي ، ص ٣٧ ط استامبول بشرح القاشاني ، ص ٤٢٠ بشرح بالي ط ١٣٠٩ هـ

(٣) ص ٧٦ ج ١ فصوص لابن عربي ط الحلبي .

التجسد المسيحي ، والتجسد الصوفي

وتلوذ بي عاضفة من إشفاق تحملني على ألا أزيد جرحك انتكاساً بذكر
نصوص آخر ، غير أنني أود تذكير الشيخ بأن المسيحية حين نسبتها الصوفية
رشدتها وهداها ، وقداسة الروحانية فيها ، فرغبت بها عن التوحيد الخالص إلى
الشرك ؛ بعبادة ثلاثة آلهة !! إن المسيحية حين استعبدتها غواية الصوفية أبت أن
تخبط وراءها في كل مهلكة ، فلم تؤمن بتجسد الذات الإلهية في كل شيء ، وإنما
اختارت جسداً طيباً طاهراً ، شرف الله صاحبه بالرسالة ، وآمنت بأنه التجسد
الأعظم لله !! ومع هذا لم تنل من الله إلا لعنة الأبد ، وغضب الأبد ، وسعير جهنم
يصلونها ، وبئس المصير .

أما شيخكم الأكبر ، فقد هوى به الكفر ، أو هوى هو بالكفر ، إلى أبعد
أعماق افلاوية الساحقة الماحقة ، وانحدر به إلى كل منحدر ، فأمن بتجسد ربه في
أجساد تقيحت من الدنس ، آمن بتجسد ربه في الجيف ، وفي الأوثان ، وعجل
السامري ، وفرعون موسى ، ثم هفت به غمته الأئمة ، فكشفت عن دخية نفسه
الآبقة تعبد ربا تنلظي غرائزه ، وتتسعر شهواته ، وتستهي مفاته حين يتجسد في
أشي طاحت بها نزواتها لتي تحت رغبة كل عابر براود خضيئة !! .

لماذا عبد ابن عربي المرأة ؟

إن كبيرتكم الأحمر هذا أحب امرأة ذات مرة ، هي ابنة الشيخ مكين
الدين . وأين ؟ في مكة !! .

وهنا العاشق المدلّه يتلمس جسد المرأة ، وسبيل أنيابه إليها ، راح يتوسل
إليها أن تتجرد له ، وأن تبيح قدس عرضها لخطيئته ، فأبت العذراء ، يتلهب حياؤها
كرامة أن يبلغ في شرفها ذنب !! .

لقد أرادته للقلب الطاهر ، وأرادها هو للجسد الثائر ، أرادته للطهر والمعبود
وأرادها هو للدنس والمماخور ، فتمنعت الفتاة عن نابه الطحون ، فنظم فيها ديوانه
« ترجمان الأشواق » قُرْبَانًا من شهواته إلى جسدها الفَوَّاح العطر والفتنة ، لعلها
تنحدر معه إلى الهاوية ، فتهب له من جسدها مضغمة ، أو مِنْ دَمِهَا رَشْفَةً ، فزادته
الفتنة عن حَرَمٍ مخدعها الْوَرْدِيَّ ، وَلَجَّتْ في إبائها النبيل الكريم ، وأبت إلا
أن تكون عذراء متألفة العرض ، روحانية العاطفة ، مُنَمَّعة العفة والشرف ،
تري ، هل أراب اليأسُ منها عشقَ ابن عربي ؟ كلا ، فقد استغرق نفسه ،
ووجوده ، وملاً عليه دنياه فتنة ولهفة وقلقاً عاصفاً ، فلم يَعْرِهُ اليأس ، ولا ميسَّ
لهبه خمودٌ ، فعاد إلى ديوانه يشرحه بدين الصوفية ، يؤكد لهذه الجميلة النافرة
الأبيَّة أنها هي الرب متجسداً في صورة أنثى جميلة ، وأنه ما أَحَبَّهَا إلا لأنها أجمل
تعينات الحقيقة الإلهية ، وأنه - إذ يتشَّهَّأها - فإنما يتشهى فيها أنوثة ربه ، وجسده
الفائر !! فأبت المرأة إلا أن تكون أنثى شريفة ، لاربباً صوفياً يحتسى الآنام !!
ومضى ابن عربي وراء الأسطورة موغلاً في التيه الموحش ، والدغل الزهيب ،
مضى وراءها يمجدها ، ويهتف بها حتى صارت الأسطورة حقيقة صوفية صريحة ،
منحها ابن عربي وجوداً حَيًّا صريحاً ، وأمدَّها مثله الأحبار الزنادقة معه ومن بعده
وهكذا تنزل الصوفية في « ليلي وبثينة وسعاد » !!

وتسائلهم ، فيزمون الشفاه تهكماً من حماقة جهلك !! ويرمقونك بالنظر
الشَّرْر ، وكأنما يقولون لك : مسكين !! ما زال يجهل أن ربنا أنثى جميلة !!
ضليل !! لم يهتد إلى أن الغانية اللعوب الهلوك هي الأفق الأعظم لتجليات الربوبية
والإلهية ، وإلى أن جسدها المنهوم الجائع إلى الآنام جسدُ ربنا الأعظم !! وأنها
هي هو جسداً فاتنا ، ورذيلة سوداء !!

فقر الإله الصوفي إلى الخلق

الله سبحانه يقول : (٣٥ : ١٥) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) غير أن الصوفية تؤمن بإله هو الفقير إلى الخلق . فقير إليهم في وجوده فقير إليهم في علمه ، فقير إليهم في بقائه ، فقير إليهم في طعامه وشرابه ، فقير إليهم في كل شيء . يجب له الظهور بعد الخفاء ، والوجود بعد العدم ، ويحول بينه ، وبين الفناء .

يقول ابن عربي : « فوجودنا وجوده ، ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا ، وهو مفتقر إلينا من حيث ظهوره لنفسه » ويقول : « فأنت غذاؤه بالأحكام ^(١) ، وهو غذاؤك بالوجود ، فتعيّن عليه ما تعيّن عليك ، والأمر منه إليك ، ومنك إليه ، غير أنك تُسمّى : مكلفًا ، وما كلفك إلا بما قلت له : كلفني بمالك ، وبما أنت عليه - ولا يُسمّى مكلفًا .

فيحمدني ، وأحمده ويعبدني وأعبده ^(٢) »

ذلك هو رب الصوفية الذي افتراه لها ابن عربي ، وبه يدين أقطابها ، وله

يسجدون !!

إله الجيلي ^(٣)

وهذا السكاهن الوثني الأكبر يدين بدين صنميه ابن الفارض وابن عربي ، غير أن اللون الفاضح الصارخ في زندقته هو اعتقاده أن الله ما هو إلا إنسان

(١) أي أسماؤك أسماؤه ، وصفاتك صفاته ، وأفعالك أفعاله ، فلولاك ما سمى ولا وصف ، ولا حكم عليه بحكم لأنك عينه وذاته .

(٢) ص ٨٣ ج ١ فصوص ط الحلبي .

(٣) هو عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني أو الجيلي توفي نحو سنة ٨٣٠ هـ

كامل^(١) ، وأن الإنسان الكامل ما هو إلا الرب الأكبر الجامع بين الخلق والخلق في وحدة ، وأقد سبقه بهذا الإلحاد ابن عربي ، ولكن الجبلي كان خفياً به أكثر ، مديراً حول محوره زندقته ، ولقد رأى الجبلي ألاّ يمن بهذه المرتبة على أحد قبله ، فمضى يؤكد القول أن إنسانيته هي أفق الربوبية والألوهية الأسمى .

ادعاء الجبلي الربوبية العظمى

«لى الملك فى الدارين ، لم أر فىهما سوى ، فأرجو فضله ، أو فأخشاه
وقد حُزْتُ أنواع الكمال ، وإنى جمال جلال الكل ، ما أنا إلا هو»

هذا قول الجبلي . والله يقول : (٣ : ١٨٩) والله ملك السموات والأرض والله على كل شىء قدير) ولكن الجبلي يفترى أن له وحده ملك الدنيا والآخرة وأنه ليس للوجود رب سواه ، ولا ليوم الدين ملك غيره ، وأنه الفنى بذاته ، فلا تنفخ قلبه رغبة فى نعمة من أحد ؛ لأنه الوهاب للنعم . ولا تلتفح نفسه رهبة من سلطان ؛ لأنه ملك الكل ومالكهم !! ولم يكتف الجبلي بهذا ، بل مضى يعدّد أنواع الخلق ، وصور الوجود المادى والحسى والروحى والمعنوى ؛ ليزعم بعدها أنه هو عينها ذاتاً ووجوداً ، فلا يتوهم واهم أن شيئاً ما فى الوجود يغير الجبلي ، أو يخرج عن حقيقة ذاته ، فقال :

« فهما ترى من معدن ونباته وحيوانه منع إنسه وسجاياه
ومهما ترى من أبحر وقفاره ومن شجر ، أو شاهق طال أعلاه
وسها ترى من صورة معنوية ومن مشهد للعين طاب محياه
ومهما ترى من هيئة ملكية ومن منظر إبليس قد كان معناه

(١) يقول الكمشخانى « الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى عين الله وعين العالم » ص ١١١ جامع الأصول فى الأولياء .

ومهما ترى من شهوة بشرية لَطْبِيع ، وإيثارِ الحَقِّ تعاطاه
ومهما ترى من عرشه ومحيطه وكرسيه ، أو رَفْرَفِ عَزِّ نَجْلَاه
فإنَّ ذاك الكَلِّ ، والنكَلِ مَشْهَدِي أنا المُتَجَلِّي في حقيقته ، لا هُو
وإنَّ ربَّ للأنامِ وسيد جميع الوريِّ إسم ، وذاتِي مُسَمَّاء (١) «
أرأيت إلى الجيليِّ بأية وثنية ينعق ؟ وبأية مجوسية يدين ؟ أرأيت إليه
في قوله : « أنا المتجلى في حقيقته لا هو ؟ » يا لاجيلي ! ! يحكم على الوجود الحق
بالعدم الصرف ! !

أرأيت إليه في زعمه أنه « ربَّ للأنامِ وسيد » ؟ !
أرأيت إليه - وقد جُنَّتْ شهوة الزندقة فيه - يفترى أن الشهوات إحدى
مُؤَمَّمات الوجود الإلهي ، وأنها في دنسها عين وجوده ؟ ! وأن إبليس في غيِّه
وتمرده هو عين الربِّ الأعظم ؟ ! وأن كل اسم في الوجود هو اسم لله سبحانه ،
لأنه عين كل مسمى . وأن كل صفة لكائن ما ، هي لله صفة ، لأنه عين الموصوف
بها ؟ فعلام يدل كل هذا ، أو إثارة واحدة منه ؟

أسأل الله بإسماحة الشيخ أن يشرق في قلبك شعاع من هدى الله ، لتبصر
على نوره هذا الكيد الدنيء للإسلام ، توجع أحقاد الصوفية ، وتورث أضعافه
في خبث خاتل ، ودهاء بفتنك بالبسمات العذاب ، يترقب الفرصة لاطعنة النجلاء .
وإن تعجب ، فعجب تقديس الصوفية للجيلي ، وتبرئة ساحته مما يحكم به
الحق والعدل عليه ! ! إنها محاولة الرياء الجبان انتهت ستره ، فيلوذ بالبراءة حتى
من نفسه ، لتسنع له الفرصة مرة أخرى ، فيجهز على الضحية .
إن تلك الزندقة الجيلية يتوارثها صوفي عن صوفي ، فحق عليهم قول الله
(٥٣ : ٥١ أتواصوا به ؟ ! بل هم قوم طاغون) .

كيف يجعله الصوفية قطبا عرجت روحه إلى الحق تستلهمه الوحي ، وهو القائل ؟! :

«لى الملكُ والملكوتُ نسجى وصنعتى لى الغيبُ . والجبروتُ منى منشاه^(١)»

رب الصوفية تقيضان وضدان

دانت الصوفية كما رأيت رب هو عين كل شيء ، وعين كل ما يطيف بالذهن من صور ، ومن الأشياء ضدان ، ومن الصور تقيضان ، ورغم هذا لم يحجم الصوفية عن وصف ربهم بأنه يجمع في ذاته بين الشيء وضده ، وبين الصفة وتقيضها . يقول الجبلى : « اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته - وذات الحق جامعة للضدين - خلق الملائكة العالمين من حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة من نفس محمد^(٢) » ويقول : « اعلم أن الوجود والعدم متقابلان وفلك الألوهية محيط بهما ؛ لأن الألوهية تجمع الضدين من القديم والحديث ، والحق والخلق والوجود والعدم ، فيظهر فيها الواجب مستحيلا بعد ظهوره واجبا ، ويظهر فيها المستحيل واجبا بعد ظهوره فيها مستحيلا ، ويظهر الحق فيها بصورة الخلق^(٣) ، ويظهر الخلق بصورة الحق^(٤) » « الألوهية في نفسها تقتضى شمول النقيضين وجمع الضدين^(٥) » .

(١) ص ٢٣ ج ١ الإنسان الكامل .

(٢) ص ٤١ ج ٢ المصدر السابق . وتأمل زعمه أن إبليس خلق من نفس محمد !! لقد رمانا الصوفية بالكفر ، لأننا دعوناهم إلى الصلاة على رسول الله بما شرعه الله . فماذا يقولون في الجبلى ؟

(٣) الحق والخلق وجهان أو وصفان للذات الإلهية فالأول باعتبار باطنها ، والآخر باعتبار ظاهرها .

(٤) ص ٢٧ ج ١ المصدر السابق . (٥) ص ٦٩ ج ١ نفس المصدر ،

«تجمعت الأضدادُ في واحدٍ البها وفيه تلاشت قهوعنهن ساطع^(١)»

هذا رب عجيب لم يتدعه غير خيال الصوفية المحبول . رب موجود معدوم
واجب مستحيل ، قديم حديث ، ينعم بالحياة ، ويهلكه الموت ، فهو حي ميت
في آن معاً !! هذا هو رب الصوفية الذي اختلقه الجلي ، وبه تدين الصوفية ،
وإياه يعبدون !!

إله الغزالي^(٢)

ولعل مما يقلق دهشتك ، ويشير ثأرتك أن يُقرَن بأولئك هذا الذي افترى
له الصوفية أضخم لقب في التاريخ ، وهو «حجة الإسلام» ليفتكوا بهذا اللقب
الخداع بما بقي من ومضات النور الشاحبة في قلوب المسلمين . فاسمع إلى كاهن
الصوفية - لا حجة الإسلام - يتحدث عن التوحيد ومراتبه « للتوحيد أربع
مراتب والثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه ، كما صدق به عموم المسلمين ،
وهو اعتقاد العوام !!^(٣) . والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور
الحق ، وهو مقام المقربين ، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ، ولكن يراها على
كثرتها صادرة عن الواحد القهار^(٤) . والرابعة : ألا يرى في الوجود إلا واحداً^(٥)
وهي مشاهدة الصّديّين ، وتسميه الصوفية : الفناء في التوحيد ، لأنه من حيث

(١) ص ٣٣ ج ١ المصدر السابق .

(٢) محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي مات سنة ٥٠٥ هـ

(٣) تدبر وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام في الاعتقاد !!

(٤) في هذه المرتبة يقرر وحدة الفاعل ، بدليل ما سيقرره بعد ، وهو أنه

لا يشاهد إلا فاعلاً واحداً ، فيلزمه نسبة فعل المجرم إلى ذلك الفاعل الواحد .

(٥) قرر فيما سبق وحدة الفاعل ولكنه لم ينف وجود غيره ، أما في هذه ،

فيقرر وحدة الوجود أي وحدة الوجود ، يقرر أن الذوات على كثرتها هي في
الحقيقة ذات واحدة .

لا يرى إلا واحداً ، فلا يرى نفسه أيضاً ، وإذا لم ير نفسه ؛ لكونه مستغرقاً بالتوحيد ، كان فانياً عن نفسه في توحيده ، بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق « ثم يحدثنا الغزالي عن مقامات الموحدين في كل مرتبة ، فيصف صاحب المرتبة الرابعة من التوحيد بقوله : « والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير ، بل من حيث إنه واحد ، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد . فإن قلت . كيف يتصور ألا يشاهد إلا واحداً ، وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة ، وهي كثيرة ؟ فكيف يكون الكثير واحداً ؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات ^(١) ، وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تُسَطَّر في كتاب ^(٢) ، فقد قال العارفون : إفشاء سر الربوبية كفر ^(٣) » ثم يضرب لنا مثلاً عن شهوة الوحدة في الكثرة بقوله : « كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد .. فكذلك كل ماني الوجود من الخالق

(١) بكل المعرفة بأسمى مراتب التوحيد إلى علوم المكاشفات ، فما تلك العلوم ؟ إنها قطعاً شيء آخر غير الكتاب والسنة ، إنها أساطير الصوفية التي استمدوها من « أذواقهم ومواجيدهم » ثم سجلوها في كتبهم ، فكان القرآن وسنة الرسول ليس فيهما ما يصل بالقلب إلى قدس الحق من التوحيد الخالص ، فتدبر تجد الغزالي يهدف إلى صرف المسلمين عن هدى ربهم إلى خرافات الصوفية وضلالاتهم .

(٢) اقرأ بعد هذا قول الله تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وأهم شيء هو توحيد الله في ربوبيته وإلهيته ، ولكن الغزالي يزعم أن حقيقة التوحيد الحق لا يجوز أن تسطر في كتاب ، وهذا معناه أنها ليست في كتاب الله ، وأنه لا يعرفها أحد إلا الصوفية أرباب الكشف !!

(٣) هذا معناه أنه هو وأمثاله من الصوفية يعرفون أسرار الربوبية ، غير أنهم يظنون بها على الكتب ، وأن المسلمين جميعاً لا يعرفون حقيقة التوحيد !! ومعناه مرة أخرى : أن كتاب الله ليس فيه الحق من التوحيد !!

والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار من الاعتبارات واحد ،
وباعتبارات أخرى سواه كثير ومثاله الإنسان ، وإن كان لا يطابق الغرض ،
ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحداً ، ويستبين
بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه ، وتؤمن إيمان تصديق^(١) ،
وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الجلاج^(٢) حيث رأى الخواص يدور في الأسفار
فقال : فيماذا أنت ؟ فقال : أدور في الأسفار ؛ لأصحح حالتي في التوكل ، فقال
الحسين : قد أفنيت عمرك في عمران باطنك ، فأين الفناء في التوحيد ؟ ! فكان
الخواص^(٣) كان في تصحيح المقام الثالث ، فطالبه بالمقام الرابع^(٤) «

(١) بهذا الهراء يستدل الغزالي على الوحدة بين الخلق والخالق ، ويحتم علينا
الإيمان به !! كنا نحب أن يأتينا بآية من كتاب الله ، أو إثارة من فكر صحيح
وبرهان عقلي . بيد أنه لجأ إلى الخيال السقيم يشبه الوحدة بين الله وعباده بالوحدة
بين الإنسان وأعضائه !!

(٢) صلب سنة ٣٠٩ هـ لثبوت زندقته .

(٣) إبراهيم بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص مات سنة ٢٩١ هـ

(٤) كل النصوص التي ذكرتها من كتاب الإحياء للغزالي ج ٤ من ص ٢١٢
وما بعدها ط دار الكتب العربية . وعجيب أن يمجّد الغزالي الجلاج ، وهو يعلم أنه
قائل هذه الآيات :

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

* * *

مزجت روحك في روحي كما تمزج الحمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال

الطواسين للجلاج ص ١٣٠ ، ١٣٢ . عجيب أن يمجّد الغزالي صوفياً يزعم أن
الله آكل شارب ، يحب الحياة ويخاف الموت ، ويمحقه العدم ويقتله الحزن ، وتزل =

أرأيت إلى من صنمته الصوفية باللقب الفخم الضخم ؛ لتفنن به المسلمين عن
هدى الله؟! أرأيت إلى الغزالي يدين بوحدة الوجود، أو الشهود؟! سمها بما شئت ،
فعند الكفر تلتقى الأسطورتان ، لاتقل : إن وحدة الوجود أنشودة من البداية ،
ووحدة الشهود أغرودة عند النهاية ، فكلتاهما بدعة صوفية بيد أنها غارت بين
الاسمين ، وخالفت بين اللونين ، ولكن البصر البصير لا يخذعه اسم الشهد سمي
به السم الناقع !!

كلتاهما زعاف الرقطاء ، غير أن واحدة منهما في كأس من زجاج ، والأخرى
في كأس من ذهب !!

ولقد فضح الغزالي سره حين تمثل في إعجاب بتوحيد الحلاج . وهذا وحده
كاف في إدانة الغزالي بالحلالية ، ولقد علمت ماهي !!

رأى في الغزالي

ولقد فطن إلى حقيقة دين الغزالي المستشرق نيكلسون ، وإلى أنه الثالث
لجرثومة الصوفية ، فقال : « إن الغزالي أوسع المجال لبعض صوفية وحدة الوجود
أمثال ابن عربي وغير هؤلاء من طوائف الصوفية الذين كانوا إخوانا في ذلك
الدين الحر بكل ما لكلمة الدين الحر من معنى^(١) » ولقد كنا نحب أن يفتن إلى
ذلك بعض من يمجدون الغزالي ، كما فطن إليه ذلك المستشرق المسيحي^(٢) !!

= به الشهوات ، لأنه عين خلقه !! ألم يجد الغزالي من المؤمنين من يتمثل به في
بلوغ أسمی مراتب التوحيد؟ ألم يعطفه توحيد أبي بكر وعمر ، فينصرف عنهما إلى
تمجيد زندقة الحلاج؟! .

(١) ص ١٠٤ « في التصوف الإسلامي » ترجمة الدكتور عفيفي .

(٢) سبقه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رضی الله عنه ، فكشف كشافاً
صريحاً مؤيداً بالنصوص القاطعة عن صوفية الغزالي وإن كان لم يستشهد بتلك
النصوص التي نقلتها من الإحياء فيما قرأت لشيخ الإسلام .

ويقول جولدزيهر : « وابن عربي الذي أشرنا من قبل إلى تأثيره بالغزالي يخضع تفسيره الذي نحاه فيه منحى التأويل إخضاعاً تاماً لوجهة النظر التي أخذ بها الغزالي^(١) ! » ويقول : « خلص الغزالي الصوفية من عزلتها التي ألفاها عليها ، وأنقذها من انفصالها عن الديانة الرسمية ، وجعل منها عنصراً مألوفاً في الحياة الدينية ، وفي الإسلام ، ورغب في الاستعانة بالآراء والتعاليم المتعلقة بالتصوف ، لكي ينفث في المظاهر الدينية الجامدة « كذا !! » .. قوة روحية^(٢) » ويقول : « إن الغزالي رفع من شأن الآراء الصوفية ، وجعلها من العوامل الفعالة في الحياة الدينية في الإسلام^(٣) » وهكذا لم يعمل الغزالي للإسلام بل للصوفية ، وبعد أن كان المسلمون على حذر من سمها ، وفي انفصال تام عنها حملهم بسحر بيانه على أن يعتنقوا أساطيرها . ويقول كارل بكر « ولقد سادت روح « الغنوص » فرق صدر الإسلام كلها ، ثم سادت التصوف الذي كان يعد في البدء بدعة خارجة عن الدين ، ولكنه أصبح بفضل الغزالي خالياً من السم معترفاً به من أهل السنة^(٤) » هذا هو خطر الغزالي !! صور التصوف للمسلمين رحيماً خالياً من السم ، فترشفوه ، ففتك بهم رأى في خطر وحدة الوجود

يقول « نيكلسون » : « إن الإسلام يفقد كل معناه ، ويصبح اسماً على غير مسمى ، لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها بـ « لا إله إلا الله » أصبح المراد بها : لا موجود - على الحقيقة إلا الله . وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة قضاء تام على كل معالم الدين المنزل ، ومحو لهذه المعالم محو كاملاً »

(١) ص ٢٥٩ مذاهب التفسير لجولد زيهر .

(٢) ص ١٥٩ العقيدة والشريعة لجولد زيهر .

(٣) ص ١٦١ نفس المصدر .

(٤) ص ١٠ التراث اليوناني ترجمة الدكتور بدوى .

حقيقة ساطعة ، يقرها مسيحي ، ويكفر بها شيوخ كبار يزعمون أنهم أحبار الدين وأئمتة !! وهل المقام الرابع للتوحيد في دين الغزالي إلا مقام القائلين « لا موجود إلا الله » ؟ بل إنها لتسيحة الصوفية في العشايا والأبكار !! وإني لعلى بينة من أنى بهذا الحق الذى أشهد به ، أثير نائرة الكبار من الشيوخ ، فكتاب « الإحياء » قرآنهم الأول . وبما يهرف الغزالي فيه ، يؤولون كتاب الله ، ويحرفون آياته . وفي وجه الحق من هدى الله يرفعون ضلالة الأساطير من « الإحياء » وخرافة الأوهام من « المشكاة » !!

ولكنى أصرخ بالحق في وجوه الثائرين : رُوَيْدَكم !! فما نُؤَلِّه من دون الله أحداً ، وما نتخذ كتاباً يهديننا غير كتابه ، ولا قدوة غير رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نسجد لضم ، ولا ننعق بطاغوت ، وإن يكن هو الغزالي ، أو كتبه^(١) !!

دَنْدَنَةُ الغزالي بوحدة الوجود

يقول : « العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة ، اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق ، ولكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علمياً^(٢) ومنهم من صار له ذوقاً وحالاً^(٣) ، وانتفت عنهم الكثرة بالكافية ، واستغرقوا بالفردانية المحضة ، فلم يبق عندهم إلا الله ، فسكروا سكرأ ، وقع دونه سلطان

(١) يحاول السبكي في كتابه طبقات الشافعية تبرئة ساحة الغزالي بزعمه أنه اشتغل في أخريات أيامه بالكتاب والسنة ، ونحن نسأل الله أن يكون ذلك حقاً ، ولكن لا بد من تحذير المسلمين جميعاً من تراث الغزالي ، فكل ماله من كتب في أيديهم تراث صوفي ، ولم يترك لنا في أخريات أيامه كتابا يدل على أنه اشتغل بالكتاب والسنة .

(٢) أى وصل إليها عن طريق الدليل والبرهان .

(٣) أى وصل إليها عن طريق الكشف والإلهام .

عقولهم ، فقال بعضهم : أنا الحق^(١) ! . وقال الآخر : سبحانى ! . ما أعظم شأنى^(٢) !
وقال الآخر : ما فى الجبة إلا الله^(٣) وكلام العاشق فى حال السكر ، يطوى ،
ولا يُحكى^(٤) ! . فلما خف عنهم سكرهم ، وردوا إلى سلطان العقل ، عرفوا أن
ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ، بل يشبه الاتحاد ، مثل قول العاشق فى حال فرط العشق :
أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا^(٥)

وتسمى هذه الحالة بالإضافة إلى المستغرق فيها باسان المجاز : اتحادا ، وبلسان
الحقيقة توحيداً . ووراء هذه الحقائق أسرار لا يجوز الخوض فيها^(٦) «توحيد من؟؟
أتوحيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أم توحيد البررة الأخيار من أصحابه ؟ أجبوا
ياضحايا الغزالي وسدنة الأصنام من كتبه ؟

(١) قائلها طيفور البسطامى .

(٢) قائلها البسطامى .

(٣) قائلها الحلّاج .

(٤) يصف الغزالي هذه المجوسية الصوفية بأنها هتفات أرواح سكرت بعشق الله ،
ولم يجد الغزالي ما ينقد به هذه الصوفية - إن عدته تقدراً - سوى قوله : وكلام
العاشق يطوى ولا يحكى !! ولكن ما حكم الله ياغزالي ؟ لايجيب !! ، ولكنه حكم
من قبل بأن ذلك أسمى مراتب التوحيد !!

(٥) البيت للحلاج وانظر ص ٣٤ طواسين ، والبيت الذى بعده .

فإذا أبصرتنى ، أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا

والغزالي يعرف أن ذلك للحلاج غير أنه يتستر على شيطان وحيه ، والحلاج
حلولى يؤمن بثنائية الحقيقة الإلهية ، فيزعم أن الإله : له وجهان ، أو طبيعتان هما :
اللاهوت والناسوت ، وقد حل الأول فى الآخر . فروح الإنسان هى لاهوت الحقيقة
الإلهية ، وبدنه ناسوته . فإذا كان الغزالي قد رفض القول بالاتحاد ، ودان بما
يشبهه ، فقد آمن بما هو أخبث منه ، وهو الحلول . بدليل استشاده بالبيت الذى عبر
به الحلّاج عن حلوليته !!

(٦) ص ١٢٢ مشكاة الأنوار للغزالي ط ١٩٣٤ م

زَمَزَمَاتُ الْغَزَالِي بِالْوَحْدَةِ

وأصيخُ إلى زمزَمات الغزالي بأسطورة الوحدة : « السكل من نوره ، بل هو لا هُوِيَّةٌ^(١) لغيره إلا بالمجاز ، فأذن لا نور إلا هو ، وسائر الأنوار أنوارٌ من الوجه الذي تليه ، لا من ذاتها ، فَوَجْهُ كُلِّ مُوَجَّهٍ إِلَيْهِ وَمُوَلِّ شَطْرِهِ (أَيْنَا تَوَلَّوْا ، فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ) ، فأذن لا إله إلا هو ، فإن الإله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة ، والتأليه ، أعنى وجوه القلوب ، فإنها الأنوار والأرواح ، بل كما لا إله إلا هو ، فلا هو إلا هو ، فإن هو : عبارة عما إليه الإشارة ، وكيفما كان ، فلا إشارة إلا إليه ، بل كلما أشرت ، فهو بالحقيقة الإشارة إليه^(٢) » يفترى أن كل هوية في الوجود ، هي عين هوية الله سبحانه ، أى حقيقته ! . ولذا لا يمكن أن تقع إشارة ما إلا عليه ! . فإن أشرت إلى صنم ، أو ميت ، فكلمتا إشارتلك واقعة على رب الغزالي ، ولم لا ؟ وماهية الصنم أو حقيقته هي عين ماهية الرب الغزالي .

تلك هي الأسطورة التي ابتدعها الغزالي ، ووصى بها كهنة الصوفية من بعده !! وإليك هينمة الموبدان بخرافة الوحدة مرة أخرى : « لا إله إلا الله توحيد العوام ! ولا هو إلا هو توحيد الخواص^(٣) ! لأن ذلك أعم ، وهذا أخص

(١) الهوية عند الصوفية هي : الحقيقة الباطنة للذات الإلهية ، أو هي الذات قبل التعيين في مادة ، يزعم بهذا أن كل ما تحقق من إثبات الوجود ، فباطنها هوية الله !!
(٢) ص ١٢٤ مشكاة الأنوار للغزالي . وتلك هي الطامة الغزالية ؛ إذ يزعم أنك مهما أشرت إلى شيء ما ، فأشارتك في الحقيقة واقعة على الله ؛ لأنه عين ذلك الشيء المشار إليه !!

(٣) يزعم أن الإيمان بما توجهه كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » هو توحيد العوام !! لأنه يثبت لله وحده الربوبية والإلهية ، وينفيهما عن غيره . ويثبت بالتالي وجود خلاق وخلق ، وفي هذا ، أى في إثبات وجودين ، أو موجودين يغاير أحدهما الآخر ثنائية تناقض صرافة الوحدة ، وهذا شرك عند الصوفية وكاهنهم . ولذا يهت « لا إله إلا الله » بأنها توحيد العوام . يهتها بذلك ، وهى توحيد الرسل جميعاً !! =

وأشمل وأحق وأدق ، وأدخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة .
ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية ، فليس وراء ذلك مِرْقَاة ! إذ الرقي
لا يُتصَوَّر إلا بكثرة ، فإنه نوع إضافة يستدعي مامن الارتقاء ، وما إليه الارتقاء ،
وإذا ارتفعت الكثرة ، حققت الوحدة ، وبطلت الإضافة ، وطاحت الإشارة ،
فلم يبق علو ، ولا سفل ^(١) ، ولا نازل ، ولا مرتفع ، فاستحال الترقّي ، واستحال
العروج ، فليس وراء الأعلى عُلُوٌّ ولا مع الوحدة كثرة ، ولا مع انتفاء الكثرة
عروج ، فإن كان ثم تغيير من حال ، فالنزول إلى السماء الدنيا ، أعني بالإشراق
من علو إلى أسفل ، لأن الأعلى - وإن لم يكن له أعلى - فله أسفل ، وهو من
العلم الذي هو كنهه المكنون الذي لا يعلمه إلا العلماء بالله ، فإذا نطقوا به ، لم
ينكره إلا أهل الغرّة بالله ^(٢) .

== أما توحيد الخواص عنده ، فكأتمته «لا هو إلا هو» لأنها تثبت وجوداً واحداً ،
وتنفي الغيرية والكثرة والتعدد ، تثبت موجوداً واحداً تنوعت مظاهره ، فسميت
خلقاً ، وتنفي المغايرة بين من نسبهم الخلق وبين من نسميه الخلاق !! وتثبت أن
وجود الأول عين وجود الثاني ، فكما أنه لا وجود إلا وجوده ، فكذلك لا ذات
إلا ذاته ، أما تلك الكثرة الوهمية في الدوات ، فيؤمن بها عمى القلوب !! هذا
دين الغزالي .

(١) استعمل نفس هذا التعبير العطار الصوفي في تذكرة الأولياء ، ج ٢ ص ٢١٦
(٢) ص ١٢٥ المصدر السابق ، وأقول : إن الله سبحانه أخبر أنه استوى على
عرشه ، وأن الملائكة تعرج إليه ، وأن العمل الصالح يرفعه إليه ولكن الغزالي أبي
إلا أن يرفع في وجه الحق وفي حرمة أصنامه هو ، فزعم استحالة العروج ، ونفاه نفياً
باتاً ، لكيلا يتناقض مع ما يدين به من الوحدة المحضة ، فالقول بعروج أحد إلى الله
إثبات للتعدد أو للكثرة أو للغيرية ، إذ يستلزم وجود من منه العروج ووجود من
إليه العروج ، وهذه ثنائية تنقض أو تناقض الوحدة التي يؤمن بها الغزالي ، وحدة
الوجود ، فإذا قيل بعروج ما ، فالقول به مجازي محض ، إذ العروج ، هو من الذات
الإلهية نفسها بنفسها إلى نفسها ، فالذي منه العروج عين من إليه العروج ، وإذا ==

ثم يتابع الغزالي الحديث عن الله ، فيقول : « له نزول إلى سماء الدنيا وأن ذلك هو نزوله إلى استعمال الحواس ، وتحريك الأعضاء ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « صرت سمعه ... الحديث » فهو السامع والباصر والناطق إذن لا غيره ^(١) » والجملة الأخيرة وحدها صريحة في الكشف عن إيمان الغزالي بالوحدة بين الحق والخلق . إذ يقرر أن كل سامع وباصر وناطق هو الله ! وما إخال مسلماً يلح إمامة من الحق في تلك الأوهام ، ولا شعاعة من التوحيد في تلك الأمشاج الغزالية ، وإنما يحس بيحسوم الوحدة الصوفية ، يطغى بسواده هنا ، وهناك ، ويخفق الأنفاس حتى تحتضر ! ولقد شعر الغزالي بما في مفترياته من شطط متجانف لإثم ، فخاف على باطله أن يقذف عليه بالحق أهله ، فوصف المنكرين لأساطيره بأنهم : أهل غرة ! وَمَنْ أَهْلُ الْغُرَّةِ؟ إنهم الذين يدينون دين الحق من القرآن، ويكفرون بأساطير الغزالي ! ليكن يا كاهن الصوفية ! فما أنت الذي نعرف منه فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة - كما سميت كتاباً لك - وإنما نعرف ذلك من كتاب الله الذي يدينك ، ويحكم عليك بما يصعق عابديك وكهان دينك ^(٢) !

== ما قيل : نازل أو صاعد ، فالنازل هو الصاعد إذ هما ذات واحدة ، والنزول عين الصعود ، إذ هما وصفان متحدان في الحقيقة ؛ مختلفان بالاعتبار ، توصف بهما ذات واحدة في حال واحدة في آن واحد هي الذات الإلهية . فالملائكة الذين يعرجون إلى الله (٧٠ : ٤) تعرج الملائكة والروح إليه) هم عين الذات الإلهية في أسماء آخر لها . والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه ، هو عين الذات الإلهية في وصف آخر لها ، وإلا قلت بالكثرة والتعدد ، وبأن الله غير الخلق !! هذا دين الغزالي فتدبره ، وثمت يلقاك ابن عربي بما تعرفه منه ، ولكن باسم جديد ، وزى ساحر ، ولقب كبير خادع .

(١) ص ١٢٥ المصدر السابق .

(٢) لا تعجب حين ترى الغزالي ينجح في دهاء إلى السلفية في بعض ما كتب ، فللغزالي وجوه عدة كان يرأى بها صنوف الناس في عصره ، فهو أشعري . لأن نظام الملك صاحب المدرسة النظامية أراد على ذلك ، وهو عدو للفلسفة ، لأن الجماهير =

أصنام صغيرة

إله ابن عامر البصرى (١)

ولكيلا ترتاب في أن ما ذكرته لك هو دين الصوفية جميعاً من سلفهم إلى خلفهم ومعاصريهم . أذكر لك دين بعض أصنامهم الصغيرة ، فاسمع إلى ابن عامر في تائيبته التي عارض بها تائية ابن الفارض ، وزنا وقافية ، ولطخها بنفس الزندقة لفارضية !

تجلى لى المحبوب من كل وجهة فشاهدته في كل معنى وصورة
وخاطبني منى بكشف سرائر تعالت عن الأغيار (٢) لطفاً، وجلت
فقال : أتدرى من أنا ؟ قلت : أنت يا

منادى أنا ؛ إذ كنت أنت حقيقتي

بهذا بدأ ابن عامر قصيدته ، فكان صريح الزندقة فيها !

نظرت، فلم أبصر سوى محض وحدة بغير شريك ، قد تغطت بكثرة
تكثر الأشياء، والكُلُّ واحد صفات وذات ضمناً في هوية

ويظل الصوفي يهوى حتى يبلغ القرار السحيق من وحدة الوجود .

== على تلك العداوة ، وهو متكلم ، ولكنه يترأى بعداوته للكلاميين اتقاء غضب الخنايلة ، أما هو في كتبه « المضمون بها على غير أهلها » فصوفي إشراق من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وفي كتبه الأخرى تجسده أشعريا تارة ، وسلفياً مشوباً بأشعرية تارة أخرى . وهكذا كان يلقى كل فريق بالوجه الذي يعرف أنهم يحبونه . لا يهجمه أكان وجه حق ، أم وجه باطل !!

(١) عامر بن عامر أبو الفضل عز الدين توفي غالباً في أواخر القرن الثامن

الهجرى .

(٢) قول المسلم : تعالى الله عن شريك . أما قول الصوفي : تعالى الله عن الأغيار

أى ما ثم غير له ، إذ هو عين كل شيء !!

فأنت أنا ! لا ، بل : أنا أنت^(١) . وحدة

مُنزَّهَةٌ عن كل غير وشركة^(٢)

إله الصدر القونوى^(٣)

يقول في كتابه « راتب الوجود » : « فالإنسان هو الحق ، وهو الذات ، وهو الصفات ، وهو العرش ، وهو الكرسي ، وهو اللوح ، وهو القلم ، وهو الملك ، وهو الجن ، وهو السموات وكواكبها ، وهو الأرضون وما فيها ، وهو العالم الدنياوى ، وهو العالم الأخراوى ، وهو الوجود ، وما حواه ، وهو الحق^(٤) ، وهو الخلق ، وهو القديم ، وهو الحادث^(٥) » وإخال أنى أنتقص من فكرك ، إن حاوت أنا أن أدلك على خطايا الوثنية في بذاء القونوى .

إله النابلسى^(٦)

يقول معقبا على قوله تعالى : (٤٨ : ١٠) إن الذين يبايعونك ، إنما يبايعون الله) يقول : « أخبر تعالى أن نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هو الله تعالى وتقدس وبيعته بيعة الله ، ويده التى مدت للبيعة هى يد الله » ويفسر قول الله لموسى :

(١) يقول لربه : أنا أنت وأنت أنا ، وإبليس فى عتو جحوده وكفره قال لربه : « ١٥ : ٣٦ رب فأنظرنى إلى يوم يعشون » فلم يكفر اللعين كفر الصوفية ، إذ أقر برؤية الله . أما هم ، فيبهتون ربوية الله بأنها عبودية شائنة .

(٢) تائية ابن عامر بتحقيق الشيخ المغربى ط دمشق سنة ١٩٤٨ م

(٣) محمد بن إسحاق توفى سنة ٦٧٣ هـ

(٤) أذكرك بأن الصوفية يعنون بالحق الله سبحانه ، أو هو الحقيقة الإلهية قبل تجليها فى صور خلقية .

(٥) من كتاب مراتب الوجود مخطوط بالظاهرية بدمشق رقم ٥٨٩٥ عام

« نقلا عن الإنسان الكامل ص ١١٥ للدكتور بدوى » .

(٦) عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى توفى سنة ١١٤٣ هـ

(٢٠ : ١٣ وأنا اخترتك) بقوله : « بأن تكون أنا ، وأكون أنا أنت ، فاستمع لما يوحى إليك منى ، وهذا نظير حديث الإنسان الغافل لنفسه ، محدثها ومحدثه » ويفسر قوله سبحانه لموسى (٢٠ : ٣٩ وألقيت عليك محبة منى ، ولتصنع على عيني) بقوله : « أى ذاتى فأظهر بك ، وتغيب أنت ، وتظهر أنت ، وأغيب أنا ، وما هما اثنان ، بل عين واحدة ^(١) » وما ألس من بهتان مُسِفٍ في فجور الزور ، وقحة الكذب ؛ كبهتان النابلسى يزعم أن الصوفية تعتد بالكتاب والسنة في إيمانهم بوحدة الوجود ؛ إذ يقول « إن عمدتنا وعدتنا هو التمسك بالقرآن العظيم وسنة نبيه الكريم في معرفتنا بربنا وإطلاق ما أطلقه على نفسه في كلامه القديم ، وما أطلقه عليه نبيه البر الرحيم ^(٢) » لم يقنع بالكفر السفيه وحده ، فأضاف إليه بهتاناً دنيئاً ؛ إذ يزعم أن كتاب الله هو عدته في التمسك بوحدة الوجود ، ويقينى أنك لو قرأت الفقرة الأخيرة ، وأنت غافل عن عقيدة النابلسى ، لأيقنت أنه مؤمن فاض بنور الحق قلبه ، وهكذا كل صوفى يلبس لكل حال لبوسها ، ويعطيك جانباً منه يرضيك ، حتى إذا سكنت إليه ختلك ، فقتلك !

(١) عن رسالة اسمها « حكم شطح الولى » للنابلسى مخطوطة بالظاهرية بدمشق رقم ٤٠٠٨ تقرأ عن كتاب « شطحات الصوفية ص ١٥٣ للدكتور بدوى »
(٢) نفس المصدر وبمثل هذا الرياء يخدع الصوفية المسلمين عن دينهم ، إذ يلونون الباطل بلون من الحق ، ليمكروا به ، وحق ما يقول جولد زيهر : « كان التصوف خصوصاً هو الذى عنى بتصوير كثير من الأفكار الإفلاطونية المحدثه والغنوصية فى صورة إسلامية ، فعن دوائر التصوف صدر الكثير من الأحاديث الموضوعه التى قصد بها إلى تبرير قواعد التصوف » ويقول : « كل تيار فكرى فى مجرى التاريخ الإسلامى زاول الاتجاه إلى تصحيح نفسه على النص المقدس واتخاذ هذا النص سنداً له على موافقته للإسلام ومطابقتها لما جاء به الرسول ، وبهذا وحده كان يستطيع أن يدعى لنفسه مقاماً وسط هذا النظام الدينى وأن يحتفظ بهذا المقام » انظر ص ٢١٨ التراث اليونانى لبدوى و ص ٣ مذاهب التفسير لجولد زيهر .

بل هكذا كل نحلة تثير على كتاب الله حرب أضغانها ، فهي لا تستطن بتكذيب الله في وحيه ، وإنما تزعم - لتفتن الناس عن دينهم الحق - أنها تقده ولكنها - ومن مقنعة بالأهداف بريائها الخاتل - تضع لألفاظ القرآن معاني ما أنزل الله بها من سلطان ، وليست لها صلة ما بأنفاظها ، اللهم إلا حين تزعم أن الكفر معناه الإيمان ، وأن الباطل هو روح الحق ! ولهذا تجذ تكذيبها لله شرواخبث أنواع التكذيب ، وما البهائية في تخنث كفرها أو القاديانية في مكر دعوتها بالإدليل صدق على ما أقول . فكلتاها تفتري أنها تؤمن بكتاب الله ورسوله ! وكلتاها عدو ألد الخصام لله ، ورسوله ، ولكتبه .

إله ابن بشيش^(١)

للورد الذي افتراه ابن بشيش سحرُ الأمل ، استهلَّ بعد يأس في مشاعر الصوفية ، ورقة البشائر تأسو الدموع وجراح الأحران ، إذ يرونه - على اختلاف طرائقهم - وحيًا ينفع قداسة وربانية ، وصلاة يخشع بها سجدُ الملائك ، وتساييح ترتلها الحور في خمائل الفردوس !

وإليك هذا الورد الذي يضرع به الصوفية في معابد الأصنام كلما قبَّل السحرُ جبين الليل ! « اللهم صل على من منته انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق » همسات غير خافتة بأسطورة الحقيقة الحمديدية الصوفية ، بيد أن هذه همسات تعلقو رويداً رويداً حتى تحول صريحاً وخجلاً في قوله : « ولا شيء إلا وهو به منوط ؛ إذ لولا الواسطة ، لذهب كما قيل الموسوط ، اللهم إنه سرُّك الجامع الدالُّ عليك ، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك » ثم تجنَّ لهفته ، فيهرول مجنون الخطى إلى هتك الستر عن معتقده ، فيضرع إلى الله بهذه الصوفية الملاحدة « وزجَّ بي في بحار الأحديدة^(٢) وانثنى من أوحال التوحيد ،

(١) عبد السلام بن بشيش أو مشيش من كبار شيوخ الشاذلية .

(٢) الأحديدة « هي مجلى الذات ليس للأسماء ، ولا للصفات ، ولا لشيء من

وأغرقتني في عين بحر الوحدة ، حتى لا أرى ، ولا أسمع ، ولا أجد ، ولا أحس إلا بها .

أرأيت إلى الصوفية تحت غلائل السَّحَرِ الوَزْدِيَّةِ ، والليل ساجي السكون لا تسمع فيه سوى رفيف أجنحة الرُّؤْيِ ، وهمسات الأحلام ، والسكون في فيض الجمال الغامر ، والبهاء الساحر يثير في القلب المؤمن أزكى مشاعر الإيمان والحب للخلاق البديع ، فيسجد لله في عبودية خالصة . في هذه الجلوات الروحية ، وفي تلك المجالى حيث يتألق نور الجمال ، ويهمس الليل بنجوى الوداع في سمع الفجر يضرع الصوفية إلى الله أن ينشلهم من أوحال التوحيد !!

إله الدمرداش^(١)

يقول :

لقد كنتُ دهرًا قبل أن يُكشَفَ الغَطَا

إخالُّك أنى ذاكر لك شاكر

فلما أضاء الليل أصبحتُ شاهدًا

بأنك مذكور وأنك ذاكر^(٢)

حتى هذه الزعنفة التائهة تزعم أن الغطاء كُشِفَ عنها فرأت أنها هي الله !!

واسمع إليها تقول :

== مؤثراتها فيه ظهور ، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والحلقية ، وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهر أتم منك إذا استغرقت في ذاتك ، ونسيت اعتباراتك ، وهو أول تنزلات الذات من ظلمة العماء إلى نور المجالى ، وهذه الأحدية في لسان العموم هي الكثرة المتنوعة « هذه هي الأحدية عند الصوفية انظر ص ٣٠ ج ١ الإنسان الكامل للجيلي .

(١) هو محمد الدمرداش الحمدي توفي سنة ٩٢٩ هـ

(٢) ص ١٦ القول الفريد للدمرداش ط ١٣٤٨ هـ

الواحد الموجود في الكل وحده

سوى أنه في الوهم سُمِّيَ بالشَّوى (١)

والكل هنا تم الشبثية المطلقة في عمومها وشمولها ، فما تم إذن عنده من شيء يدركه الحس ، أو يتخيله الوهم ، أو تطيش به الغريزة إلا وهو عين الله ذاتاً وصفة ! ! غير أن الوهم هو الذي حال بين العقول وبين إدراك هذه الحقيقة ، فظنت أن هذه الكائنات المحسَّة ، وتلك الصور الذهنية شيء آخر غير الله ! ولذا يقول : « فلا وجود سوى الله ، والغير وهم وخيال (٢) » .

إله ابن عجيبة (٣)

وهذا الذي تجرَّع الفاطمية الخبيثة ينقل في شرحه لحكم بن عطاء الله هذه الآيات :

أَرَبُّ ، وَعَبْدٌ ، وَنَفْيُ ضِدٌّ ؟ قلت له : ليس ذلك عندي
فقال : ما عندكم ؟ . فقلنا وجودٌ فقد ، وفقدٌ وجدٌ
توحيد حَقٍّ بترك حَقٍّ وليس حَقٌّ سِوَايَ وَحْدِي

ويشرحها بقوله : « ومعناها الإنكار على من أثبت الفرق ، بأن جعل للعبودية محلاً مستقلاً منفصلاً عن أمرار معاني الربوبية ، قائماً بنفسه ، ولا شك أن العبودية تضاد أوصاف الربوبية على هذا الفرق ، وأنت تقول في توحيد الحق : لا ضده ، فقد نقضت كلامك . ولذلك قال : ونفي ضد ؟ ! فالواو بمعنى : مع ، وهو داخل في الإنكار . أي : أيوجد رب . وعبد مستقبل ، مع نفي الضد

(١) ص ١٤ المصدر السابق .

(٢) ص ١٤ المصدر السابق .

(٣) أحمد بن عجيبة الإدريسي الفاسي نسبة إلى فاس بالمغرب توفي في منتصف

القرن الثالث عشر الهجري .

للربوبية ، والعبودية تضاداً أوصاف الربوبية ؟! والحق أن الحق تعالى تجلى بمظاهر
الجمع في قوالب الفرق ، ظهر بعظمة الربوبية في إظهار قوالب العبودية ، فلاشئ ،
معه ^(١) « يريد الفاطمي الخبيث أن يقول : نحن نؤمن بأن الربوبية لا ضد لها ،
فإذا آمننا بوجود عبودية تغاير الربوبية في الذات والصفات . فقد تناقضنا ونقضنا
ماقلناه ، فالذي ينبغي الإيمان به هو الوحدة المطلقة ، هو أن العبد عينُ الرب حتى
لا تناقض قولنا : إن الرب لا ضدَّ له !! ^(٢)

وحسبك هذا من ذلك العليج الفاطمي ! .

إله حسن رضوان ^(٣)

يقول في منظومته الكبرى « روض القلوب » .

فليس في الوجود شيء يشهد سواه ، فالأشياء به توحد
والكثرة الموجودة الموهومة في ذاتها بوحدة معدومة
والحق في الأشياء جميعاً ظاهر وسيره قامت به المظاهر
وكل ذرّة من الذرات تنبئ بأن الكل عين الذات
فوحدة الوجود لا تفارق شيئاً ، ولكن يستفاد الفارق
فبالحدوث والفناء يوصف إذن ، ولا يضر إذ يعرف ^(٤)

ثم يبشر سالك الطريق الصوفي بقوله :

ولا يزال نوره يزيد حتى لديه يكمل التوحيد

(١) ص ٢٠٩ وما بعدها إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة .

(٢) يقول جولد زيهر : « عمد الصوفية إلى إقحام آرائهم في القرآن والحديث
بطريق التأويل ، وهكذا ورثوا الإسلام تركة فيلون » ص ١٤٠ العقيدة والشريعة

(٣) توفي سنة ١٣١٠ هـ أي منذ نيف وستين عاماً !!

(٤) ص ٢٦٩ روض القلوب المستطاب ط ١٣٢٢ هـ

وسر وحدة الوجود ينكشف لعينه ، ومنه ذوقاً يرتشف
فتضمحل الكثرة المشهودة له بنور الوحدة المقصودة
فلا يرى بعينه الموحدة في الكون شيئاً غير ذات واحدة^(١)

من بواكير الزندقة

وأصخ بإسماحة الشيخ إلى فحيح الزندقة ينفث سمها الأول طيفور البسطامي
أبو يزيد : « خرجت من الله إلى الله ، حتى صاح مني في : يا من أنا أنت^(٢) »
وإليه « سبحاني ما أعظم : أني^(٣) » ! .

أرأيت إلى الأصنام الصغيرة . تدين بدين أمها الكبيرة ؟ ! .

تأليه الحيوان النجس

هأنذا شرقت وغربت ، وياسرت ، ويامنت مع الصوفية أجبارة وكهاناً ،
قدامى ومحدثين ، ونقلت عن سلفهم ، وسجل ماضيهم وحاضرهم ، نقلت
ما يدينون به في أمانة لم يجنح بها عن قدسها غل ولا حقد ولا غضب ، نقلت
هذا كله ؛ ليؤمن من لا يزال على فكره وقلبه غشاوة من سحر الصوفية ، أن
الصوفية - قديماً وحديثاً في النصرانية ، وفي اليهودية ، وفي دين من خدعوك
بأنهم مسلمون - تؤمن بأن هذا الكون كله ، حتى جيفه وريمه وخنازيره ،
وكلابه ماهو إلا حقيقة الرب الأعظم « هوية وإنية » . ولذا ينقل محمد بهاء الدين
عن زعيم صوفي قوله :

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة^(٤)

(١) ص ١١٥ المصدر السابق .

(٢) ص ١٦٠ ج ١ تذكرة الأولياء .

(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .

(٤) النفحات الأقدسية شرح الصلوات الإدريسية ط ١٣١٤ هـ .

وناقل هذا صوفي يتمثل بهذا البيت للصوفي في روعة الحب الخاشع ،
ليكشف لك عن روحانية الجمال الصوفي ! .

هذه هي الصوفية في كتابها ، فماذا ترى ؟ تؤمن بأن الله هو عين خلقه ، وبأن
الماخور عر بدت فيه الأبالسة ، عين المسجد تَدَبَّتْ فيه الرسل ! . وأن الوثنية
السامرية عين التوحيد الحق ، وأن الحج إلى مَبَسْكَ اليهود ، أو « كَرْمَل ^(١) »
البهائية عين الحج إلى بيت الله . وما والله رميت الصوفية بفرية ، بل بما يدينون
به ، ويدعون إليه ، ويحبون أن يُعْرَفُوا به ، فما رأى سماحة الشيخ الكبير؟ ^(٢) .

نور من القرآن

وإشفاقاً على الصوفية أن يجدوا مشقةً في إِبْصَارِ الحق المتلألئ . ، أذكرهم

(١) حيث توت رمة الهالك ميرزا حسين على الملقب بهاء الله !!

(٢) قبل رأى الشيخ تنقل آراء بعض المستشرقين فيما جاء به الإسلام من
التوحيد ، فهذا غستاف لوبون يقول - وهو يتحدث عن وحدة الوجود - : « إن
الإسلام يختلف عن النصرانية ، ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسى ،
فالإله الواحد الذى دعا إليه الإسلام مهيمن على كل شيء ، ولا تخف به الملائكة
والقديسون وغيرهم ، وللإسلام وحده كل الفخار ، بأنه أول دين أدخل التوحيد
المحض ، والإسلام وإدراكه سهل خال مما نراه في الأديان الأخرى ، ويأباه الذوق
السليم من المتناقضات والغوامض ، ولا شيء أكثر وضوحاً ، وأقل غموضاً من
أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد ، وبمساواة جميع الناس أمام الله » ص ١٥٨
حفازة العرب ترجمة عادل زعير ، ويقول سيديو : « من شأن مبدأ التوحيد الجليل
الذى انتشر بين قوم وثنيين أن يضرم الحمية في النفس المتحمسة العالية ، ويسود هذا
المبدأ القرآن وإليه يعود إبداعه ، ويبدو هذا التوحيد المحض جازماً تجاه علم اللاهوت
الذى تورطت فيه الفرق النصرانية ، بعد أن زاد عددها بفعل البدع » ص ٨٨ تاريخ
العرب العام لسيديو ترجمة زعير ثم يقول فى ص ٨٩ من الكتاب : « ومحمد إذ كان
رسول الخالق بلغ أن الله لا ولد له ، وإن إله الكون واحد ، وأن الله مصدر كل
قوة ، وأن إلى الله مرد من لم يحيوا دعوته ، ويود محمد أن يجتذب الناس إلى عبادة
خالق كل شيء بغير واسطة » .

يهدى الله من كتابه الحق ؛ ليعرف حقيقة النور مَنْ يخبط في تيه الظلام ،
ويدرك الحق من دَوَّخه الباطل ، وينعم بالتوحيد من شقى بالشرك ، ولعل
الصوفى الضليل يتخذ من التذكير بآيات الله مَنْجَاةً له ، فيجعلها حَكَمًا يصدع
بالحق والعدالة في شأن الصوفية .

يقول رب العالمين (١٩ : ٩٢ - ٩٤) إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ ، وَعَدَّهُمْ عَدًّا ، وَكَلَّمَهُمْ آتِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا)
(١٠ : ٢-٤) إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ، مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ، ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ ،
فَاعْبُدُوهُ ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ، إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ، وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ، إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ،
ثُمَّ يَعِيدُهُ) .

يقول سبحانه : إنه خالق السموات والأرض ، فتقول الصوفية : لا ، بل
هو عين السموات والأرض ، وما فيهن من دابة ! ويقول سبحانه : إنه يدبر
الأمر ، فتصرخ الصوفية : مَيَّنْ وَبَهْتَان ، فنحن الذين يدبرون الأمر له ! ويقول
الله : ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ ، فاعبدوه ، فيضج كل طاغوت صوفى . لا : بل أنا الله لا إله
إلا أنا ! ويقول جل شأنه : إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ، فتزعم الصوفية : إن معنى الرجوع
هنا أن تعود الذات المتكثرة إلى وحدتها ، فتعود حقًا ، بعد أن كانت خلقًا ! .

(٣٨ - ٣) إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصاً له الدين ،
ألا لله الدين الخالص ، والذين آخذوا من دونه ^(١) أولياء ، مانعدهم ^(٢) إلا ليقربونا
إلى الله زُلْفَى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ، إن الله لا يهدي مَنْ هو
كاذب كفار ^(٣) ، لو أراد الله أن يتخذ ولدًا ، لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه ،

(١) يقولون : أما نحن ، فتتخدم معه !! وهل الشرك إلا هذا ؟

(٢) يقولون : أما نحن فدعوم !! وهل الدعاء إلا العبادة ، أو منح العبادة ؟

(٣) وتزعم الصوفية أن الكاذب الكفار هو الرب الأكبر في صورة كاذب كفار

هو الله الواحد القهار ، خلق السموات والأرض بالحق ، يُكَوِّر الليل على النهار ، ويكَوِّر النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر ، كلٌّ يجري لأجلٍ مُسَمًّى ، ألا هو العزيز الغفار ، خلقكم من نفس واحدة ، ثمَّ جعل منها زوجها ، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ، يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظلمات ثلاث^(١) ، ذلكم الله ربكم له الملك^(٢) ، لا إله إلا هو ، فأنَّى تضرّفون ؟ » .

ويقول عز من قائل : (٤٢ : ١٠ ، ١١ وما اختلفتم فيه من شيء ، فحكمه إلى الله^(٣) ذلكم الله ربى عليه توكلت ، وإليه أنيب . فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً^(٤) ومن الأنعام أزواجاً ، يذروكم فيه ، ليس كمثل شيء^(٥) وهو السميع البصير^(٦)) .

(قل : هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد^(٧)) .

(١) وتزعم الصوفية أن ربها هو ذلك الخلق المتطور في ظلمات ثلاث « العماء ، الأحدية ، الواحدية » .

(٢) وتزعم الجبلى أن له الملك في الدارين وتزعم معه كذلك الأخبار !!

(٣) وتقول الصوفية بل حكمه إلى كتب ابن عربي أو الغزالي أو ابن الفارض ، ويقول غيرهم بل : إلى كتب المذاهب الأربعة .

(٤) وتزعم الصوفية أن الله هو الذى جعل نفسه أزواجاً ، فبدا حقاً في صورة خلق ، أو إلهاً في صورة عبد !!

(٥) وتقول الصوفية كما ذكرتك : بل هو عين كل شيء .

(٦) وتقول الصوفية على لسان ابن عربي والغزالي وغيرهما : بل هو عين كل سميع ، وعين كل بصير .

(٧) وتقول الصوفية : بل كل شيء هو له كفواً إذ كل شيء في الوجود هو الذات الإلهية .

فأين أين من هذا التوحيد المشرق بالحق الأعظم . تلك الأساطير الجوسية التي ينعتق بها ابن عربي ، وينعب ابن الفارض ، وينبح الجبلي ، وتعوى الصوفية ؟ ! .

واهاً لشيخ الصوفية الكبير ، أيفار على الصوفية من مسلم يدعوهم إلى الإنابة إلى الله ، ولا يفار على المسلمين مما تجنيه الصوفية عليهم ، حتى لتكاد تزهُقُ ما بقي فيهم من أرقاق شاحبة واهنة ؟ ! .

أيفار على تلك الأساطير ، فيشكو إلى النيابة مسالماً ، يحذر المسلمين من التردّي فيها ؛ ثم لا يفار على الإسلام تكديده له كهنة الصوفية ، وتألو - وعلى نابها الأزرق تتلمّظُ الجرائم - أنها مثاليّة الطهر والحب ومعين الروحانية في الإسلام ؟ ! .

جُبْنُ النفاق

واقعد ناقشت أحد أتباعكم « الغلابة » ، فاعترف بالفصوص ، وأنها حق جليل ، وبالطبقات ، وأنها سجلُّ كرامات مقدسة ، فُجئت بالمسكين صوب المذباغ وكنت أحاضر في مكان كريم ، يصخب عليه « الدراويش » في عيد وثني يحتفل فيه الصوفية بمولد الوثن الزينبي - وبرا الله زينب رضي الله عنها من بهتان الصوفية - ورجوت الدرويش الثائر أن يتلو على الحشود من كرامات الصوفية المسجلة في طبقات الشعراني ، فما إن قرأ كرامة سيده « علي وحيش » ، ورأى الجريمة الباغية ، حتى ضرب الأرض بالكتاب صارخاً مُرتاعاً : هذا مدسوس (١) ! .

(١) يقص الشعراني في طبقاته كرامات سيده علي وحيش معقبا على ذكر كل كرامة بقوله : رضي الله عنه : « كان الشيخ رضي الله عنه يقيم عندنا في خان بنات الخطا !! وكان كل من خرج « أمي بعد اقرار الجريمة الباغية » يقول له : قف ، حتى أشفع فيك ، قبل أن تخرج ، فيشفع فيه !! وكان إذا رأى شيخ بلد ، أو غيره ، ينزله من على الحمار ، ويقول له : أمسك لي رأسها حتى أفعل فيها ، فإن أبي شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة ، وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرون =

فقلت للمسكين المفجوع في معبوده ! : حنانيك ، وهل يمكن أن يكفر الصوفية بهذا الكتاب؟! ، أو يعترفون بأنه مدسوس؟! فأجاب الدرويش - والحقد في عينيه جمرات تتوهج ، وفي بدنه رِغْدَةٌ غَضْبِي - : إن من يدين بهذا ، فهو كافر ! ومن لا يعترف بأنه مدسوس ، فهو كافر ! ثم فر مذعور الرياء ! وهكذا ياسماحة الشيخ ، كلما خشى صوفي افتضاح معبود له ، قال : مدسوس ! حتى إذا خلا إلى شيطانه ، قال : ينفذ الشيخ ما اطلع عليه من قدر الله المغيب ! فعمله طاعة ، لامعصية ! .

وليس هذا شأن الصغار منكم ، بل هو أيضاً شأن أحنباركم الكبار . فقد زعم لي مثل ذلك الزعم شيخ التيجانية في مصر حين صدمته ببهتان ابن عربي أمام دراويشه ، وأمام أناس يحرص على أن يوقروه ، ويعظموه ! .

ولقد قلت لذلك الصوفي الصغير ، كما قلته من بعد لشيخه الكبير : سل الصوفية ، وشيخهم الأكبر ، أن يكفروا بتلك الكتب ، فإن فعلوا . كان الخير الذي تظلموا النفس إلى معينه ، وكفى الله المؤمنين القتال ! .

فهل تستطيع ياسماحة الشيخ أن تصنع باسم الله شيئاً ، كهذا ؟ أيمن أن تصدر بياناً تعترف فيه بالحق غير هيب ، ولا وجل ، فتقول - مثلاً - فيه : « لما في الفصوص والطبقات و ، ... و ... من مخالفة صريحة لدين الحق ، فإننا نأمر أتباعنا ، أن يكفروا بتلك الكتب ؟! » .

أم يمكن - مثلاً آخر - أن تقول : « إن كتاب الفصوص ، أو الطبقات ، أو ... أو ... مدسوس على من نسب إليه ، لأن فيه ، وفيما هو مثله كفرأ ! » ؟ ليتك ياسماحة الشيخ تقدمها إلى الله سالحة ! .

=== عليه « ص ١٣٥ ج ٢ الطبقات ط صبيح . جريمة فسق منكورة تروى بألفاظ فاسقة وأسلوب فاسق . وإذا أبي صاحب الدابة إلا صيانة عرضها من وحيش عطبه وحيش !! ومع هذا يقول الشعراني عن وحيش : « رضى الله عنه » !!

ترى أى رمز فى قول ابن عربى : «العارف من يرى الله فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء»؟! إن ابن عربى خشى أن يتوهم أتباعه حتى «الظرفية» المجازية فى كلمة «فى» أو الحلولية الحلاجية ، وفيها نُسائبة تناقض الوحدة ، خشى ابن عربى ذلك ، فأطاح الوهم بيقينه الجازم ؛ ليؤمن الصوفية بوحدة الوجود إيماناً لاتنال منه شائبة وهم ، ليؤمنوا بأن الله هو عين كل شىء ، وأن كل شىء هو الله ! ومن الأشياء القبيح المُنْتِن ، والعرض الذبيح ، والجريمة يشخب منها الدم البرىء!! أفى ذلك رمز؟ أم بيان صريح وقح الجرأة ، سفية الزندقة!؟

إن الحق بيّنَ بإسماحة الشيخ ، فاهتف به الله ، وانصره الله ، وإلا فالجزاء شديد بين يدى الله (٢ : ١٦٦) إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب ، وتقطع بهم الأسباب)

الفصل الثالث

دين الصوفية فى الرسول

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ، ووالده ، والناس أجمعين»^(١) هذا قول سيد الخلق ، خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . ولقد بلوت مما ذكرتك به دين الصوفية ، فهل لحت فيه حتى لمحمة حيرى من حقى حائر ، أو نفعة ولهى من خير شرود؟! هل لحت منه بارقة خافية من حب لله ، أو لرسوله صلى الله عليه وسلم^(٢)؟ يقينك ، ويقين كل من يتلى الصوفية يجزم

(١) البخارى وأحمد وابن ماجه عن أنس .

(٢) ما أروع تلك الكلمة التى قهر بها الحق حمدونا القصار الصوفى ، فدمغ بها الصوفية حين سئل : ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ فقال : «لأنهم تكلموا =

بأنها ترفع فوق الكتاب المنزّل آية خرافة يهرف بها درويش مأفون تمرور .

أطوار الوجود الصوفية

تدين الصوفية بأن الوجود الإلهي له أطوار ، أو مراتب ، أو تنزلات ، أو تعيّنات أو نسب ، أو إضافات ، فكلها ذات مدلول خرافي واحد !!

وأولى تلك المراتب «العماء» والوجود الإلهي في هذا الطور لا يوصف بوصف ، ولا يُسمّى باسم ، ولا يُعرّف بِمحدّد ولا برسم . أو كما يقول الكمشخاني : « اعلم أن حقيقة الذات الإلهية من حيث هي هي ، امتدادها - أعني مدة بقائها - غير مضبوط لأنها من حيث هي كذلك لا وصف لها ، ولا رسم ، فهي العماء ، إذ لا يمكن

معرفة بوجه من الوجوه ، ما لم تتعيّن بصفة . وأول هذه التعيّنات علمها بذاتها ، فهذه الصفة تنزّل لها من الحضرة الإلهية الذاتية التي لا نعت لها إلى الحضرة الواحديّة التي هي حضرة الأسماء والصفات ، وتسمّى : الحضرة الإلهية^(١) » نقلت لك النص بتمامه ، ليستيقن قلبك بأننا ننصف الصوفية ، فلا تسمّمهم إلا بما يحبون أن يُعرّفوا به . وقد يسمّى الرب الصوفي في تلك المرتبة بالوجود المُطلق ، بيد أن النابلسي في غلوّ التجريد الذي ينتهي به إلى العدم المطلق ، ينزه الوجود في تلك المرتبة حتى عن الإطلاق ، لأن وصفه بالمطلق قيّد ، أو صفة له ، فيستلزم أن يكون المطلق مقيداً ، والمقيّد مطلقاً^(٢) ، فيتوترّ التناقض بين وصفه ، ويستلزم أن تكون له صفة ، وهو مجرد كل التجريد في ذلك الطور عن الاسم والصفة !!

ولقد أراد هذا «العماء ، أو الوجود المطلق» أن يتعيّن في صورة ؛ ليُعرّف

== لعز الإسلام . ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفس ، وطلب الدنيا وقبول الخلق » هذا قول زعيم صوفي في القرن الثالث الهجري فما بالك بما بعده ؟ انظر ص ١٢٥ طبقات الصوفية للسلي

(١) ص ٩٣ جامع الأصول للكمشخاني .

(٢) رغم هذا ، فهو واقع في التناقض ، لأن الوصف بالسلب ، أي عدم

الإطلاق ، قيد أيضاً للوجود ، كالوصف بالإيجاب !!

وليعرف نفسه^(١)!! فتعَيَّنَ في صورة « الحقيقة المحمدية » ، فكانت هي التعيَّنَ الأول للذات الإلهية ، أو الفَتَقَ بعد الرَّتقِ ، أو مِعَبَرَ الوجود من الإطلاق إلى التقييد ، أو من العماء إلى الأحدية ثم الواحدية !!

الحقيقة المحمدية

يعرفها الصوفية بقولهم : « هي الذاتُ مع التعيَّنِ الأول ، ولها الأسماء الحسنى وهي اسم الله الأعظم »^(٢) فحمد الصوفية ليس بشراً ، ولا رسولا ، وإنما هو الذات الإلهية في أسمى مراتبها !!

ويقول الدمرداشي : « حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها ، وهي المسماة بحضرة الجمع ، وأحدية الجمع ، وبها تم الدائرة ، وهي أول مرتبة تعيَّنت في غيب الذات ، وهي الحقيقة المحمدية^(٣) »
ويقول الكشخاني : « صُورُ الحق هو محمد ؛ لتحققه بالحقيقة الأحدية

والواحدية^(٤) » ، فحمد عندهم هو الاسم الأعظم ، فما الاسم الأعظم ؟ إنه « الجامع لجميع الأسماء ، أو هو اسم الذات الإلهية من حيث هي أي المطلقة^(٥) » !!
ومحمد هو الأحدية ! فما هي ؟ إنها « مجلى الذات الإلهية ، ليس للأسماء ، ولا للصفات ، ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور ، فهي اسم لصِرافَةِ الذات

(١) هذه علة وضع الحديث الصوفي « كنت كنزاً مخفياً ، فأردت أن أعرف ، خلقت الخلق ، في عرفوني » ويفسر الصوفية « في » بكلمة « محمد » لأنها تساويها في العدد في حساب الجمل !!

(٢) انظر تحت المادة جامع الأصول في الأولياء للكشخاني والتعريفات للجرجاني

(٣) ص ٧ رساله في معرفة الحقائق لمحمد الدمرداشي .

(٤) ص ١٠٧ جامع الأصول للكشخاني

(٥) ص ٩٢ المصدر السابق .

المُجَرَّدَة عن الاعتبارات الحَقِّيَّة (١) وَالخَلْقِيَّة (٢) .

ومحمد هو الواحدية ، فما هي عندهم ؟ إنها « عبارة عن تجلّي ظهور الذات فيها صفة ، والصفة فيها ذات (٣) » والفرق بين الأحدية والواحدية : « أن الأحدية لا يظهر فيها شيء من الأسماء والصفات ، أما الواحدية فتظهر فيها الأسماء والصفات (٤) » وبهذا يتجلى لك أن الصوفية تعتقد في محمد أنه هو الله سبحانه ذاتاً وصفة ، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وأنه هو الوجود المطلق ، والوجود المقيّد ، أنه كان ولا شيء قبله ، أو معه ، ثم تعيّن في صور مادية سُمّي في واحدة منها بجماد ، وفي أخرى بحيوان ، وهكذا حتى اندرج تحت اسمه كل مسمّى ، وصدقت ماهيّته على كل ماهيّة !

من هدى الله

ذاك هو محمد الصوفية ، أما محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، فقد جلا لنا ربّه وخالفه ، ومن اصطفاه رحمة للعالمين . جلا لنا حقيقته في قوله الحكيم (١٨ : ١١٠ قل : إنما أنا بشر مثلكم بُوحي إلى أنّما إليكم إله واحد) . ترى هل يصدق على كل بشري أنه هو ذات الله ، واسمه الأعظم ؟ إن الدين الصوفي يستلزم هذه الزندقة ، بل يستلزم إطلاق تلك الصفات والأسماء على فرعون وأبي جهل - وغيرهما من طواغيت الكفر - فيصف كلاً منهم بأنه : هو الوجود الإلهي في تعينه الأول ؛ إذ كلهم بشر ! .

ونحن نؤمن - كما هدى القرآن والسنة - بأن أول خلق الله هو القلم أو العرش فمتى خلقت أسطورة الحقيقة الحمديّة الصوفية ؟ ! ونعلم بالتواتر القطعي أن عبد الله

(١) أي لا توصف بأنها حق ، أو خلق في تلك المرتبة .

(٢) (٤ ، ٣ ، ٢) عن جامع الأصول تحت مادتي الأحدية والواحدية وعن الإنسان

الكامل للجيلي ج ١ ص ٣٠

ابن عبد المطلب تزوج بآمنة بنت وهب ، وأنهما أنجبا طفلاً سمي محمداً ، وأنه نشأ نشأة الخير والطهر والشرف والكرامة ، وضىء الطفولة ، نقى الصبا ، ظهور الشباب . فلم يشب نقاء صباه ربيبةً ، ولم تهف بقدر شبابه تَزَعُّهُ هوى ، ولا تَزَعُّهُ صَبَوَةٌ ، فكانت دنياه كلها معبداً يعطيب أصائله وعشاياه وأسحاره بذكر الله وحده .

ونعلم أنه جَدٌّ في الحياة راعى غنم ، ثم تاجرراً ، فكان في حاله المنل الأعلى في الجِدِّ القوي الصالح ، والأمانة التي تعتمد بالتقوى ، والحكمة الحكيمة في كل ما يُصَرِّف به شئون دنياه ، والرعاية التي تقدر الحق والواجب لكل ما حُمِّل من أمانة ، وأنه كان في كل أطوار حياته الكامل في الأدب والخلق ، وحكمة العقل وسمو العاطفة ، ونباغة الفكر ، وقوة الإرادة ومضاء العزيمة ، وجلال الشرف ، وعزة الكرامة ، ونبل المروءة ، وكرم الإيثار والنجدة ، وسماحة النفس ، فلم يضر قلبه إلا حب الله ، ولم تنزع به الإرادة إلا إلى الخير ، ولا العاطفة إلا إلى السمو ، ولا الفكر إلا فيما ينال به رضا الله . جواداً مِسْمَاحاً في سخائه وبرِّه ، محسناً كل الإحسان في كل ما أنعم الله به عليه ، فلم يفضب إلا للحق ، ولم يجبن إلا عن الذنب ، ولم يطمع إلا فيما هو عند الله ، ثم اصطفاه ربه خاتماً للنبيين ، فجاهد في الله حق جهاده ، وبلغ كل ما نُزِّل إليه من ربه ، وشهد الله له بذلك ، ثم قبضه الله إليه بعد أن صارت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فصلوات الله وسلامه عليه .

هذا قبس نستمدى به من حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقل لي عن الحقيقة الحمدية ، تلك الأسطورة الصوفية الموغلة في تيه القدم والعدم : من أبوها ؟ من أمها ؟ ومِمَّ خلقت ؟ ولِمَنْ أُرْسِلَتْ ؟ .

شأن محمد

وتزعم الصوفية أن شأن محمد هو شأن الله !! اسمع إلى صوفي يقول : « شأن

محمد في جميع تصرفاته شأن الله ، فما في الوجود إلا محمد » ويقول : « لا يدري
لحقيقته غاية ، ولا يُعلم لها نهاية ، فهو من الغيب الذي تؤمن به » ويقول : « ولما
كانت بشرية صلى الله عليه وسلم نوراً محضاً ، كانت فضلاته مقدسة طاهرة ،
ولم يكن جسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة ، وهذا النور الحمدي ، هو
المعنى بروح الله المنفوخ في آدم ، فروح الله نور محمد ^(١) »

المهاجر من مكة

يقول ابن عربي : « اللهم أفضِ صِلَةَ صلواتك وسلامتك تسليماتك على أول
التَّعَيِّنَات المفاضة من العماء الربَّاني ^(٢) ، وآخر التَّنزُّلات المضافة إلى النوع
الإنساني ، المهاجر من مكة - كان الله ^(٣) ، ولم يكن معه شيء ثانٍ - إلى المدينة ، وهو
الآن على ما عليه كان ، مُخصي عوالم الحضرات الخمس ^(٤) في وجوده ، سر الهويَّة في
كل شيء سارية ، الجامع بين العبودية والربوبية الشامل للإمكانية والوجودية ^(٥) »
أرأيت إلى قطب الصوفية الأكبر في غيِّ إلحاده الأكبر ، يفترى أن محمداً هو

(١) هذه النصوص عن كتاب النفحات الأقدسية للبيطار ص ٩ ، ١١ ، ١٣
(٢) العماء عند الصوفية « هو الحضرة الأحديية ، وهذه تتعين بالتعين الأول
لأنها محل الكثرة وظهور الحقائق والنسب الأسمائية » جامع الأصول مادة العين .
(٣) نصب لفظ الجلالة باعتباره خبراً لكان ، فيكون معنى الجملة « المهاجر من
مكة كان هو الله » .

(٤) يجعلها القاشاني ثلاثاً فقط « الفردية وهي حالة وجود الذات الإلهية في عين
الجمع حيث كانت ، ولم يكن معها شيء ثانٍ ، الثانية حضرة الوترية وهي حال بقائها
بعد فناء كل شيء في مقام الجمع ، الثالثة حضرة المعية وهي حالة وجودها مع كل شيء
في عالم التفرقة ، والأولى ماوردت الصفات منها ، والثانية ماصدرت إليها ، والثالثة

ماوردت إليها ثم صدرت عنها » كشف الوجوه الغر ص ١٣٣

(٥) ص ٢ مجموعة الأحزاب ط استامبول سنة ١٢٩٨ هـ

الله ، وتأمل دهاء مكره ، فيما يعبر به عن كفره ، في قوله : « المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثان إلى المدينة » إنك حين تقرأ تلك الجملة دون تدبر ستظن أن فيها خللاً ، وأن جملة « كان الله ، ولم يكن معه شيء ثان » لا صلة لها بما قبلها ، ولا بما بعدها ، وأعترف أني خُدِعتُ ، فظننت أن هذه الجملة مقحمة ، وحررت في إدراك هدف ابن عربي من وضع تلك الجملة التي تبين عن حق كريم بين باطل عربييد وآخر لثيم ! بيد أني عدت إلى النص أتولوه ، وفي فكري دين ابن عربي ، وثمَّتَ بدالي هدفه في وضوح وجلاء ، وتبين لي أن الجملة ليست مقحمة ، وإنما هي لحة دينه وسداه ، فلنعدُّ إلى الجملة نرتبها كما تحتم قواعد اللغة الصحيحة « المهاجر من مكة إلى المدينة كان الله ، ولم يكن معه شيء ثان » مازدنا شيئاً على قوله ، ولا نقصنا منه ، وكل ما فعلناه هو وضع قوله : « إلى المدينة » موضعه ، بعد أن نأى به ابن عربي عنه ؛ ليمكر به ، ويلتوى على القراء فهمه ! بهذا يبدو لك جلياً أن ابن عربي يفترى أن المهاجر من مكة إلى المدينة لم يكن هو محمداً رسول الله ، وإنما كان هو الله متجلياً في صورة اسمه فيها «محمد» ولا ريب في أنك تعرف أن صاحب الرسول في الهجرة كان أبا بكر غير أن ابن عربي يقول : « ولم يكن معه شيء ثان » يعني أن أبا بكر هو الآخر لم يكن إلا الله متعيناً في صورة اسمه فيها : « أبو بكر » ! .

ومات محمد صلى الله عليه وسلم ، ومات من بعده أبو بكر ! فأئى إله هذا الذي يتجرع غصة الموت مرتين ؟ بل ما ذلك الإله الذي يموت ويحيا في كل لحظة آلاف المرات ؟ ! .

لقد دانت الصوفية بأن الرب الأكبر هو عين خلقه ! وفي كل لحظة يعبر بها الوجود تفنى حياة ، وتنبتق حياة ، فيالصوفية ! يعبدون رباً يموت آلاف المرات ، ويولد آلاف المرات في آن واحد ! .

ومحمد الصوفية له مظهران ، أو اعتباران ، فهو عبد أو خلق باعتبار ظاهره ،

وهو رب أو حَقٌّ باعتبار باطنه ، ولهذا يصفه ابن عربي - باعتبار ظاهره - بأن له العبودية ويصفه - باعتبار باطنه - بأنه له الربوبية ! . يصفه بأن له الإمكانية باعتبار ناسوته ، وبأن له الوجوبية ، باعتبار لاهوته ! .
والنابلسي في شرحه لصلاة ابن بشيش يقول : « ما صلى على محمد إلا محمد ، لأن صلاة العبيد عليه ، صدرت منهم بأمره من صورة اسمه ^(١) » .

كِرَّةٌ مِنَ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ

أما محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم ، فيهدينا الله إلى حقيقته بقوله :
(٣ : ١٤٤ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أَفَإِنْ مَاتَ ، أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ؟) . في قوله سبحانه « قد خلت من قبله الرسل » حجة من الحق تزهد الباطل الصوفي كله .

وأما اعتقاد المسلمين في نبيهم الحق ، فهو أنه صلى الله عليه وسلم « بشر مثلنا يوحى إليه » فالقرآن - وهو كلام الله وهداه ورحمته - يفرض عليهم الإيمان بذلك ، فلا مناص من الإخبات له بالقلب والفكر والشعور ، ويزيدنا القرآن هدى ؛ إذ يقرر أن بشرية الرسول الأعظم مثل بشريتنا ، في أسلوب من القول مشرق الإيجاز في بلاغة البيان وفصاحته ، في أسلوب يفرض على الفكر الإيمان بمعناه البين دون أن يشبه معناه الحق حتى على الأمل الجاهل ، وذلك في قوله (١٨ : ١١٠ قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما الوحي إله واحد) كلام هو الحق والحكمة والهدى في أسلوب جليّ جليّ محكم محكم ، لا يأذن حتى لخاطرة واهية من ظن أن تقتحم عليك قدس يقينك ، أو أن تحوم خفية حوله أو تفسد عليك شيئاً ما من فهمك لمعنى الآية . ومن تدبر « بشر مثلكم » لرأى أشعة الهدى الإلهي الأعظم تغمر حوله الوجود كله ، وتهديك إلى الحق الذي

(١) ص ٥٥٧ مجموع الأحزاب ط استامبول .

يجب أن تؤمن به . ألا تراها تجعل بشريتنا هي المقياس الذي به نقيس بشرية رسول الله الكريم ، حتى لا يفتننا حب هذه البشرية العاهور ، فنظننا خلقاً آخر ، أو نوعاً من البشرية يفاير في حقيقته بشريتنا ، فلا ندرك كنهها ، ولا شيئاً من خصائصها ؛ لأنها لم تتحقق إلا في فرد واحد ؟ لقد كان يكفي في الدلالة على المعنى أن يقال : « قل : أنا بشر » أو « أنتم بشر مثلي » ولكنه سبحانه - وهو الحكيم العليم الخبير - شاء أن يعرفنا بشرية محمد صلى الله عليه وسلم بما نعرفه نحن من خصائص هذه البشرية التي فطرنا عليها ، وبما نبتأيه من قيمها ومقوماتها ، وبما نعالج من غرائزها وعواطفها ^(١) ، وبما نعلمه - عن الله - من حقيقة بدئها . وغاية منتهائها ، وبما تتجاوب به مع رؤود الوجود من حب أو كراهية . ولذا ظم صلى الله عليه وسلم ، وشرب ، وتزوج ، ونجّل خير البنين . وذاق الشبع والجوع والمرض ، ومست قلبه الأحران ، وذرفت عيناه الدموع ، وجاشت نفسه برحمة البكاء ، وغير ذلك مما قضاه الله على البشرية من أقدار في هذه الحياة ، ثم جاءه صلى الله عليه وسلم ملك الموت الذي وُكِّلَ بنا .

غير أن بشريته صلى الله عليه وسلم آمنت حق الإيمان بما هداها الله إليه ، وأنعم عليها به ، فأدت حق الله كاملاً من الحق والشكر ، وحلقت فوق قمة السموات الإنسانية الأعظم ، فكانت وحدها هي النجم الأرفع الأسمى ، وتألقت بعبوديتها الخالصة فوق أعلى أفق للتوحيد الخالص ، فما زلت بها عاطفة لإنم ، ولا هفت بها غريزة إلى ذنب ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم اتخذ الله وحده رباً له ، وجعل رضاه غاية والدعوة إليه هدف كفاحه وجهاده . والغاية العظمى لدنياه ، والفلك الأعظم الذي تدور فيه حياته .

ثم تدبر ما حكّم الله به على المشركين الذين قالوا : (٢٥ : ٧ ما لهذا الرسول

(١) غرائز البشرية الصالحة وعواطفها نفس غرائز البشرية الطالحة وعواطفها في الفطرة والفرق أن صاحب الأولى وجهها وجهة الخير ، ووجهها الآخر وجهة الشر

يَا كُلَّ الطَّعَامِ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ) إنه جل شأنه حكم عليهم بأنهم ضلوا فلا يستطيعون سبيلاً! لتعلم أن هذا الذي استنكره المشركون ليس إلا قدر الله العدل الحكيم الذي قضاه على البشرية، وقسطاً من أقساطها في الوجود. وأنه لا يمس مقام النبوة بأثارة من ضِمة، إذ النبي - قبل كل شيء - بشر، والبشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق! .

وتدبر ما وصف الله به رسوله جميعاً (٢١ : ٩ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) (٢٥ : ٢٠ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق) تدبر هذه الآيات؛ لترد بها فرية الوثنية التي تزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم نجم الحياة الأبدية الخالدة في الدنيا، وأن فضلاته كانت مقدسة طاهرة وإشعاعاً من أضواء الربانية! .

لماذا - إذن - كان يتوضأ صلى الله عليه وسلم، ويتيمم، ويغتسل؟ .

وتدبر خطاب الله لنبيه (٣٩ : ٣٠، ٣١ إنك ميت، وإنهم ميتون) ذكّر موتنا عقب ذكر موته؛ لنهتدى إلى أن الموت الذي قضى علينا هو عين الموت الذي قضى على نبيه صلى الله عليه وسلم! ورغم هذا - على ما فيه من وضوح وجلال - وجد من يزعم أن موت محمد معناه الحياة السرمدية، ووجد من يضع للفظ نقيض معناه، أو يضع للفظ إسفاف الشهوة من هواه! .

يقول الصوفية: «إنه صلى الله عليه وسلم يحضر كل مجالس، أو مكان أراد بجسده وروحه، وأنه يتصرف، ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت،

وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، لم يتبدل منه شيء»^(١) .

وتدبر تلك الآيات التي يعاتب الله فيها سبحانه نبيه: (١٧ : ٧٣، ٧٤، ٧٥ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك؛ لتفتري علينا غيره، وإذا

(١) ص ٢١٩ ج ١ كتاب رماح حزب الرحيم لعمر بن سعيد القونى ط ١٣٤٥

٦ م - هذه هي الصوفية

لَا تَتَّخِذُوكَ خَلِيلاً ، وَلَوْلَا أَنْ تَبَدَّتْكَ ، لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ، إِذَا
لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً) .

وَعِيدٌ جَلِيلٌ الْكِبْرِيَاءِ ، أَحَدِيُّ الْقَهْرِ وَالْجَبْرُوتِ ، أَتَدْرِكُ مِنْهُ وَعِيدَ رَبِّ
لِمَثَلِهِ ، أَوْ لِنَفْسِهِ ، أَمْ وَعِيدٌ قَادِرٌ قَهَارٌ مُتَعَالٍ لَهُ مَلَكَوَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَأَشْرَفَ عِبَادِهِ ، وَخَاتَمَ رِسَالِهِ ؟ ! أَفَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ رَبًّا يَشْرِكُ اللَّهَ فِي رَبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ
- كَزَعَمِ الصُّوفِيَّةِ - أَوْ كَانَ يَبْتَلِيهِ اللَّهُ بِمَثَلِ ذَلِكَ الْوَعِيدِ الَّذِي يَغْمِرُ النَّفْسَ خَشِيَّةً
وَرَهْبَةً ، وَيَقْهَرُ عِبُودِيَّتَهَا قَهْرَ الرِّضَى وَالْحُبِّ عَلَى أَنْ تُحْبِتَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، وَعَلَى أَلَّا
تَتَعَدَى حُدُودَهُ قَيْدَ لِحِظَةٍ ، أَوْ خَاطِرَةٍ ؟ ! .

وَهَلْ أَشَدُّ عَلَى نَفْسِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَتَوَعَّدَهُ اللَّهُ بِفَقْدَانِ النَّصِيرِ ، وَبِعَذَابِ
يَتَجَرَّعُهُ ضِعْفَ الْحَيَاةِ ، وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ؟ ! .

أَفِي قَضَايَا الْعَقْلِ - وَدِينِكُمْ يَوْمُنِ بِرَبُوبِيَّةِ مُحَمَّدٍ - أَنْ يَتَوَعَّدَ الرَّبُّ نَفْسَهُ ،
وَيُنذِرَهَا بِعَذَابِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ تَصْلَاحَ ضَعْفَيْنِ ، وَبِالْوَحْدَةِ الصَّمَاءِ تَقْتُلُ فِي النَّفْسِ
الشُّعُورَ بِالْحَيَاةِ ؟ ! .

أشرف صفات الرسول في أشرف مقاماته

وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَصِفُ رَسُولَهُ بِأَشْرَفِ الصِّفَاتِ - وَهِيَ الْعِبُودِيَّةُ - فِي أَشْرَفِ
مَقَامَاتِهِ ، وَأَخْلَدَهَا ذِكْرًا ، وَأَجْلَاهَا أَثْرًا وَغَايَةَ (١٧ : ١ سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ
لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) يَصِفُهُ رَبُّهُ بِالْعِبُودِيَّةِ الصَّرْفَةِ الْخَالِصَةِ
وَحْدَهَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي اسْتَشْرَفَ فِيهَا قِمَّةَ الشُّمُوسِ الْأَعْظَمِ ، وَتَأَلَّقَتْ أَمْجَادُهُ
الْخَوْلَادِ الذِّكْرِيَّاتِ . آهَ لَوْ قِيلَ : « أَسْرَى بِمُحَمَّدٍ » فَحَسْبُ ، إِذْ لَرَّاحِ الصُّوفِيَّةِ
يُشِيرُونَ مَا يَفْتَنُونَ بِهِ مِنْ شَبَهَاتٍ لَا تَجِدُ مِنَ اللَّفْظِ النُّورِ الْقَوِي الَّذِي يَبْدِدُهَا ،
إِذْ لَوْ أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَكُنْ بَشَرًا ، وَلَا عَبْدًا ، وَإِنَّمَا كَانَ رُوحًا إِلَهِيًّا سُخِّرَتْ
لِقُدْرَتِهِ الْآفَاقُ ، وَعُجِّدَتْ لِقَهْرِهِ مُتُونُ الْقَضَاءِ ، فَجَاءَتْ كَلِمَةُ « عَبْدُهُ » فِي الْآيَةِ حُجَّةً

الحقّ المتلألئة التي تبيد الظنون ، وتبدد كل شبهة تختلس الفتنة للعقول بأوهامها .
جاءت برهاناً رََبَانِيّاً - لا ينقض أبداً - على أن محمداً صلى الله عليه وسلم ،
ما كان إلا بشراً يُوحَى إليه ، حتى في تلك الليلة التي وقف فيها ذون عرش ربه
الأعظم ، يقبس من نور الله وهداه ، فما بالك به في كل أصائل عمره وعشاياه ؟ ! .
ويصفه سبحانه بالعبودية في مقام الدعوة إليه (٧٢ : ١٨) وأنه لما قام عبد الله
يدعوه ، كادوا يكونون عليه لُبِداً) وتدبر إضافة « عبد » إلى « الله » ليغمر
يقين الحق قلبك ، فلا يشتبه عليك الفرق الجليل العظيم الكبير بين عبودية محمد
وربوية ربه وألوهيته ، ولا تفتنك مجوسية الصوفية تهمت الحق بزعمها أن محمداً
هو الله !!

ويصفه سبحانه بالعبودية في مقام هو الفَيِّصَل الحق الأكبر بين كون محمد
دعياً ، وكونه نبياً ، ذلك هو مقام التحدّي بالمعجزة العظمى ، معجزة القرآن
(٢٣ : ٢) وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، فاتوا بسورة من مثله) .
والرسول نفسه يضع لنا على الطريق صَوِّى ومنارات ؛ حتى لا نخذ عنه ،
فنهلك ، ويرشدنا إلى الحق ؛ حتى لا تزيع بنا غلواء الشاعرية في الحب ، فيقول
صلى الله عليه وسلم : « لا تطروني ، كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، إنما أنا
عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » ويدوِّى صوته الأخاذ الرائع بصيحة الحق ،
يعظ بها ذلك الصحابي الذي جرفه غلواء الحب ، فقال لنبيه : « أنت سيدنا ! »
فصاح به ؛ ليصمت ، ثم أرسلها تعبر الأجيال والأحقاب والدهور عظة شافية
هادية « إنما السيد الله تبارك وتعالى ^(١) » فما إن تهاومت تحت قبة الفلك
الأصداء الراحشة الخافتة الواهنة المذعورة من قولة الصحابي ، حتى تجاوب الوجود
كله بِدَوِيّ الصيحة الهادية من الرسول ، تحول بين الأخرى وبين أن تظمن

(١) عن حديث رواه النسائي بسند جيد .

في سمع ، أو تهز وترأ من قلب ، وما زالت قلوب المؤمنين تتجاوب بعظة محمد العظيم في حب وإجلال . فصلى الله عليه وسلم .

وفي الصلاة - وهي شعيرة الحب العابد - علمنا الرسول عن أمر ربه أن نشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، ولكن الصوفية تأبى إلا أن تدين بأن ذلك الحق باطل وخطيئة ، فتكذب الله ورسوله ، وتقول : لا بل محمد هو الرب الأعظم !

وفي حديث الشفاعة يقص علينا الرسول صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام - وقد ناشده الخلق أن يستأذن ربه في أن يشفع لهم عيسى عنده - يقول : « اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » ولكن الصوفية تأبى إلا اتهام عيسى بالحق على محمد ، وجحود فضله ، فتقول : لا ، بل هو رب نعبده ، ونضرع إليه أن يهب لنا ما يملكه الله وحده ، فيهتف الصوفية حتى يصكوا سمع الصخر - إن كان له سمع - : « الشفاعة يا محمد !

تدبر ما ذكرتك به من آيات الله ؛ لتؤمن أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، لم يبلغ ما بلغ من عظمة وكمال وسمو إلا بإخلاص الدين لله وحده ، وأنه كان بشراً يوحى إليه ، لا الله ، ولا شريكه كما تفتري الصوفية !

آراء المستشرقين^(١)

ومما يلوع النفس بالحسرة ، والقلب بالأسى أن يدرك المستشرقون - على عداوتهم للإسلام - هذا الحق ، ويظل الصوفية - ومنهم أحبار كبار يختالون أنهم أئمة الإسلام - مصرين في جحود أصم على عداوة ذلك الحق . يقول نيكلسون : « إذا بحثنا في شخصية محمد ، في ضوء ماورد عنه في القرآن من آيات ، وما أثر عنه من الحديث في الصدر الأول ، وجدنا الفرق شاسعاً بين الصورة التي صور بها في

(١) لا أذكر رأي هؤلاء احتجاجاً به ، وإنما هو لبيان أن هذا الحق ، قد أدركه هؤلاء المستشرقون على عداوتهم ، فقرروه . على حين يعاديه الصوفية ويكفرون به .

ذلك العهد ، و بين الصورة التي صَوَّرَ بها الصوفية أولياءهم ، أو تلك الصورة التي صور بها الشيعة إمامهم المعصوم : و ظهر من المقارنة أن صورة شخصية الرسول لا تفضّل عند الموازنة صورة الولى الصوفى ، أو صورة الإمام الشيعى ، إن لم تكن دونهما ، ذلك أن الولى الصوفى والإمام المعصوم ، قد وصفا بجميع الصفات الإلهية ، بينما وصف الرسول فى القرآن بأنه بشر فيه كل ما للبشر من صفات ، وأنه ينزل عليه الوحي من ربه بين آن وآخر ، ولكنه لا يتلقاه مباشرة عن الله ، بل بواسطة الملك ، وأنه لم ير الله قط ، أو يطلع على أسراره ، وأنه لا يتنبأ بالغيب ، ولا يفعل المعجزات ، أو خوارق العادات ، بل هو عبد من عباد الله ورسول من رسله^(١) » ثم يتحدث الرجل عن محمد عند الصوفية ، فيقول : « فمحمد إذن ليس المصدر الذى يستمد منه جميع الأنبياء والأولياء علمهم بالله ، فحسب ، بل هو الحقيقة الإلهية السارية فى الوجود بأسره ، كما أنه العلة الأولى فى خلق كل ما هو مخلوق ، والعقل الكلى الذى يصل ما بين الوجود المطلق « الله » و بين عالم الطبيعة ، وليس العالم إلا صورة الحقيقة المحمدية ، كما أن الحقيقة المحمدية ليست إلا صورة الله^(٢) »

ويقول جولدز بهر : « إن صورة النبي كما صورتها السنة ، قد أصابها التعديل والتحوير ، لسكى تتلاءم مع تقديس الأولياء ، حتى نجم عن ذلك أن العقائد الشعبية ، وضعت صورة للنبي تتعارض تماماً مع البيانات البشرية التي صَوَّرَ بها القرآنُ والسنة مؤسس الإسلام الأول^(٣) » .

ويقول هنيرش بكر : « من الثابت أن الغنوص قد أترفى إيجاد هذه الصورة

(١) ص ١٥٨ فى التصوف الإسلامى ترجمة الدكتور عفيفى .

(٢) ص ١٦٠ المصدر السابق .

(٣) ص ٢٣٤ العقيدة والشريعة لجولدز بهر .

التي صورتها العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة لمحمد، وكان سبباً في إيجاد ما يشبه عبادة محمد، وهذه العبادة، وتلك الصورة مخالفتان لما كان عليه الإسلام الأول كل المخالفة، أما أولياء الله في الإسلام، ففي مقابل الأرواح القدسية في الهلينية « هم الكائنات الروحية الوسيطة بين الذات الإلهية وبين المادة عند الغنوصية » حتى أن محمداً - وهو نموذجهم الأعلى - ينتهي بأن يصبح هو العقل الموجود منذ الأزل، وأن يكون الرحيم المُخَلَّص القدير، وعن طريق هذا المذهب، انقلبت فكرة الوحي التي كانت موجودة في الإسلام الأول إلى ضدها^(٢) .

ويقول فيليب حتى : « والعقيدة الثانية في باب الإيمان هي أن محمداً رسول الله، وخاتم النبيين، وفي علم الإلهيات القرآني ليس محمد إلا بشراً لم يتم الله على يده من العجائب غير إعجاز القرآن، إلا أن التقاليد والأساطير التي اصطفتها العامة، من بعد، نسجت حول هامة الرسول هالة من النور الإلهي^(٣) » وهكذا يدرك يهود ومسيحيون حقائق من الإسلام يتعاضى عنها أحبار الصوفية، لقد تجرد أولئك المستشرقون قليلاً من التجرد، ولكنهم فهموا كثيراً من الفهم الصائب، فوصفوا الحق ببعض صفاته، ولولا أنك على بينة من عقائدكم الأسطورية الباطلة، لظننتهم في قولهم هذا مسلمين يتهجدون في الحاربي في نور من القرآن ! .

أو يرضيك أن يصدع بذلك الحق، قوم لم تلن قلوبهم لدين الحق، وأن يسجد الصوفيون للباطل، يعبدون خرافاته، ويمجدون أساطيره، ويزعمون أنهم أئمة الدين وأعلامه !؟ .

لقد تزعمت باسمحة الشيخ هذه الجماعة التي دَوَّخها الباطل، فمَلَّأ ذَكَرَتهم

(٢) ص ١٢ التراث اليوناني ترجمة الدكتور بدوي .

(٣) ص ١٧٧ ج ١ تاريخ العرب العام لفيليب حتى .

يهدي الله ، وجاهدتهم ؛ لتحملهم عليه ، فيؤمنوا به ، وتنجبت له قلوبهم !؟

كل شيء من نور محمد

بهذا يدين الصوفية ، وفيه يتنزلون ، ولقد عبر الدباغ عن هذه الأسطورة إذ يقول : « اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأرضين وجنات وحجب ، وما فوقها ، وما تحتها إذا جمعت كلها ، وجدت بعضاً من نور النبي ، وأن مجموع نوره ، لو وضع على العرش ، لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش ، لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ، ووضع ذلك النور العظيم عليها ، لتهافتت ، وتساقتت ^(١) » .

ويقول تيجاني : « لما خلق النور المحمدي ، جمع في هذا النور المحمدي جميع أرواح الأنبياء والأولياء جميعاً جمعاً أحدياً ، قبل التفصيل في الوجود العيني ، وذلك في مرتبة العقل الأول ^(٢) » .

ويقول الحلواني في قصيدته « المستجيرة » يخاطب رسول الله .

أنشاك نوراً ساطعاً قبل الوري فرداً لفرد ، والبرية في العدم
ثم استمد جميع مخلوقاته من نورك السامي ، فياعظم الكرم
فلذا إليك الخلق تفزع كلهم في هذه الدنيا ، وفي اليوم الأهم
وإذا دهتهم كربة فرجتها حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم
جد لي ، فإن خزائن الرحمن في يدك اليمين ، وأنت أكرم من قسم ^(٣)

والله تعالى يقول : (٢٣ : ١٢) ولقد خلقتنا الإنسان من سلالة من طين ،
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) ، ومحمد صلى الله عليه وسلم إنسان . وإلا فليأتوا

(١) ص ٨٤ ج ٢ الإبريز .

(٢) ص ١٤ ج الرماح لعمر بن سعيد .

(٣) ص ١٤ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني .

له بصفة أخرى ! والرسول نفسه صلى الله عليه وسلم يقول : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم ^(١) » .

تحدث الرسول عن النور ، وعن خلق منه ، فلم يذكر عن نفسه أنه خلق من نور ، كما ذكر عن الملائكة ، وتحدث عن آدم الأب الأول للبشرية ، وعن خلقه ، وأنه خلق مما ذكر الله في القرآن ، يعني من طين لازب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ابن آدم ! ، فلن تنتسب الحقيقة المحمدية الصوفية !؟ .

وفي كتاب الله آية واحدة تدك وحدها كل ما يوفض إليه الصوفية من نصب أقاموها لهذه الأسطورة ، تلك هي قوله سبحانه لنبيه (: ٣ : ١٢٨ ليس لك من الأمر شيء) وكلمة شيء أوسع كلمة في العربية دلالة على العموم والشمول ، حتى أطلقها بعضهم على الموجود والمعدوم ، بل يعزم ابن عربي دلالتها ، حتى يجعلها تتناول الصور الذهنية ! وفوق هذا جاءت كلمة « شيء » نكرة في سياق النفي فزاد عمومها وشمولها .

وتدبر قوله سبحانه : (٤٦ : ٩ قل : ما كنت بدعاً من الرسل ، وما أدري ما يفعل بي ، ولا بكم ، إن أتبع إلا ما يوحى إليّ ، وما أنا إلا نذير مبين) .

فهل يدين الصوفية في الرسل جميعاً بما يدينون به في محمد ، إذ ليس هو « بدعاً من الرسل » !؟

وتدبر قوله سبحانه لنبيه : (٧٢ : ٢١ ، ٢٢ قل : إني لأملك لكم ضراً ، ولا رشداً ، قل : إني لن يجيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحداً) .

هذا هو هدى القرآن ، فقارن بينه ، وبين ما افتترته الصوفية من إفك حول النور المحمدي الذي خلق منه كل شيء !! وثمّت توقن أنه ليس في الإمكان

(١) مسلم وأحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها .

- حتى في النادر المعجز منه - إيجاد نسب ما بين ما هدى الله إليه وبه من الحق ،
و بين ماضل به الصوفية ، وأضلوا خلقاً كثيراً .

تدبر قول الله تبارك وتعالى في إشراقه ، والحق في جلاله والحكمة في نورها
الإلهي ، وتأمل إنك الصوفية ، تجده قيثاً من الكفر المتقيح !!

أ كان محمد يعرف القرآن قبل نزوله ؟

مما تأفك الصوفية أن جبريل عجب حين رأى محمداً يتلو القرآن قبل أن
يُعلمه إتياءه !! فسأل جبريلُ ، فأجابه النبي : ارفع السترة حين يلتقي إليك
الوحي ، ففعل جبريل ، فرأى محمداً هو الذي يوحى إليه ، فصاح مُسَبِّحاً : منك ،
وإليك يا محمد !!

وما زال يهذي بهذه الأسطورة في الرحاب الفساح من الأزهر رجل لاعم
له سوى إثارة الحرب مؤرثة الأحقاد على الكتاب والسنة !!
ويتناقل هذه الأسطورة صوفي عن صوفي في كل حمأة وثنية ، أو حانة
صوفية . ولم لا ؟ وقد فتح بهذه الفرية أفئوان الصوفية الأكبر ابن عربي ؛ إذ يقول
مفسراً قول الله سبحانه (٢٠ : ١١٤) ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك
وحيه) : « اعلم أن رسول الله أُعطي القرآن مُجَمَّلاً قبل جبريل من غير تفصيل
الآيات والسور ، فقبل له : لا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل ، فتلقه على
الامة مُجَمَّلاً ، فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله (١) » .

ردُّ هذه الفرية

وبطلان هذه الفرية بدهيٌّ يحكم به مَنْ في قلبه بارقة من إيمان ، بيد أن
غشاوة الصوفية على بصائر مُعْتَنِقِيهَا حالت بينها وبين إدراك الحقيقة الإيمانية

(١) ص ٦ الكبريت الأحمر للشعراني على هامش اليواقيت والجواهر

الأولى ، وهى أن رب الوجود هو الله وحده لا شريك له ، فلم لا تحول بينها وبين إدراك بطلان تلك القرية؟! لهذا نذكرك بهدى الله سبحانه : (٥٣ : ٧-٥) علمه شديد القوى ، ذو مِرَّةٍ فاستوى ؛ وهو بالأفق الأعلى) . آيات بينات تهديك إلى أن الذى علم رسول الله القرآن هو جبريل ، وإلى أنه صلى الله عليه وسلم : لم يكن على علم بشيء مامنه قبل أن ينزل جبريل به عليه . (٢٥ : ٣٢ ، ٣٣ . وقال الذين كفروا : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لَنُثِبَّتْ به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل ، إلا جشناك بالحق وأحسن تفسيراً) .

ويقول ابن عربى أنه نزل عليه جملة واحدة ، فقوله قول الكافرين !! ومن قوله سبحانه (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) نؤمن بأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يعلم بآية ما من كتاب ربه إلا فى ليلة القدر ، فمتى علم الرسول القرآن مجملاً؟ أقبل ليلة القدر ، أم بعدها؟ ومن علمه إياه مجملاً؟ أجبريل ، أم غيره؟ اثبتونى بأثارة من علم ، إن كنتم صادقين . ويهب الله للحق برهاناً تنجى به كل ربيبة : (٤٢ : ٥٢) وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ، ولا الإيمان) أيفهم الصوفية ، أم هى اللجاجة فى العناد؟ (١٥ : ١٠ ، ١٦ . وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا : إئت بقرآن غير هذا ، أو بدله ، قل : ما يكون لى أن أبده من تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى إلى ، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ، قل : لو شاء الله ماتلونه عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله ، أفلا تعقلون ؟) .

وفرية الصوفية تناقض هذه الحجة الإلهية على صدق محمد .

أولا يذكر الصوفية أن رسول الله حين فجأه الوحي ، كان يقول - وجبريل

يغطه : « ما أنا بقارىء » ؟ !

وأنه عاد إلى زوجه الطيبة الطهور فى خوف وقلق ، وأن هذه المؤمنة العظيمة

قالت له قَوْلَتَهَا التي طَيَّبَهَا الإيمانُ بروحانيته « والله لا يخزيك الله أبدا »
أفكان يحدث هذا ، أو بعضه ، لو أنه صلى الله عليه وسلم ، كان على بينة
من القرآن ، قبل نزوله عليه ؟ لم قال : ما أنا بقارىء . ؟ يكررها ثلاثاً ؟ لم عاد خائفاً
حتى زملوه ودثروه ؟ لم بثَّ ذات نفسه إلى زوجه خديجة ، ولم ذهب معها إلى
ورقة ابن نوفل ؟! كل هذا حدث منه صلى الله عليه وسلم حتى بعد نزول الوحي
عليه !! أهذه دلائل علم سابق بالقرآن ، ويقين جازم به قبل نزول جبريل عليه به
في ليلة القدر ؟ ، أم دلائل مشاعر نفس مؤمنة تقية ، فخأها من الله سبحانه ، مالم
تكن تدريه من قبل ؟ !

واهاً للصوفية !! تبصر نور الشمس يتوهج ، فتقول بالظلام الدامس !!
كبعض الطير يعشيه النهار !!

ولقد كان أعداء الرسول يسألونه مُخْرِجِينَ مُتَعَنِّتِينَ ، يبتغون تكذيبه ،
والتجديف عليه ، فلم يكن يجيبهم بشيء . - لأنه لا يعرف الجواب - عما سألوه عنه ،
إلا بعد أن ينزل جبريل عليه به . سألوه عن الروح ، وعن فتية الكهف ، وعن
ذى القرنين ، فقال صلى الله عليه وسلم : غدا أجيبكم !! وأنساه حرصه النبيل على
إقامة الحجة عليهم وهدايتهم ، فلم يقل : إن شاء الله ، ففتر عنه الوحي حتى حَزَبَهُ
الأمرُ ، وبلغت به الشدة مبلغها ، ولم لا ؟ وعدوهُ مُتَرَبِّصٌ به ، حريص على
تكذيبه ، وعلى أن يثير الشبهات حول رسالته ، ورغم هذا يفتر عنه الوحي !!
ثم مَنْ الله عليه به ، فعلم عن الله جواب ما سألوه عنه فقال الرسول صلى الله عليه
وسلم لجبريل : « لقد رثتَ علىَّ ، حتى ظنُّ المشركون كل ظن » فنزل قوله
تعالى : (١٩ : ٦٤) وما تنزلُ إلا بأمر ربك^(١) أفكان يحدث هذا ، لو أن
رسول الله ، كان على بينة من القرآن قبل نزوله ؟ لماذا لم يجب مَنْ سألوه ؟ لأنه
لم يكن يعرف الجواب ، ولسكن ابن عربي يكفر بكل تلك الدلائل ، ويفترى

(١) انظر تفسير ابن كثير في هذه الآية .

أسطورتها ، فتتوَّجُّ في الصوفية كالنار في المهشيم ، وتنتشر كالوباء الفتاك ، وتظل
دينا يكتبه الشعرائي ويهرف به حتى الصوفية !!
وعذرنا في إطالة الرد على هذه القرية أنها دين قوم يحسبون على الإسلام ،
ومن أئمتها ، وما زال عدوُّ ربه « فلان » ينعب بها حتى اليوم في رحاب الأزهر ،
يضع بها نعيه ، والمؤذن يقول : الله أكبر !!

تعالوا إلى كلمة سواء

فما رأى صاحب السماحة في تلك الوثنيات ؟ ألا يذكر في نفسك الحسرة ،
وفي أعماق قلبك السعير ، أن ترى الصوفية تبته الحق بما لم يبيته به إلحاد من
قبل ، وتجدد به جحوداً ، ليس كعناده عناد ، ولا كبغيه بغى . لا تدع رُعب
القلق يعصف بك ، فيقلب على السهد جنبك بحثاً عن كيد تكيد لنا به ، بل
(٣ : ٦١ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به
شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) .

نحب أن نحتكم إلى الكتاب والسنة . لا تقولوا : قال فلان ، فما أذكركم
إلا بقول الله . اذكروا ابن عباس حبر هذه الأمة ، وهو يقول لمن جادله بقول نسبه
إلى العمرين : « يوشك أن ينزل الله عليكم ناراً من السماء ، فتحرقكم أ أقول
لكم : قال الله . وتقولون لى : قال أبو بكر ، وقال عمر ؟ » فاحذروا أن يقع بكم
ما أشفق منه ابن عباس على مجادليه ، واختر يا سماحة الشيخ للمحاجة أى مكان
تشاء ، ولن أقول لك قبلها : أنا المصيب ، وإنما أقول لك ما علمه الله لنبيه - وهو
الذى ملأ الله قلبه باليقين الثابت والهدى والحق - (٣٤ : ٣٤ وإنا ، أو إياكم ،
لعلى هدى ، أو فى ضلال مبين) .

أما أن تشكو منا إلى النيابة - ولها احترامها - فهو فرار جبان من صدمة الحق ،
وعجز ذليل فى الدفاع عن الرأى ، ولا ترتضى - رغم ما صنعت بنا - أن تمسك
ريبة من تلك النقائص ، وأنت العالم الكبير الذى تولى من قبل الخطير الكبي
من مناصب الأزهر ! .

الفصل الرابع

وحدة الأديان

آمنت الصوفية بأن الله سبحانه هو عين خلقه ، هذه الأسطورة - أسطورة وحدة الوجود - استلزمت عند الصوفية الإيمان بوحدة الأديان سواء منها مانسجته عناكب الأوهام ، وافترته أساطير الخيال ، وفارت به الشهوات ، أو ما أوحاه الله إلى رسله ، ولهذا آمن الصوفية سلفهم وخلفهم بأن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك ، وبأن الإسلام على هداه و قدسه ، عين الدين المجوسى فى ضلاله ورجسه

دين ابن عربى

وكهدك بى أذكرك بما اختلقوه من إفك حول تلك الأسطورة ؛ ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة .

يقول ابن عربى :

عقد الخلائق فى الإله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما عقده^(١)

ويقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
أعد صار قلبى قابلا كل صورة قعرى لغزلان ، ودير لرهبان
وبيت لأوثان ، وكعبة طائف وألواح توراة ، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه ، فالدين دينى وإيمانى^(٢)

ويحذر ابن عربى أتباعه أن يؤمنوا بدين خاص ، ويكفروا بما سواه ، فيقول :
« فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص ، وتسكفرتا سواه ، فيفوتك خير كثير ، بل

(١) انظر شرح الفصوص لعبد الرحمن جامى شرح الفص الهودى .

(٢) ص ٣٩ ذخائر الأعلام شرح ترجمان الأشواق لابن عربى .

يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه ، فكُن في نفسك « هيولى ^(١) » لصور
المعتقدات كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقْد دون عقْد ،
فالكلُّ مُصِيبٌ ، وكلُّ مُصِيبٍ مأجورٌ ، وكلُّ مأجورٍ سعيدٌ ، وكلُّ سعيدٍ
مَرَضِيٌّ عنه ^(٢) .

وهذا الدين الأسطوري يستلزم حتماً نفي عذاب الآخرة ، فَرَبُّ الصوفية في
دينهم كلُّ مشرك وكلُّ موحدٌ ، ويستحيل أن يعذب الرب نفسه ، ولهذا يقول
ابن عربي :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده وما الوعد الحق ^(٣) عينٌ تُعَايِنُ
وإن دخلوا دارَ الشقاء ، فإنهم على لَذَّةٍ فيها نعيمٌ مُبَايِنُ
نعيمُ جنان الخلدِ فالأمر واحد وبينهما عند التَّجَلِّي تبايُنُ
يُسَمَّى عَذَاباً من عذوبة طعمه وذلك له كالقشر، والقشرُ صان ^(٤)

وهكذا يوغل ابن عربي إيغالاً سحيقاً في الغلوِّ العجيب من التناقض ،
ويكدح شيطانيته ؛ لتبتدع من البدع ما يقضى به على بقية الخير اليتيمة من إيمان
المسلمين ! لقد آمن بأن الرب عين العبد ، وأن الإيمان صنو الكفر حقيقة وغاية ،
فما الذي يمنعه من الإيمان بأن الوعد عين الوعيد ؟ وأن نعيم الجنة وكوثرها عين
عذاب السعير وغسلينها ؟ لم يمنعه شيء ، فصرح كما ترى به ! فأى قضاء على الدين

(١) الهيولى لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة ، وفي الاصطلاح الفلسفي هي
« ما به الشيء بالقوة ، أو جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال
والانفصال » ، وقد استعملها ابن عربي هنا بمعنى القابل ، أي الذي تنطبع فيه صور
المعتقدات كلها ، وينفعل بها ، وتصدر عنه أفعاله طبقاً لمعتقداته المتنوعة .

(٢) ص ١٩١ وما بعدها فصوص الحكم بشرح بالي ط ١٣٠٩ هـ

(٣) يعني بالوعد النعيم في الآخرة ، وبني بالوعيد عذاب الآخرة . يريد من هذا
نفي العذاب مطلقاً في الآخرة حتى للمشركين .

(٤) ص ٩٤ فصوص ج ١ بتحقيق الدكتور تقي الدين

والأخلاق ، أشد طغياناً من ذلك ، إذا كان العمل الصالح يستوى والعمل الخبيث ، وإذا كانت الفضيلة عين الرذيلة ، وإذا كان الخير قرين الشر ، وما مصير الإنسانية لو أنها آمنت بهذه الصوفية ؟ !

الحكم بنجاة فرعون

ولهذا يحكم ابن عربي بنجاة فرعون موسى ، يقول معقبا على قوله تعالى (قرة عين لى ولك) : « فيه قرأت عينها بالسكالم الذى حصل لها ، وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذى أعطاه الله عند الفرق ، فقبضه طاهراً مطهراً ، ليس فيه شيء من الخبث^(١) » ويقول عن فرعون أيضاً : « فنجاه الله من عذاب الآخرة فى نفسه ، ونجى بدنه ، فقد عمته النجاة حساً ومعنى^(٢) » .

واقراً بقية ما افتراه فى « الفص الموسوى » من كتابه الفصوص ، ففيه يفضل فرعون على موسى ! .

دين الجبلى

الجبلى يؤمن بوحدة الوجود ، كما بينت لك ، وأنقل لك هنا نصاً يدينه ، ويكشف عن معتقده هذا ، وهو إيمانه بأن الله عين خلقه .

وما الخلق فى التمثال إلا كثلجة وأنت بها الماء الذى هو تابع
وما الثلج فى تحقيقه غير مائه وغيران فى حكم دعتة الشرائع^(٣)
ولكن يذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء ، والأمر واقع

(١) ص ٢٠١ المصدر السابق .

(٢) ص ٢١٢ المصدر السابق .

(٣) تأمل سخريته بالشرائع ، لا شيء سوى أنها تحكم بالمغايرة بين الخلق والخالق فى الذات والصفات . والجبلى يشبه الوحدة بين الله وخلقته بالوحدة بين الثلج والماء ، فكلاهما عين الآخر ، فالثلج ماء متجمد ، والماء ثلج ذائب ، فالمغايرة بينهما فى الاسم ، لا فى الحقيقة ، كذلك الله وخلقته ، إذ المغايرة بينهما فى الاسم فقط ، كالمغايرة بين الماء فى حال تجمده ، وبينه فى حال ذوبانه .

تَجَمَّعَتِ الأَضْدَادُ فِي وَاحِدِ البَهَا وفيه تَلَاثَتٌ، وَهُوَ غَنِينِ سَاطِعٍ^(١)
وَلِإِيْمَانِ الجَيْلِي بِوَحْدَةِ الوجودِ ، آمِنِ بِوَحْدَةِ الأَدْيَانِ .

وَأَسَلَمْتُ نَفْسِي حَيْثُ أَسَلَمَنِي الهَوَى وَمَالِي عَنِ حَكْمِ الحَيْبِ تَنَازَعِ
فَطَوَّرًا تَرَانِي فِي المَسَاجِدِ رَأَى كَمَا وَإِنِّي طَوَّرًا فِي الكِنَاسِ رَاتِعِ
إِذَا كُنْتُ فِي حَكْمِ الشَّرِيعَةِ عَاصِيَا فَإِنِّي فِي عِلْمِ الحَقِيقَةِ طَائِعِ^(٢)

ويقول مفسراً لا إله إلا الله : « يعنى الإلهية المعبودة ليست إلا أنا ،
فأنا الظاهر في تلك الأوثان ، والأفلاك والطبائع ، وفي كل ما يعبدُه أهلُ كل ملة
ونِحْلَةٍ ، فَمَا تِلْكَ الأَلْهَةُ كُلُّهَا إِلا أَنَا ؛ ولهذا أثبت لهم لفظ الآلهة ، وتسميته لهم
بهذا اللفظ من جهة ما هم عليه في الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية . . . إنه أراد
أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر ، وأن حكم الألهية فيهم حقيقة ، وأنهم
ما عبدوا في جميع ذلك إلا هو ، فقال : لا إله إلا أنا ، أى ما ثمَّ من يُطَلَقُ عليه
اسم الإله إلا وهو أنا . . . لا إله إلا أنا ، أى ما ثمَّ إلا أنا ، وكل ما أطلقوا عليه
اسم الإله ، فهو أنا^(٣) . »

هذه الوثنية الطاغية الجاحدة تُبَشِّرُ بِهَا الصوفية على أنها التوحيد الخالص ،
ورَفِيفُ الرُوحَانِيَةِ مِنْ قُدُسِ السَّمَاءِ !

إبليس عند الجيلي

وعجب يدهش منه العجب ، أن ترى الصوفية حَفِيَّةً دَائِمًا بِتَقْدِيسِ عَدُوِّ اللهِ ،
كفَرَعُونَ ، وَإِبْلِيسَ ، ثُمَّ تَزْعَمُ لِلنَّاسِ أَنْ أَقْطَبَهَا أَحِبَّاءُ اللهِ وَأَوْدَاؤُهُ ، وَأَنَّهُمْ

(١) ص ٣٣ ج ١ الإنسان الكامل للجيلي ط ١٢٩٣ هـ

(٢) ص ١٤٣ ج ١ إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ط ١٢٣١ هـ

(٣) ص ٦٩ ج ١ الإنسان الكامل للجيلي ، وتراه يصبو عبادة الأصنام ،
وعبادة الأفلاك ، وعبادة الطبيعة ، لأن هذه الأشياء التي عبدت ليست إلا ذات الله
متعينة في تلك الصور ، ومسماة بتلك الأسماء !

مشارك أوهية ور بوية ، وأن لهم القدرة الخلاقة القهارة التي تُسخر الوجود كله لقبضتها الظلوم ! لقد مجَّد ابنُ عربي فرعونَ ، حتى فضله على موسى كليم الله ، وهاهو الجيلي يمجِّد إبليس العدو الأول لله وللبشرية !

يقص الله علينا إباء إبليس عن السجود لآدم ، وقوله : « أنا خير منه » فيقول الجيلي : « وهذا الجواب يدل على أن إبليس من أعلم الخلق بأداب الحضرة ، وأعرفهم بالسؤال ، وما يقتضيه من الجواب » وقرأ بقية خطاياها في كتابه « الإنسان الكامل » ؛ لتراه في إعجابه الرائع بإبليس ، وتقديسه له ، وحكمه بأنه في الفردوس يوم القيامة ، يقول الجيلي ص ٤٢ ج ٢ من الإنسان الكامل « لا يُلعن إبليس أي لا يطرد عن الحضرة الإلهية إلا قبل يوم الدين ؛ لأجل ما يقتضيه أصله ، وهي الموانع الطبيعية التي تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الإلهية ، وأما بعد ذلك فإن الطبائع تكون لها من جملة الكمالات فلائمة ، بل قرب محض ، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهي .. قيل إن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسه ، فقيل له : أتصنع هكذا ، وقد طردت من الحضرة ؟ فقال : هي خلعة أفردني الحبيب بها لا يلبسها ملكٌ مقرب ولا نبي مرسل » هذا نص الجيلي بلفظه !

دين ابن الفارض

يقول في تائيته الكبرى :

ففي مجلس الأذكار سَمِعَ مُطَالِجَ ولي حانة الخمار عين طابعة
وما عقد الزُّنَّارَ (١) حُكْمًا سَوَى يَدِي وإن حُلَّ بالإقرار بي، ففهي حَلَّتِ
وإن نار بالتنزيل محرابُ مسجد فما بار بالإجميل هيكَلُ بَيْعَةٍ (٢)
وأسفارُ توراة الكليم لقومه ينجى بها الأجرارُ في كل ليلة

(١) ما يشده النصارى على أوساطهم .

(٢) معبد النصارى .

وإن خَرَّ للأحجار في البَدِّ (١) عاكفٌ
وما زاغت الأبصارُ من كلِّ مِلَّةٍ
وما احتارَ من الشمس عن غِرَّةِ صَبَا (٢)
وإن عبد النارَ المَجوسُ، وما انطفت
فما قصدوا غيري، وإن كان قصدم
حانات الخمر، ومواخير الخطايا، وصلوات (٤) اليهود، وبيع النصارى
وهياكل المَجوس والصابئة، وبيوت الأصنام، ومجالس الذكر، ومساجد الله،
كلها عند ابن الفارض ساح فساح يُعبد فيها الله عبادة يحبها ويرضاها (٥)؛ لأنه
المعبود فيها والعابد!! وهذا المشرك العاكف على الأصنام يسجد لصخورها الصم،
وهذا الصابئ الساجد في معبد الكوكب، وهذا المَجوس يتبتل بضراعتة إلى
النار، وهذا اليهودي التائه يريق الدموع على مَبْكَأه، ويؤجِّج سعير الحقد على
الله، كل هؤلاء عند ابن الفارض على بينة من الهدى والفرقان، فها هم في دينه
إلا الذات الإلهية متعينة في صور بشرية!!

(١) الصنم أو بيت الأصنام .

(٢) مال قلبه .

(٣) يشير إلى ما يقال من أن نار المَجوس التي ظلت تشتعل ألف عام خمدت ليلة

مولد النبي .

(٤) أمكنة عبادتهم .

(٥) يقول جولد زيهر : « مهما تظاهر الصوفيون بتقديرهم للإسلام ، فلغا بيتهم

نزعة مشتركة إلى محو الحدود التي تفصل بين العقائد والأديان ، وعندهم أن هذه

العقائد كلها لها نفس القيمة النسبية إزاء الغاية المثلى التي ينبغي الوصول إليها »

ص ١٥١ العقيدة والشريعة .

الفصل الخامس

شيوخ الصوفية وكراماتهم^(١)

عبادة الأخبار والكهان

ما ألحقت الصوفية في شيء إلخافها في الدعوة إلى اتخاذ شيوخها أربابا من دون الله ، ففرضت على الدرويش أن يكون وطاء ذليلا لشيخه مُسْتَعْبَدَ الفسك سليب الإرادة كجثة الميت في يد الغاسل ، وجعلت هذه العبودية المبهمة أولى الدلائل على طاعة المرید لشيخه ، وعلى حبه له ، وعلى أنه يرقى معارج الوصول إلى حضائر القدس . اسمع إلى طيفور البسطامي يقول : « من لم يكن له أستاذ ، فإمامه الشيطان^(٢) » وإلى صاحب لطائف المنن يزعم : « من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الأتباع ، ويكشف له عن قلبه القناع ، فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له ، دعى لأنسب له^(٣) » وإلى محمد عثمان يقرر آداب المرید مع شيخه : « ومشاهدتك له في كل حال وَرَدَ عليك ، أنه بواسطة إليك يا فتى ، ومنها أن تجلس جلوس الصلاة عنده ، وأن تفنى فيه ، وألا تجلس فوق سجاداته ، وألا تتوضأ بإبريقه ولا تتسكى ، على عكازه ، واسمع ما قال بعض الأصفياء : من قال لشيخه : لم ؟ ! لا يفلح ، ولتسكن محضره في قلبك وخيالك ، فإن غفلت عنه وقتاً ، فهذا من مقتك ، واجتهد في أن تنال مقام الفناء فيه ، فَمِنْ تَمَّ ترقى إلى مقام البقاء به^(٤) » وقد نظمها مصطفى البكري ، فقال :

(١) لا ينكر مسلم إكرام الله لأوليائه بما وعدهم به من أن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ونستطيع أن نعرف من القرآن ما يكرم الله به أولياءه فقد وصفهم الله بأنهم المؤمنون المتقون ، فاقرا في القرآن ما أعد الله للمؤمنين المتقين ، تعرف ما يكرمهم الله به ، ولكنك لن تجد فيه ما يزعمه الصوفية .

(٢) ص ١٤٧ كتاب الفتوحات الإلهية في شرح الباحث الأصلية ط ١٩١٣ م

(٣) ص ١٤٦ المصدر السابق . (٤) الهبات المقتبسة لمحمد عثمان ط ١٩٣٩ م

وسَلِّمَ الأمر له ، لا تعترض ، ولو بعصيانٍ أتى أذى فُرض
وكن لديه مثل مَيِّتٍ فاني لدى مُفَسِّلٍ ؛ لنسى داني
ولا تَطَّأ له على سجادة ولا تَتَمَّ له على وسادة^(١)
وقد سبقه الجليلي بهذا .

وكنُّ عنده كالميت عند مُفَسِّلٍ يُقَلِّبُه كيف يشاء ، وهو مطاوع^(٢)
وتحتم الصوفية على المرید ألا يعصى شيخه في أمر أو نهى ، وإن رآه يخالف
السنة المحمدية^(٣) والسكى يظل الدرؤيش تحت قبضة الشيخ يستذل كرامته ،
ويغصبه ماله وعرضه ، قررت الصوفية على لسان الشعراني أن من أشرك بشيخه
شيخاً آخر وقع في الشرك بالله^(٤) ، وأن من أخذ الطريق على غير شيخه ، كان
على غير دين^(٥) . وكتب الصوفية طاحفةً بمثل تلك المنكرات التي تهدر الكرامة
والقيم الإنسانية النبيلة ، وتجعل من الإنسان لقي طريح الذل والهوان والصغار ،
وموطئاً مستعبداً لكل نعل نجسة باغية الوطء ، تنزوا بالرجس الحقير ، وهذا سر
ماترى عليه الصوفية من انشطارها شطرين ، شطر معبود ، وآخر عابد ، وسرُّ
ما يروعك إذ تبصر شيخاً كبيراً كبيراً يلحق نعل طفل صغير مازال يتعثر في خراءته ،
ويتلطح بنجاسة بوله !! لالشيء سوى أنه حفيد مولاه شيخ الطريقة ، ففيه سرُّه ،
وفيه رَبَّانِيَّتُهُ^(٦) !! وسر مخالفة الصوفية جميعاً عن أمر الله ؛ لما يدينون به من أن

(١) بلغة المرید للبكرى . (٢) منحة الأصحاب للرحبي ص ٧٥

(٣) انظر ص ١٣١ قواعد الصوفية . (٤) ص ١٥٤ المصدر السابق .

(٥) ص ١٠٣ ج ٢ لطائف المنن وقد شاكلوا الإسماعيلية في ذلك إذ يزعمون

أن من أشرك مع إمامه سلطة أخرى أو ارتاب في وجوب الطاعة له ، كان كمن
أضاف للنبي نبياً آخر ، وكن شك في نبوته ، وبذا صار كمن وضع مع الله إلهاً آخر .

انظر ص ٢١٨ العقيدة والشريعة لجولد زيهير .

(٦) نصبت مشيخة الطرق طفلاً سنه خمس سنوات شيخاً لسجادة كبرى في مصر

انظر ص ١٥٤ المجموعة الدمرداشية !!

شيوخهم لا يهسون بهمة إلا عن وحى من الله ، قلوبهم العروش التي استوى عليها برحانيتها ، وسماوات كبريائه وجلاله وجماله ، وأقداس وحيه التي يفيض منها هداه !! يقول القشيري : « من صحب شيخا من الشيوخ ، ثم اعترض عليه بقلبه ، فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة !! على أن الشيوخ قالوا : حقوق الأستاذين لا توبة منها »^(١)

لماذا يتوسل الصوفية بالقبور

لن أجادلك هنا يا سماحة الشيخ في توسل الصوفية بالمقبور ، وبالقبور^(٢) فإنه أهون ما تقترف الصوفية وضحاياها من وثنية ، وأخبارها لا يترآون بالولاء الخاشع لأصنام القبور حبا في المقبور ، بل لما يُجمَع لأوثان الموتى من نذور !!

آراء المستشرقين في التوسل

يقول جولدزيهر : « بقى كثير من عناصر الديانات السابقة للإسلام ، واستأنفت حياتها في المظاهر العديدة الخاصة بتقديس الأولياء . وفي الحق ليس من شيء أشد خروجاً على السنة القديمة من هذا التقديس المبتدع المفسد لجوهر الإسلام والماسخ لحقيقته ، وإن السنن الصادق الحريص على اتباع السنة لا بد أن يعده من قبيل الشرك الذي يستثير كراهيته واشتمزازه » ويتحدث عن تقديس العامة للأولياء ، فيقول : « وأضرحة الأولياء والأماكن المقدسة الأخرى هي موضع عبادتهم التي يرتبط بها أحياناً ما يظنونه العامة من تقديس وثني غليظ لبعض الآثار

(١) ص ١٥١ الرسالة للقشيري .

(٢) قال الجنيد عن قبر معروف السكرحي : « قبر معروف تريق مجرب يستشفى به ويتبرك » انظر ترجمة معروف في الرسالة للقشيري والطبقات للسلي ، وهكذا عبت الصوفية القبور منذ نشأتها !!

والخلفات ، بل إن العامة تخص الأضرحة ذاتها بما لا يقل عن العبادة المحضة » ويتحدث عن الولي المحلي : « ويخشى الواحد منهم أن يحنث في يمين حلف فيه باسم الولي أكثر مما يحمر خجلاً عندما يحلف بالله باطلاً^(١) » ويقول رونلدسن : « بالرغم من التوحيد المصرح به في القرآن فإن الأمم الإسلامية ، لازالت تحتفظ بكثير من العادات الوثنية ؛ فإن من أهم الصفحات في الحياة الدينية للعوام في جميع الأمم الإسلامية ، هو تقديسهم لقبور الصالحين ، وفي هاتين القضيتين ساير العلماء المحدثون^(٢) اندفاع الرأي العام ، وقد أصبح لكل قوم أئمة محليون يزورون قبورهم وآثارهم ، فيفرح ذلك الإمام ، ويشفع لهم ، وينجيهم من الفقر والمرض^(٣) !! » وهكذا يدع الصوفية الفرصة سانحة لعدو الإسلام ، ليجدف عليه بما يقترف الصوفية !! تأمل فيما قاله ، تجده صوفية مُصَوَّرَة بكل خبثها !!

لن أجادلك في التوسل ، وفي أنه شرك أصم ، إذ التوسل خبثُ شرك آخر أشد خبثاً منه ، فالصوفية يعتقدون أن أولياءهم ليسوا بشياً ، وإنما هم آلهة تخلق ما تشاء وتختار ، أوهم - كما نقلنا لك من قبل - ذات الله سبحانه وتعالى تجسدت مرة فكانت تيجانية ، وأخرى ، فكانت نقشبندية ، وأخرى فكانت رفاعية ، أو شاذلية ، أو رُهامية !!

صوفي يخطب الجمعة عارياً

الشعراني كاهن الخطايا الصوفية ، يبشر بها ، ويكافح في سبيل الدعوة إليها ، وعجيب أن ترى الشعراني يعقب على ذكر كل اسم صوفي يتنزى جسده فاحشة

(١) النصوص السابقة عن ص ٢٣٤ ، ٢٣٢ العقيدة والشريعة .

(٢) التعميم خطأ ، فالمحدثون بحق يرون هذه البدعة من الشرك ، ولعله يقصد من وضعوا الأحاديث التي نسبت زوراً إلى رسول الله ، وترشح لقبول هذه البدعة .

(٣) ص ٢٦٦ عقيدة الشيعة .

بقوله : «رضى الله عنه» ! اسمع إلى الكاهن يبشر بهتك العورة كرامة ! « ومنهم الشيخ إبراهيم العريان ، كان يطلع المنبر ، ويخطبهم عريانا ، فيقول : السلطان ، ودمياط ، وباب اللوق ، بين الصورين ، وجامع بلالون ، الحمد لله رب العالمين ، فيحصل للناس بسط عظيم^(١) »

أَمِنْ رَفِيفِ الرُّوحَانِيَةِ بِعَبِيرِ تَقْدِيسِيَةِ مَنْ أُولَى عَلَى حَشْدِ مَحْشُودِ بَعُورَةِ مَكْشُوفَةِ ، وَهَذِيانِ مَحْبُولِ ؟!

تصور ، واجعل خيالك رحيباً رحيباً مُجَنِّحاً بتهاويل الشاعرية ، حتى يمكن أن يتصور مشهد ولى يبارك المصلين بهتك عورته !!

تصور ذلك المعبود يصعد إلى المرقاة الأخيرة من المنبر في يوم الجمعة ، حتى إذا أنعم الشهود فيه الأبصار ، وحدقوا إليه بالأفكار ، ورَنَوْا إليه بالقلوب ، ابتغاء تَرَشُّفِ العِظَةِ الهادية . حتى إذا هَوَّمت عليه النواظر ، وطافت به المشاعر ، وحوَّمت حوله الأحلامُ والعواطف ، هتك الستر عن عورته فضلاً منه ونعمة ؟ ! ذلك المعبود على منبره ، في جامع ، في جمعته يجمع الناس حوله ؛ ليعظهم عظة تصلهم بأسباب السماء ، فيسمعهم ذلك الهراء المحبول ، وهو مُنْهَتِكُ السوءة : « باب اللوق . الخ » .

تلك الصورة الوثنية التي يراها الخيال الفسيح الذي قد يستشرف غيب الأبد ، وَقُنَّةَ الأزل في تصوراته ، ويهب للمستحيل أحياناً وجوداً في تهويماته - يراها أشد استعصاء عليه من تصور وجود المستحيل ، بيد أن الشعراني يؤكد لنا أنها حقيقة صوفية ، فيدين بها ، ويبشر بها ، ويدعو الله أن يَغْمُرَ مُقْتَرِفَهَا برضاه ، ولا يأخذنك العجب ؛ فإنه صوفى ! .

إننا نعرف من كتاب الله أن الآدمية عوقبت على ذنبها الأول بكشف السوءة !

(١) ص ١٢٩ ج ٢ الطبقات للشعراني ط ابن شقرون

(٧ : ٢٢ فدلاها بفرور، فلما ذاقا الشجرة، بدت لهما سؤءاًتهما) .

فإذا يريد الشعراني من دين ؟ .

صوفي يبهت البريء بذنبه

ويمضى الشعراني في تمجيد شيخه العريان فيقول : « وكان يخرج الريح
بحضرة الأكبر، ثم يقول : هذه ضرطة فلان، ويحلف على ذلك، فيخجل ذلك
الكبير منه ^(١) » .

ولشدَّ ما يشدَّخ العجب رأسه من العجب من صوفي يقدر الصوفية
خطاياها، ويجعلون من معجزات قُطبانيتها بهتُ البريء بذنب افتري هو جريرته،
أو بخطيئة « ذوقية » يمجها حتى ذوق الخنفساء ! .

هذا مع استحلال الكذب المفضوح العريان، مقسماً بالله على صدقه ! .
أرأيت إلى الصوفية كيف تعبد خاطئاً ينفث مثل هذه اليحاميم المنتنة الخائفة
في مجالس العظاء، ثم لا يمتعه فساد ذوقه، وسوء أدبه من أن يقذف سواه بذنبه،
ويحلف بالله على صدق بهتانه؟! .

الصوفي يُؤجّر على كشف عورته

وإليك ما يافكه الدباغ : « إن غير الولي إذا انكشفت عورته، نفرت منه
الملائكة الكرام، والمراد بالعورة : العورة الحسية، والعورة المعنوية التي تكون
بذكر المجون وألفاظ السفه، وأما الولي، فإنها لا تنفر منه، إذا وقع له ذلك؛ لأنه
إنما يفعله لغرض صحيح، فيترك ستر عورته لما هو أولى منه ^(٢) » .

لقد جعلها الشعراني كرامة خاصة بالعريان، أما الدباغ، فيجعل من كشف
العورة دستوراً في الولاية الصوفية !، أما الكمشخاني، فيحدثنا عن أنواع الأولياء

(١) نفس الصفحة والمصدر السابق .

(٢) ص ٤٣ ج ٢ الإبريز للدباغ ط ١٢٩٢ هـ

المتصرفين ، فيقول : « والرحمانيون وهم ثلاثة أيضاً ، وهم عند الوحي يجلسون عرايا ، ويسمعون الوحي ويفهمون المراد منه^(١) » ! فتأمل الصوفية تزعم أن أولياءها يسمعون الوحي ! ومن هم ؟ سفهاء عراييد ، اتخذتهم الخطايا دعاة مجونها وسفها ! وألسنة تعبر عن سوءاتها ! .

جرد باسمحة الشيخ كتيبة من علمك ، وسلطان منصبك ؛ لتؤدب هؤلاء الأقطاب الذين يهتكون عوراتكم ، ولعل هذه العورات المتكشفة في فجور أجدر بأن تشكوها إلى النيابة ممن يدعوكم إلى سترها ، ورتق فتوقها المفتضحة ! .

تطور الصوفيين إلى وحوش وغيرها

يقول الشعراني عن الغمري : « ودخل عليه سيدي محمد بن شعيب ، فرآه جالساً في الهواء ، وله سبع عيون » ويقول . عن الشيخ أبو علي : « تدخل عليه تجده جندياً ، ثم تدخل عليه ، فتجده سبعاً ، ثم تدخل عليه فتجده فيلاً . وكان يتبض من الأرض ، ويناول الناس الذهب والفضة »^(٢) .

ترى لو أن مسلماً قتل صوفياً وهو « فيل ، أو سبع » أنلزمه الدية ، أم يلزمه القصاص ؟ يزعم الشعراني أن ذلك الشيخ المتطور إلى فيل وسبع قد قطعه بعض الناس بسيفهم ، وأخذوه في تليس ، ثم أصبحوا ، فوجدوا الشيخ حياً جالساً^(٣) ! خطايا : ثم ذكر الشعراني من جرائم شيوخه ما يفسد الصبي على أمه الطهور بأسلوب تستحي حتى البغي أن تهمس به في حاتها المعربة ، فقرأه ، تجدد ثورة الخطيئة من جسد أوجهه الشبق ! .

(١) ص ١٣٣ جامع الأصول في الأولياء .

(٢) ص ٨٠ ، ٨١ ، ٢ الطبقات .

(٣) ص ٨٠ المصدر السابق

اقرأ ما سجله عن كرامات علي وحيش وأبو خودة^(١)، وغيرها، ثم اذكر ما كان يقترفه المجرمون من جرائم، وبأية جريرة منكرة أخذهم الله أخذة رابية! وثمت ترى الشعراني يجعل من هذه الفاحشة الموبقة كرامة لساتته هؤلاء! معقباً على ذكر كل جريمة يقترفها فاسق منهم بقوله: رضى الله عنه! ولا تعجب، فتلك الجريمة دين الصوفية من قديم. قال يوسف بن الحسين الرازى: «نظرت في آفات الخلق، فعرفت من أين أتوا، ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، وأوراق النسوان^(٢)». وإنه ليعترف بعدها بما يدينه بتلك الخطايا فيقول: «كل ما رأيتهموني أفعله، فافعلوه إلا صحبة الأحداث، فإنه أفتن الفتن^(٣)» ويقول: «عاهدت ربي أكثر من مائة مرة، إلا أصحب حدثاً، ففسخها على حسن الحدود، وقوام القدود، وغنج العيون، وما سألتني الله تعالى معهم عن معصية^(٤)» وبة ص الخراز أنه رأى إبليس في النوم، فقال له: «تركت لي فيكم لطيفة. قلت: ما هي؟ قال: صحبة الأحداث، قال أبو سعيد: وقل من يتخلص من هذا من الصوفية^(٥)».

ولقد وبخ الله سبحانه قوم لوط بقوله: (٢٦: ١٦٥) أتأتون الذكران من العالمين؟ «ولعنهم، وأمطر عليهم حجارة من سجيل، فما بالك بالصوفية، وقد اقترفت هذه الجريمة في صورة نكراء، منكرة مسفة في الخزي والضعفة والحقارة،

(١) ص ١٢٢، ١٣٢ ج ٢ طبقات ط صبيح ويقول الشعراني عن أبي خودة: «وكان رضى الله عنه إذا رأى امرأة، أو أمرداً راوده عن نفسه، وحس على مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس».

(٢) ص ١٩٠ طبقات الصوفية للسلي. (٣) ص ١٨٩ نفس المصدر

(٤) ص ١٩١ نفس المصدر. (٥) ص ٢٢٢ نفس المصدر.

اقتربتها مع الذكران ومع العجاوات من الدواب ! ؟ وأين ؟ على قارعة الطريق ، وعلى مشهد من كل رأنح إلى السوق ، أو غاد منه ! ذلك ما ذكره الشعراني ، وجعله كرامة ربانية لأوليائه ، ويزيدها تفصيلاً ، فيزعم أن « وحيشاً » كان يرغم صاحب الدابة على أن يستذهله عند اقتراف الجريمة^(١) ! وينازعني الحياء ؛ لكيلا أسطر لك جرائم الصوفية بأسلوب الشعراني ، فشد بكتابه ، وطالع فيه أية ترجمة لصوفي ، وثمت تطالعك الجريمة بوجهها الدميم الصفيق الغليظ المنكر !

رمة تتصرف في الوجود

يقول الشعراني : « إن شيخى أخذ على العهد في القبة تجاه وجه سيدى أحمد البدوى ، وسلمنى إليه بيده ، فخرجت اليد الشريفة من القبر^(٢) ، وقبضت على يدى قال سيدى الشناوى : يكون خاطرك عليه ، واجعله تحت نظرك ، فسمعت سيدى أحمد يقول من القبر : نعم ! . ولما دخلت بزوجتى ، وهى بكر ، مكثت خمسة أشهر لم أقرب منها ، فجاء ، وأخذنى ، وهى معى ، وفرش فرشاً فوق ركن قبته ، وطبخ لى حلوى ، ودعا الأحياء والأموات إليه ، وقال : أزل بكارتها هنا ، فكان الأمر تلك الليلة ، وتخلفت عن حضورى للعولد ، وكان هناك بعض الأولياء ، فأخبرنى أن سيدى أحمد البدوى كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ، ويقول : أبطأ عبد الوهاب ، ماجاه ! » ثم يزعم أن البدوى يدعو العرب والمجم

(١) طالعها في الطبقات ج ٢ ص ١٣٥ ط صبيح .

(٢) يذكر الصاوى فى حاشيته على شرح الخريدة للدردير ، أن الرفاعى وقف تجاه قبر الرسول ، وناجاه بهذين البيتين :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها تقبل الأرض عنى ، وهى نائبة

وهذه دولة الأشباح ، قد حضرت فامدد يمينك كى تحظى بها شفقى !!

قالوا : فخرجت اليد من القبر . ويظهر أن الشعرانى أبى إلا أن تكون له وليده البدوى تلك الكرامة !!

ويسوقهم إلى مولده ، وأنه أرى الشعراني كثيراً من الأحياء والأموات من
الشيوخ والزمنى بأكفانهم يمشون ويضحفون معه يحضرون المولد^(١) ! ويقول
عن الحرثي : « قصدته في حاجة ، وأنا فوق سطوح مدرسة أم خوند بمصر ، فرأيت
خرج من قبره يمشى من دمياط . إلى أن صار بيني وبينه نحو خمسة أذرع ، فقال :
عليك بالصبر ، ثم اختفى ! »^(٢) .

هنا يكاد الإنسان يفقد عقله ! إذ لا يتصور حتى يمن به مسكة ولهى من عقل
أن يهرف ، ويخرف بمثل ذلك الخبال ولكن لا عجب ، فكل صوفي عدو للعقل
فوق عداواته للشرع . كل صوفي يؤمن بأن « الذوق » وحده هو وسيلة المعرفة ،
أما العقل عندهم ، فطاغوت أخرق ، وأما الشرع ، فإدائية تنشب مخالفاً في
الصخر ، دون أن ترمق السماء بنظرة واحدة ! أو هو نوع من عبادة التاريخ
الميت ؛ ولهذا تتباين عندهم قيم الأشياء ، تبعاً لتباين الأذواق ! وقد يرى الصوفي
الباطل ، فيما يرى غيره فيه الحق ! ولا يضيرهم أن يتوتر التناقض بين ما يؤمن به
صوفي ، ويكفر به آخر غيره ، فكلاهما في الدين الصوفي على حق .

ولعل هذا سرفريتهم « من اعترض ، انطرد ! » إذ ربما حكمت بالشرع
أو بالعقل على شيء ما بأنه باطل ، وهو في « ذوق^(٣) » شيخك حق ! فتعرض
نفسك للطرد من حظيرته .

(١) اقرأ ترجمة السيد البدوي في طبقات الشعراني .

(٢) ج ٢ ص ١٥٤ المصدر السابق ويروون أن رجلاً قصد إلى ضريح صوفي
« مشتكياً فمد له من القبر بمود الريحان خطاباً مكتوباً فيه بيت من الشعر لم يحف
مداده » انظر ص ٣١٨ ج ٢ شرح الحكم لابن عجيبة .

(٣) يعرف القيصري الذوق بقوله : « ما يجده العالم على سبيل الوجدان والكشف
لا البرهان والكسب ، ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد » ص ١٩٣ مطلع
خصوص الكلم ، أو هو « أول درجات شهود الحق بالحق في أثناء البوارق المتوالية
عند أدنى لبث من التجلي البرقي » ص ١٠١ جامع الأصول للسكشخاني ، ويقول =

على هذا يحمل الشيوخ الدراويش ، ويستعبدونهم ، فاي فعل الشيخ من شيء ،
إلا ويوحى إلى درويشه أنه فعله عن أمر إلهي ، وإن يكن مافعله خطيئة خاطئة .
ولا يملك الدراويش إلا أن يؤمن ! ألا ترى الجنيد يجيب - حين سئل : أيزني
العارف ؟ - بقوله : « نعم ! وكان أمر الله قدراً مقدوراً » ! حَقٌّ لَوْنَه بباطل .
ذلك الجنيد ! زانٍ وبسميه عارفاً ! أي مؤمناً بلغ ذروة الإيمان ، لأنه رأى القضاء
في لوح الغيب فنفذه ^(١) ! .

والرسول يقول « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » .

تنكر الصوفية على العقل أنه وسيلة إلى المعرفة ، ويرهبها حقاً منه أن يحكم
بالمغايرة بين الضدين ، أو بين النقيضين ، وتنكر على الشرع تفرقة بين الإيمان
والكفر ، أو الخير والشر ؛ إذ لا تؤمن بغير « الذوق » سماء وحي ، وقدس إلهام !
ولهذا كان من اصطلاحاتهم المشهورة : « من ذاق عرف » أي من جعل
« الذوق » وحده الوسيلة إلى المعرفة ، كان حقاً من العارفين بكنهه الحقائق الربانية !
أرأيت إلى الشعراني يؤكد أن سيده البدوي حتى رغم تعفن البلي في
رتمته ؟ ! ، وأنه يطبخ ويفسّل ، ويدعو الأحياء والموتى إلى مولده ؟ ! أرأيت

= ابن عربي : « اعلم أن العلوم الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة
مع كونها ترجع إلى عين واحدة » ص ١٠٧ فصوص الحكم ط الحلبي ، ويعني بالعين
الواحدة : الذات الإلهية !!

(١) يقول الدباغ : « إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصى ، وهو ليس
بعاص ، وإنما روحه حجبت ذاته ، فظهرت في صورتها ، فإذا أخذت في المعصية
فليست بمعصية » ص ٤٣٨ ج ٢ الإبريز . ويقول : « يتصور في طور الولاية أن يقعد
الولي مع قوم يشربون الخمر ، وهو يشرب معهم ، فيظنون أنه شارب الخمر ، وإنما
تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت » ص ١٤ المصدر السابق .
وهكذا يقررون أن الرذيلة فضيلة .

إليه يؤكد أنه حين أخطر « الحرثي » في باله ، قام من قبره ، وهروا إلى مصر على قدميه من دمياط؟! .

حجة من الحق

أسألك - وما تُضنني كثرة التساؤل - أهذه الوثنية صلة بقرآن ، أو فكر؟ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وُورى في قبره ، فيعز علي ابنته فاطمة أن يهيل أصحاب أبيها العظيم التراب على وجهه الكريم ، فتقول ملتاعة القلب بالأسى والحزن : « أَوْ هَانَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَهِيلُوا التُّرَابَ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ » .
ويجيبها أنس بالحق ، يأسو في قلبها الحزين لوعة العاطفة ، ويُجلي عنه رَانَ الهموم . « لولا أننا أمرنا بذلك ، ما فعلناه » .

تري لِمَ لَمْ يَفْصِلْ رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْخِصْمَةِ الَّتِي احْتَدَمَتْ بَيْنَ وَزِيرِهِ الْأَوَّلِ أَبِي بَكْرٍ ، وَبَيْنَ ابْنَتِهِ الْحَبِيبَةِ فَاطِمَةَ ؟ . وَلِمَ لَمْ يَحْلُ بَيْنَ عَائِشَةَ وَبَيْنَ يَوْمِ الْجَمَلِ ؟ وَلِمَ لَمْ يُنذِرْ عَمْرًا بِالْمَكِيدَةِ الَّتِي دَبَّرَتْ لَهُ حَتَّى قُتِلَ بِهَا ؟ وَلِمَاذَا لَمْ يَحْلُ بَيْنَ خَنْجَرِ الْمُجُوسِيِّ وَبَيْنَ صَدْرِ عَمْرِ الْغَامِرِ^(١) الْإِيمَانَ ؟ ! . وَلِمَاذَا لَمْ يَحْمِ عُمَانَ ذَا النُّورَيْنِ مِنْ قَاتِلِهِ ؟ ! وَعَلِيًّا مِنَ السَّكِينِ الْخَاتَلَةِ الْقَاتِلَةَ ؟ !

وهذا ريحانته سيد شباب الجنة الحسين رضى الله عنه يحيط به عدوه كاليأس الظلوم بالأمل الكريم ، وهاهو يرفع على يديه طفله في عمر الزهرة النديّة ، ثم يناشد عدوه حَسَوَةً من ماء يبيل بها غليل عصفوره الظمآن ! .
فلم ينل إلا سهماً غادراً ينفذ إلى صدر الصغير الرقيق ! .

فلماذا لم يمدد رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه بكأس من سلسبيل ؟

(١) أما الشعراني ، فيتحدث عن كرامة سيده الشريف المجدوب ، فيقول :
« ولما طعن أصحاب النوبة سيدي علياً الخواص جاءه الشريف ، ورد عنه الطعنة »

أو ليمنع السهم الغادر عن هتك الشَّعَابِ من الطفل الصغير ، ومن قتل أبيه البطل الأبيّ الكريم؟! .

جواب ذلك كله : لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يملك شيئاً يدمم به ، أو يعين ، إذ هو ميت ، ولم يُرَوْ عنه في حديث صحيح أو ضعيف ، ولا في تاريخ يعنى بالحقائق أو الأساطير ، أنه أمدَّ بشيء ، أو أعان بعونٍ ما ، بعد أن توفاه مَلَكُ الموت الذى وُكِّلَ به .

فلو أن الله سبحانه أعطى خصائص الحياة الدنيا في القبر لميت يعين بها الأحية ، أو يدمم بقدره منه ، لوهبها لمحمد صلى الله عليه وسلم ! بيد أنك ترى هذه الأحداث الجسام تدمم خيار الصحابة ، والبررة الرياحين من آل بيته ، فلا نسمع أنه صلى الله عليه وسلم أمدَّهم بشيء! ؛ لأنه لا يقدر على ذلك! .
أما البدوى رغم موته ، فينعم بالحياة الزاخرة القادرة في الدنيا ، ويهبها لمن يشاء من الموتى ، ويقضى حوائج الخلق ، ويعطى اليهود ، ويكلم الطائفين حول صنمه ، وهو رمة عفنة! .

ألا ترى الشعرانى يجب أن يؤكد لك أن هذا البدوى الأسطورى العجيب ، أفضل وأكرم عند الله من سيد الخلق؟! .

صوفى يدبر الأمر

يقول الدباغ : « رأيت ولياً بلغ مقاماً عظيماً ، وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة ، والوحوش ، والحشرات ، والسموات ، ونجومها ، والأرضين وكرة العالم بأسرها تستمد منه ، ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة ، ويمد كل واحد بما يحتاجه ، ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذلك ^(١) » .

يصف عبداً بصفات الربوبية والإلهية !! ويقول أحد التيجاني^(١) عن نفسه :
« روحى » روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء ، وروحي تمد الأقطاب
والعارفين من الأزل إلى الأبد^(٢) ، وإذا جمع الله تعالى خلقه فى الموقف ينادى
مناد بأعلى صوته يسمعه كل من فى الموقف . ي أهل المحشر ، هذا إمامكم الذى
كان مددكم منه ، كل ما فاض من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى . ومنى يتفرق على
جميع الخلائق^(٣) « ويصفه تابع له بقوله : « إذا توجه أغنى وأقنى ، وبلغ المنى^(٤) »
ويصفه آخر بقوله : « لا يتلقن واحد من الأولياء فىضاً من حضرة نبي إلا
بواسطته^(٥) » وآخر بقوله « نفوذ بصيرته الربانية التى ظهر مقتضاها من إظهار
مضمرات ، وإخبار بمغيبات ، وعلم بعواقب الحاجات ، وما يترتب عليها من
المصالح والآفات^(٦) » . ويقول البسطامى : « رفعتى « أى الله » فأقامنى بين
يديه وقال لى : يا أبا يزيد : إن خلقى يحبون أن يروك ، فقلت : ربّنى بوحدايتك
وألبسنى أنايتك ، وارفعنى إلى أحديتك ، حتى إذا رأى خلقك ، قالوا : رأيناك
لتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك^(٧) » . ونعت « حرازم » للتيجانى ، بأنه
يُغْنِي وَيُقْنِي ، ويعلم الغيب ، نعت له بصفات الله . فأنه سبحانه يصف نفسه بقوله :
(٥٣ : ٤٨) وأنه هو أغنى وأقنى (٧٢ : ٢٦) عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحداً
إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً .

الكلاب أولياء الصوفية

إن البشرية فى الأغوار السحيقة من تاريخها المظلم ، وفى تيهها الوثنى ، لم تؤله

(١) أحمد بن محمد أبو العباس ولد سنة ١١٥٠ هـ

(٢) نفس ما ادعاه لنفسه الطاغوت ميرزا حسين على الملقب بالبهاء !!

(٣) (٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) ص ٥ ج ٢ رماح حزب الرحيم وما بعدها ، ص ٣ جواهر

المعاني ص ٤٦ ، ٤٧ ج ١ لعل حرازم .

(٧) اللمع للطوسى ص ٣٨٣ مطبعة بريل بليدن .

كلباً ، بيد أن الصوفية أرادت التجديد في صور الشرك ، وأن تبتدع أصناماً جديدة ، فألّمت مالم تُؤلّه أخطأ الوثنيات في التاريخ ! .

نقلت لك عن التلمساني اعتقاده أن رمة الكلب ، هي ذات الرب الصوفي ! وعن محمد بهاء الدين مانقله عن مشائخه من تأليه الكلاب والخنازير ، فاسمع إلى الشعراني يحدثنا عن كرامات سيده المعجمي .

« وقع بصره على كلب ، فانقادت إليه جميع الكلاب ، وصار الناس يُهْرَعُونَ إليه في قضاء حوائجهم ، فلما مرض ذلك الكلب ، اجتمع حوله الكلاب يبكون ، فلما مات ، أظهروا البكاء والعيول ، وألم الله تعالى بعض الناس ، فدفنوه ، فكانت الكلاب تزور قبره ، حتى ماتوا ، فهذه نظرة إلى كلب ، فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت على إنسان^(١) ؟ » ويقص الشعراني عن هذا المعجمي : إنه كان يخرج من خلوته ، فكل من وقع عليه نظره ، انقلبت عينه ذهباً خالصاً^(٢) !!

إفكٌ وحق

ترى يناحك الرضى بإسماحة الشيخ عما افتراه الشعراني ؟ ! إني أصبح صبيحة مدوية بالحق لعلها تهز ضميرك الديني ، وأسألك : أسائل ماتعلمته في الأزهر ، حتى وصل بك إلى منصب القوامة المقدسة عند الصوفية على دينهم ، هذا الدين الذي يفتري له كهنته وأخباره أنه ربيع الحياة الروحية الرَّفَّافُ بالخير والحب !! ومعين الهداية الفياض بالحق والحكمة !! وأقباس من النور الأزلي ، على أشعته يصل إلى هدفه الأبدُ والخلود !! ومجالى الفردوس حيث الحور مجلّوات الجمال ،

(١) ص ٦١ ج ٢ الطبقات ترجمة المعجمي .

(٢) نفس المصدر السابق وهذا معناه أنه رجل شديد الخطورة على الإنسانية ، فكيف يكون ولياً من يكون سيئاً في حرمان الناس من نعمة البصر ؟ كيف يكون ولياً وهو نكبة على المجتمع ؟

وحيث الملائك في سجود التسايح !! أما هذا الدين في نظر الحق ، فنُفَايَات مَجَّهَا
مجوسية الفرس ، والهند ، وزندقة الغنوصيين ، وإلحاد الفلاسفة ، ووثنية الصابئة
وعبدة الأصنام ! ، إنه حماة الشر والفساد من دين أولئك جميعاً ، بيد أن لطواغيته
أسماء إسلامية ، ففتنوك بهذا الشَّفِّ الرقيق ، فلم ترهم ، وهم يدسون السم لك في
الرحيق !! إنه أخص دين عُبد به الشيطان ، إذ أَفْتَنَ في افتراءِ بَدَعِهِ !! إنه السم
الزعاف يقسم لك : إنه سُلَافَةُ الخلود !! ، والأفعوان الحقود يزعم : أنه ملاك رحمة
ومحبة !! والليلة السوداء في قبر المشرك تؤكد لك أنها وضاعة صبح الجنة !!
والدمامة الشوهاة تترأى في الماخور الدنس بَرَزَةٌ تَتَقَلَّلُ أوتُهَا الطاغية !! إنه
الصوفية تزعم أنها إسلام !!.

خزى صوفى

ولقد سجل هذا الخزى والغاز مستشرق إنجليزي صاحب الصوفية في مصر
فأعطته العهد ثم مضى - بعد ابتلائهم - يسجل عليهم مخازيها ، ويرمى بها
المصريين جميعاً في كتابه : « ويزور المصريون الأضرحة معتقدين أنهم سينزلون
عليهم البركات ، وإما بقصد التماس البرء من مرض ، أو طلب النسل ، ويعتبر
المسلمون أولياءهم المتوفين شفعاء لهم عند الله ، ويقدمون لهم النذور^(١) »

ويقول : « وقد جرت العادة أن يقوم المسلمون^(٢) كما كان يفعل اليهود
بتجديد بناء قبور أوليائهم وتبييضها وزخرفتها وتغطية التركيبة أو التابوت أحياناً
بغطاء جديد ، وأكثر هؤلاء يفعلون ذلك رياء كما كان يفعل اليهود » ويقول
جوانزبير وهو يتحدث عن بدعة الموالد : « وكان علماء المسلمين لا يزالون

(١) ص ١٦٧ وما بعدها كتاب « المصريون المحدثون » للمستشرق « لين » والمسلمون
أرباء من هذا الشرك الذى يقترفه الصوفيون ، ويرمى به الرجل جميع المسلمين .
(٢) يحمل على المسلمين أوزار الصوفية ، فما يفعل هذا مسلم . ولكنها الصوفية .

حتى القرن الثامن الهجري يعدونه « أى الاحتفال بمولد النبي » مخالفاً للسنة ، ونهت عنه غالبيتهم على اعتبار أنه بدعة مستحدثة في الإسلام . . وتنطبق هذه الحالة أيضاً على أعياد دينية أخرى ، نشأت في القرون المتأخرة ، واضطرت أن تجاهد ؛ لكي يقرها العلماء بعد أن وصموها دهنراً طويلاً : بأنها من البدع الدخيلة^(١) » ويقول جوتييه : « وتقديس الأولياء إلى درجة قد تقرب من العبادة الذي نراه انتشر بعد في جميع الأقطار الإسلامية يشير في الحقيقة إلى رد فعل من الأمم والشعوب التي فتحتها الإسلام ضد العقلية الإسلامية التي لاتسلم بوسطاء أو شفعاء لدى الله . إنه لم يثر ضد إجلال الأولياء والرسول إلى ما يقرب من العبادة أى ضد هذا التغيير الخطير في العقلية الإسلامية الأولى إلا الطائفة الوهابية^(٢) »

لايسوءنا أن يسجل هذه المخازي أولئك المستشرقون ، ويحملونها على المسلمين جميعاً ، ولكن الذي يجب أن نخزي به ، هو أن ندع هؤلاء الصوفية يقترفون هذه الجرائر ، وينفتون سمومها ، فيكيد للإسلام بهاعدوه ، ويرمى المسلمين جميعاً بالحماقة والعباوة وعبادة الأساطير ، ويقول في كل كتاب : هذا هو الإسلام !! وهم يوقنون أنه دين الصوفية ، لادين الله ، ولكنهم عدو يهتبل الفرصة ؛ ليمحق بها عدوآله ، ربما أخذتنا العزة ضد هؤلاء المستشرقين وحدهم ، بيد أن الواجب هو أن تأخذنا العزة بالحق ، فنجتث الصوفية من أصولها ، وكفاها أن جعلت عدو الإسلام يحمل كل خزي لها عليه !! ليس أولئك المستشرقون هم عدونا الأول ، وإنما عدونا من ملأكم هذا السلاح يقاتلوننا به . وليس غير الصوفية !!

(١) ص ٢٢٧ العقيدة والشرعة .

(٢) ص ١٥٨ المدخل تأليف جوتييه ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى ، أما الوهابية فكلمة ابتدعها أعداء الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب مقابل تقده الحق للصوية المذهبية المصيبة .

أنواع الكرامات

يزعم المناوي أن للصوفيين أنواعاً من الكرامات .

« النوع الأول : إحياء الموتى ، وهو أعلاها ، فمن ذلك أن أبا عبيد اليسرى غزا ، ومعه دابة ، فماتت ، فسأل الله أن يحييها ، فقامت تنفض أذنيها ، وأن مفرجا الدماميني أحضر له فراخ مشوية فقال : طيرى بإذن الله تعالى ، فطارت . ووضع الكيلاني يده على عظم دجاجة أكلها ، وقال لها : قومي بإذن الله ، فقامت ، ومات لتلميذ أبي يوسف الدهماني ولد ، فجزع عليه ، فقال له الشيخ : قم بإذن الله ، فقام ، وعاش طويلاً ، وسقط من سطح الفارقي طفل ، فمات فدعا الله ، فأحياه ^(١) »

نفس المعجزات التي من الله بها على إبراهيم وعيسى ، وعلى الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها !! ويقول الكلاباذي : « أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء ، كالمنى على الماء ، وكلام البهائم ، وطى الأرض ، وظهور الشيء في غير موضعه ^(٢) » وقد نظمها حسن رضوان .

وإن تجلّى جلّ شأنه على
وَشَاهِدَ الْأَشْيَاءَ تَحْتَ قَبْضَتِهِ
وَأَنَّهَا تَكُونُ عَنْ قُدْرَتِهِ
شُهُودَ غَيْبٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ ظَهَرَ
عَلَيْهِ مِنْهُ فِي الشَّهَادَةِ الْأَثْرُ
وَمِنْ هُنَا أَحْوَالُ أَرْبَابِ الْهَمَمِ
كَشَيْهِمْ فَوْقَ الْمِيَاهِ بِالْقَدَمِ
أَوْ الْهَوَاءِ ، أَوْ عَلَى السَّحَابِ
أَوْ طَيِّرٍ أَوْ خَبْزٍ مِنَ التَّرَابِ
أَوْ غَيْرِ هَذَا مِنْ أُمُورٍ خَارِقَةٍ
لِعَادَةٍ ، وَالشَّرْطُ أَنْ تَوَافِقَهُ ^(٣)

ومن هنا دانت الصوفية بأولياء لهم « التصرف العام والحكم الشامل العام

(١) ص ١١ الكواكب الدرية لعبد الرؤف المناوي ط ١٩٣٨ م

(٢) ص ٤٤ التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ط ١٩٣٣ م

(٣) ص ٢٣٩ روض القلوب المستطاب .

في جميع المملكة الإلهية ، وله بحسب ذلك الأمر والنهي والتقدير والتويخ
والحمد والذم^(١) .

ويتحدث الكوهني عن معجزات سلامة الراضي : « حملت إحدى زوجات
الإخوان ، وفي التاسع مات الجنين ، وبقى عشرة أيام ميتا يبطن أمه ، وعند الوضع
ذاكر هذا الأخ شيخنا ، فقال : كذلك يافلان ؟ ! وبتامه تم الوضع طبيعيا
كان لم يكن هناك وليد مات منذ عشرة أيام . وأحد الإخوان كُفَّ بصره ،
فذاكر حضرة الأستاذ ، فقال له : إن كتبت الأمر ، أبصرت ، فرضى بالشرط
فمسح على عينه ، فأبصر ، وكان لبعض وجهاء بندر الجيزة ابنة وحيدة أصابتها
حمى ، وبعد شفائها ، خرس ، فلم تتكلم أبدا ، فعرضوها على الأطباء سنوات ،
فلم تُشَفَّ ، فأحضرها لشيخنا ، ونظر إليها نظرة ، فسألها عن اسمها ، فنطقت به ،
وذهب خرسها في الحال^(٢) . »

نفس المعجزات التي من الله بها على عيسى عليه السلام .
وهكذا تدين الصوفية بأن من أوليائها من يبرىء الأكمة والأبرص ويحيى
الموتى وكثير من هؤلاء الذين نسبت إليهم تلك القدر الإلهية طائفة تمرت على الله
تمرد الشيطان ! .

الصوفية يملكون كلمة التكوين

تزعم الصوفية أن شيوخها يقولون للشيء : كن ، فيكون ، فيتحدث أحدهم
عن الولي الذي استخلفه الله ، فيقول : « إنه خليفة يملكه الله كلمة التكوين متى
قال للشيء : كن ، كان من حينه^(٣) » .

(١) ص ٧٩ ج ٢ جواهر المعاني لحرازم .

(٢) ص ٢٥٨ طبقات الشاذلية الكبرى للحسن بن محمد الكوهني الفاسي ،
وقد ألف كتابه في حياة شيخه « الذي مات من عهد قريب جدا » .

(٣) ص ٨ ج ٢ جواهر المعاني لعلي بن حرازم .

ويقول أبو السعود : « إن الله أعطاني التصرف منذ خمس عشرة سنة ، وتركناه نظرفاً » ويعلق ابن عربي على هذا بقوله : « وأما نحن ، فما تركناه نظرفاً وإنما تركناه لسكمال المعرفة »^(١) ترى ماذا كان يعمل الله ، وأبو السعود يتصرف في الوجود ؟ . هكذا يجعل الصوفية أولياءهم شركاء الله .

معجزات الرسل من قدرة الله

أما رسل الله ، فما كانت معجزاتهم طوع أيديهم ، كما تزعم الصوفية لشيوخها ، ولا بأمرهم ، وإنما كانت بيد الله وحده ، وبأمره ، يكرم بها نبيه متى شاء سبحانه ، لامتى شاء الرسول . ماضرب موسى بعصاه الحجر ، أو البحر بأمره ، وما انقلب البحر بقدرته ، وإلا فقيم كان خوف موسى من أن يدركه فرعون وجنوده ، لو أنه كان حتى على ظنٍ من قدرة عصاه على فلق البحر ؟!

بل لماذا مسته رعدة الخوف حين ألقى السحرة حبالهم وعصيهم ، حتى ثبتته الله بقوله : (٢٠ : ٦٨ لا تخف ، إنك أنت الأعلى) أهذه آية قدرة على صنع المعجزات ؟ أم هو العجز البشري يضرع في صدق إلى قدرة الله المنقذة ؟ . وما نزل جبريل بالقرآن على محمد بأمره ، أو إرادته ، بل بأمر الله وحده وإرادته (١٩ : ٦٢ وما تنزل إلا بأمر ربك) .

وتدبر ، يتجل لك الهدى بينا من قوله سبحانه : (٢١ : ٦٩ قلنا : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) ماقالها إبراهيم ، وإنما القائل لها - لأنه القادر عليها - رب إبراهيم . فأين من هذا زعم الصوفية ، أن شيوخها يُصَرِّفون أقدار الوجود بنزغات الهوى ، وعواء الشهوات ؟! ويقولون للشيء . كن ، فيكون ؟! تعالى الله عما يافك الخراصون علواً كبيراً ! .

ثم ماذا يستفيد الخلق من دجاجة يردها السكيلاني إلى الحياة ؟ ومن ذابة ،

(١) ص ١٢٩ ج ١ فصوص ط الحلبي .

يحيى اليسرى منها العظام ، وهي رسيم ؟ ! ومن كرامات الحرثى ووحيش يقترفان
بغى الجريمة على مدرجة الطريق ؟ ! .

إن الصوفية - كما رأيت - قد حكمت بأن معجزات أولى العزم من الرسل
طَوَّع الهوى من التُّبَّه الخَرَقُ المشعذين من أوليائها ! فإذا يمنع أدعياء الصوفية
من الزعم بأن الله سبحانه أوحى إليهم قرآنًا ، كما أوحى إلى محمد^(١) ، مادامت
الصوفية تحمك بأن معجزات الرسل أنارة من قدرة المعتوهين ، ومقترفى الإناء
والخطايا ؟ بل مادتم يا كهنة الصوفية قد حكتم بأن لأوليائكم حياة حياة الله ، وقدرة
قهارة شاملة ، كقدرته ، فالله سبحانه ، يقول : (٣٦ : ٧٨ قال : من يحيى العظام ،
وهي رميم ؟ قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة) ولقد زعمتم أن إحياء العظام ، وهي
ريميم من قدرة أوليائكم ؟ ولا ريب فى أن من يقدر على أن يهب لغيره الحياة ،
قادر على أن يهب الدبومة لنفسه ، والخلود الأبدى لحياته . وإلا ، فكيف يهب
لغيره ، مالا يهب ، أو يستطيع أن يهبه لنفسه ؟ ! رأيت إلى الصوفية ، كيف
يصفون الحقى الشاردين فى تيه الضلالة بما يوصف به الخلاق العلى الكبير وحده ؟

رجاء آخر

بودى أيها الصوفى - وإنه لود الإخلاص الصادق - أن ترفع على راحتك
كتاب الله ، ثم تتدبر بعض آياته بالفكر البصير ، والقلب الخشوع ، والنفس
المتعبرة ، ويقينى أنك حينئذ ، ستثور ثورة العاصفة على عاد ، تدمر أصنام
الصوفية وأوثانها ، وترجم باللعنات الغضاب طقوسها وكهنوتها ! وستغمر نفسك
القلقة سكينه الإيمان ، ويقين التوحيد .

إننا فى قرن حطم العلم فيه الذرة ، الجوهر الفرد الذى دان به الأشاعرة ركنًا

(١) ادعاها ريبب الصوفية ميرزا محمد على الملقب « بالباب » ومن بعده مسيلة
ميرزا حسين على الملقب بالبهاء . وادعاها غلام أحمد القاديانى !!

سادساً من أركان الإسلام ، فهل يمكن أن تعين - أعاننى الله وإياك - على تحميم تلك الطواغيت الصماء ، تقف عقبه كثودا فى سبيل الوصول إلى الله ، وتنشر الخرافات العفنة والأخلاق العفنة ، وتجمع حول عفوتها ذباباً عفناً كثيراً ! .

سماع نطق الجمادات

يعدد ابن عربى أنواع الكرامات ، فيقول : « ومنها سماع نطق الجمادات على مراتب نطقها فى العوائد وخرقها^(١) » والله يقول : (١٧ : ٤٤) ولكن لا تفقهون تسبيحهم) فهل نصدق المفتى ؛ لنكذب الله سبحانه ؟ ! : « ومنها مكالمته للملأ الأعلى ومخاطبته لهم^(٢) » .

ترى أكرم الصديق وعمر الملأ الأعلى ؟ بل أكله الرسل قبل البعثة ، أوفى غير أوقات الوحي ؟ ولكن من الرسل عند الصوفية ؟ إن أى زنديق صوفى أفضل عندهم من خاتم النبيين . ألا ترى البسطامى يفتى : « تالله ، إن لوأى أعظم من لوأى محمد^(٣) » ويقول : « لأن ترانى مرة ، خير لك من أن ترى ربك ألف مرة^(٤) » .

صوفى يطوف بالملكوت

يخاطب صوفى ربه بقوله : « إن قوماً طلبوك ، فأعطيتهم طى الأرض ، والمشى على الهواء ، وكنوز الأرض ، فانقلبت لهم الأعيان » ثم يتحدث عما أنعم

(١) ص ٧٥ مواقع النجوم لابن عربى ط ١٣٢٥ هـ

(٢) ص ٨١ المصدر السابق ، وقد أخذها ابن عربى عن أستاذه الغزالى ،

وزاد هذا فقال : إن الولى يُنادى من سرادقات العز ، كما نودى موسى !!

(٣) عن السهلجى والشعرانى فى لطائف المنن ، ص ١٢٥ ، نقلا عن شطحات

الصوفية للدكتور بدوى .

(٤) المصدر السابق .

عليه به ربه ، فيقول : « أدخلني في الفلك الأسفل ، فدَوَّرني في الملكوت السفلى ، فأراني الأرضين ، وما تحتهما ، إلى الثرى ، ثم أدخلني في الفلك العلوى ، فطوف بي في السماوات ، وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ، ثم أوقفني بين يديه ، فقال لى : سئنى أى شىء رأيت حتى أهبه لك ، فقلت : ياسيدى مارأيت شيئاً أستحسنه ، فأسألك إياه ! »^(١) حتى عرش الله ، لم يستحسنه هذا الصوفى الوقح ، ومع ذلك يزعم أن الله قال له : « أنت عبدى حقاً ! » .
أتراه ، وهو يطوف بجوف الأرض ، لم ير « البترول » ، فيدل على مكانه قومه !؟ .

والبيومى^(٢) يزعم أنه رأى الشيخ دمرداش فى السماء ، وأنه قال له : لا تخف فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأنه كان يرى النبى فى الخلوة ، وأنه سمعه يقول لأبى بكر : اسمع بنا نطل على زاوية دمرداش ، وأنه دخل على السيد البدوى ، ورأى النبى عنده ، وأنه خشى أن يكون واهما فى رؤية النبى ، فرأى الدمرداش عند ضريحه يقول له : مد يدك إلى النبى فهو حاضر عندى^(٣) ! .

صوفى يضمن الجنة لمن يطعمه

يزعم طاغوت التيجانية الأول ما يأتى : « أخبرنى سيد الوجود يقظة ، لامناماً : كل من أحسن إليك بخدمة ، أو غيرها ، وكل من أطعمك يدخلون الجنة ، بلا حساب ، ولا عقاب ، فسألته لكل من أحبنى ، ولكل من أحسن لى بشىء من مثقال ذرة ، ومن أطعمنى طعامه ، كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وسألته لكل من أخذ عنى ذكراً ، أن تُفقر لهم جميع ذنوبهم ، ماتقدم منها ، وما

(١) ص ١٠٣ قوت القلوب لأبى طالب السكى ط ١٣٥١ هـ

(٢) طى بن حجازى بن محمد البيومى توفى سنة ١١٨٣ هـ

(٣) ص ٣٢٠ ج ١ عجائب الآثار للجبرتى .

تأخر ، وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شيء ، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة ، وأن يكونوا كلهم معي في عليين في جوار النبي ، فقال لي صلى الله عليه وسلم : ضمنت لهم هذا ضمانة ، لاتنقطع ، حتى تجاورني ، أنت وهم في عليين ! «^(١) .

والله سبحانه يقول لمحمد : (٢٨ : ٥٦ إنك لا تهدي من أحببت) ويقول محمد صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة : « اعملي فإني لن أغنى عنك من الله شيئاً » وتشهد امرأة جلييلة لصحابي عند موته بقولها : أشهد أن الله قد أكرمك ، فيقول لها رسول الله معاتباً ، يضع الصواب مكان الخطأ : « وما يدريك أن الله قد أكرمك ؟ وإني لأرجو له الخير والله إني لرسول الله ، ولكني لا أدري مايفعل بي غداً ؟ ! » أما التيجاني ؟ ! لقد قرأت قوله ، فبم تحمك عليه ؟ ، غير أنني أضع إصبعك على قوله : « وكل من أطعمك » لأريك مبالغ حرص الصوفية على انتهاب أقوات الناس ؟ ! .

قلب الصوفي أوسع من عرش الله

يقول البسطامي : « لو أن العرش ، وما حواه مائة ألف مرة ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ، لما أحس به ، فقلب العبد الخصوصي بيت الله ، وموضع نظره ، ومعدن علومه ، وحضرة أسراره ، ومهبط ملائكته ، وخزانة أنواره ، وكتبته المقصودة ، وعرفاته المشهودة^(٢) » .

الملكوت في بطن صوفي

والدبّاغ الفاطمي الهدف يقول : « إني أرى السموات السبع والأرضين

(١) ص ٩٧ وما بعدها ج ١ جواهر المعاني في فيض التيجاني لعل حرازم .

(٢) ص ١٢٠ ج ٢ فصوص الحكم لابن عربي ط الحلبي ، ص ١٤١ مواقع النجوم

السبع ، والعرش داخلة وسط ذاتي ، وكذا مافوق العرش من السبعين حجاً^(١) ،
كرامات شتى

واقراً في طبقات المناوي زعمه أن الصوفية يخاطبون الموتى ، وأن جدهم خاطب
الشافعي رضي الله عنه في قبره ، وأن روح « ذا النون المصري »^(٢) كانت تدبّر
أجساماً عدة^(٣) ، وأن الخواص ، كانت تنزل عليه الموائد من السماء ، وأن
الخضر كان يسقيه ، واقراً فيه تفضيل البسطامي^(٤) الأولياء على الأنبياء^(٥) وأن
طارقاً طرق بابه ، فقال البسطامي : من تطلب ؟ فقال : أبا يزيد ، فأجابه : ما في
البيت غير الله^(٦) ، واقراً للسلي زعمه أن داود والخضر ، لقيا إبراهيم بن آدم
- وهو « بوذا » الصوفية - وخاطباه ، وأكلامه ، وعلماه اسم الله الأعظم^(٧) .

الجنة والنارُ بيد مَنْ ؟

يزعم الدسوقي أنهما بيديه ، فيفتري : « أنا بيدى أبواب النار أغلقتها ، وبيدي
جنة الفردوس فتحتها ، من زارني أسكنته جنة الفردوس ، وما كان ولي متصلاً
بالله ، إلا وهو يناجي ربه ، كما كان موسى يناجي ربه^(٨) » .

معجزات الرسل بمض كرامات الصوفية

يفتري الدباغ هذا البهتان المجوسى ، فيقول : « كل ما أعطيه سليمان في ملكه

(١) ص ٧٣ ج ٢ الإبريز للدباغ

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم النوبى توفى سنة ٢٤٥ هـ

(٣) سيأتيك زعم الدباغ أن روح القطب تدير ٣٦٦ جسداً .

(٤) هو طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامي توفى سنة ٣٦١ هـ

(٥) هذا دين الصوفية ، فابن عربي يقول :

مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ، ودون الولي

(٦) اقراً كل هذا في الكواكب الدرية للمناوي في تراجم من ذكرت أسماءهم

(٧) ص ٣٠ ، ٣٤ الطبقات للسلي ، ص ٨ الرسالة للقشيري .

(٨) اقراً ترجمة الدسوقي في الطبقات للشعراني .

وما سخر لداود ، وما أكرم به عيسى ، أعطاه الله وزيادة لأهل التصرف من أمة النبي ، ومكنهم من القدرة على إبراء الأكمة والأبرص . وإحياء الموتى^(١) »

النَّشْلُ كَرَامَةٌ صُوفِيَّة

وأبى الدباغ إلا أن يفضح أقطابهم بهذه الكرامة ، كرامة السرقة خلسة ، فيقول : « إن الولي صاحب التصرف ، يمد يده إلى جيب من شاء ، فيأخذ منه ماشاء من الدراهم ، وذو الجيب لا يشعر^(٢) » والدباغ قطب صوفي معبود .

أدلك على ردغة الوثنية في تلك الشَّرَكِيَّات ، أم تراها في غير حاجة إلى دلالة ؟ وكذلك الظلام ، وكذلك النتن ، وكذلك اليخُمومُ الخانق ! .

الله - وتعالى علواً كبيراً - وعرشه وكرسيه ، ملكه وملكوته ، والعالم كله إنسه وجنه ، حيوانه وجماده ، علويّه وسفليه . مشاعر الناس وخواطرهم وإرادتهم وعواطفهم وقلوبهم ونفوسهم . كل أولئك في دين الصوفية الآثم تحت قبضة طواغيتها ، وبطشهم ، وطُوعَ سعار غرائزهم الضارية ، وجنون شهواتهم المهومة الآبقة ! .

القطب وأعوانه

أسطورة خرافية ، تنزع إلى تجريد الله من الربوبية والإلهية ، وَخَلَعِيهَا عَلَى وَهْمٍ باطل سُمِّيَ في الفلسفة : « العقل الأول » وفي المسيحية : « الكلمة » وفي الصوفية : « القطب » ! .

والقطب : هو أكمل إنسان متمكن في مقام الفردية ، أو الواحد الذي هو موضع نظر الله في الأرض في كل زمان ، عليه تدور أحوال الخلق ، وهو يسرى في الكون ، وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد ، وبفيض روح

(١) ص ١٢ الإبريز للدباغ ج ٢

(٢) ص ١٤ المصدر السابق .

الحياة على الكون الأعلى والأسفل ، وقد يسمى « النوث » باعتبار النجاء الملهوف إليه ^(١) .

القطب القديم والقطب الحادث

والقطب عند الصوفية نوعان . أحدهما : حادث أو حسي ، وهو ماسبق الحديث عنه ، والآخر قديم ، أو معنوي ، وهو الحقيقة الحمديّة . يقول القاشاني : « وهو - أي القطب - إما قطب بالنسبة إلى مافي عالم الشهادة من المخلوقات يستخلف بدلا منه عند موته من أقرب الأبدال منه ، أو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات في عالم الغيب والشهادة ، ولا يستخلف بدلا من الأبدال ، ولا يقوم مقامه أحد من الخلائق ، وهو قطب الأقطاب المتعاقبة في عالم الشهادة لا يسبقه قطب ، ولا يخلفه آخر ، وهو الروح المصطفوي المخاطب بلولاك ، لما خاقت الكون ^(٢) » .

حقيقة القطبانية

يقول كاهن التيجانية الأكبر أحمد : « إن حقيقة القطبانية ، هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلاً ، حيثما كان الربُّ إلهاً ، كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل مَنْ له عليه ألوهية لله تعالى ، فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب ، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود ، فترى الكون كله أشباحاً

(١) انظر جامع الأصول للكشخاني والتعريفات للجرجاني تحت مادة « قطب »

(٢) ص ١٠٣ ج ٢ كشف الوجوه الغر للقاشاني ، وقد ادعى ابن الفارض لنفسه

أنه القطب القديم وقطب الأقطاب

في دارت الأفلاك ، فاعجب لقطبها ال محيط ، والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبل عن ثلاث خلفته وقطبية الأوتاد عن بدلية

لاحركة لها ، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً ، ثم تصرفه في مراتب الأولياء ، فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه ، فهو المتصرف في جميعها ، وَالْمَمْدُ لِأَرْبَابِهَا ، به يُرْحَمَ الوجود ، وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد ، وجوده في الوجود حياة لروحه الكلية وتنفس نفسه يُمَدُّ اللهُ به العلوية والسفلية . ذاته مرآة مجردة ، يشهد فيها كل قاصد مقصده (١) .

علم القطب

يتحدث تيجاني عنه بقوله : « وما أكرم الله به قطب الأقطاب ، أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون ، وما وراءه ، وما لانهائية له ، وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات ، وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة ، وجميع فيوضه ، وما احتوى عليه (٢) » .

خصوصية القطب

« قطب الأقطاب في كل وقت لا تقع بينه وبين الرسول حجابية أصلاً ، وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب ، ومن حضرة الشهادة ، إلا وعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه ، لا يحتجب عنه في كل لحظة من اللحظات (٣) »
وحسبك هذا من تلك الأسطورة (٤) التي ألهتها الصوفية ، وجعلت منها رباً أكبر يُعْبَدُ ، وَيُجْتَسَى ، وَيُرْهَبُ (٥) !!

(١) ص ٨١ وما بعدها جواهر المعاني .

(٢) ص ٧٩ ج ٢ المصدر السابق .

(٣) ص ٦٣ المصدر السابق .

(٤) كتبت عنه مقالا ضافياً في مجلة الهدى النبوي

(٥) العجيب أن ابن الحاج - وله سابقة فضل في محاربة البدعة - يؤمن بهذه

الأسطورة ويقول عن القطب « إن الله تعالى يديره في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا =

أعوان القطب

أولاً : الإمامان ، وهما بمنزلة الوزيرين له ، أحدهما لعالم الملك ، والآخر لعالم الملكوت . ثانياً : الأوتاد الأربعة : وقيل هم ثلاثة ، كلما مات قطب الوقت أقيم مكانه واحد منهم ، وعلمهم فيض من قطب الأقطاب ، وإن ماتوا ، فسدت الأرض ! ثالثاً : الأبدال : والبذل حقيقة روحانية تجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذي رحل عنه وليه . وعددهم أربعون ، اثنان وعشرون منهم بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ! رابعاً : النجباء . وهم دون الأبدال ومسكنهم مصر ! وعلمهم أن يحملوا عن الخلق أنقالم وعددهم سبعون ! خامساً النقباء وعددهم ثلثمائة ، وقيل خمسمائة ، وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض^(١) ! .

تلك هي مملكة الأساطير التي ابتدعتها خرافات الصوفية المحققي ، وخيالاتهم المخبولة^(٢) ؛ ليستعبدوا الخلق لما يشتهون ، وليجعلوا منهم أحلاس رهبة منهم ، وخوف مذعور . تلك هي المملكة التي ابتدعتها أوهام الصوفية لإزاء ملكوت الله ؛ ليفصبوا بها من الأحياء أقاتهم وإيمانهم ، ومن الموتى أكتافهم ! ترى ماذا بقي لله وملائكته ورسله ؟ ! الله أكبر ، له الملك في الدنيا وفي الآخرة .

خاتم الأولياء

وكما جعل الله للنبيين خاتماً ، جعل الصوفية للأولياء خاتماً ، والعنكبوت الأول

= كدوران الفلك في أفق السماء» انظر ص ٣٢٨ مشتهى الخارف لمحمد بن الخضر الشنقيطي . وهكذا تقتل الصوفية بسمومها كل من يظن بها ظناً واحداً من خير !!
(١) المصدر السابق ، ص ٩٣ جامع الأصول للكشخاني .

(٢) بل تزعم الصوفية أن كل صوفي يستطيع أن يكون قطباً يتصرف في الوجود . يقول أحدهم وهو يبشر الصوفية بنتيجة سلوك الطريق « وصرت أنت قطب الوجود تدوره بيدك كيف شئت » ص ١١٤ ج ١ الفتوحات الإلهية ط ١٩١٣ م

الذي سال لعبه بهذه الأسطورة هو الحكيم الترمذى^(١)، قال السلمي : « نفوه من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب « ختم الولاية » ، وقال : إنه يقول : « إن الأولياء خاتماً ، كما أن للأنبياء خاتماً ، وأنه يفضل الولاية على النبوة^(٢) » ويقول ابن تيمية عنه : « في كلامه من الخطأ ما يجب رده ، ومن أشنعها ما ذكره في ختم الولاية ، مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين من درجاته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما ، ومنها ما ادعاه من خاتم الأولياء الذي يكون في آخر الزمان ، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء ، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء^(٣) » .

وتوالت عناكب الصوفية على هذه الأسطورة ، حتى قتلت بها ذباباً من الخلق كثيراً . قال ابن عربي - وهو يتحدث عن علم وحدة الوجود : « وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل ، وخاتم الأولياء ! وما يراه أحد من الأنبياء ، أو الرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه - متى رأوه - إلا من مشكاة خاتم الأولياء ، فإن الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع - تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبداً ، فالمرسلون من كونهم أولياء ، لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء^(٤) »

تفضيل خاتم الأولياء على خاتم النبيين

زعم ابن عربي في النص الذي نقلته عنه آنفاً أن الرسل لا يستمدون أشرف علومهم إلا من خاتم الأولياء ، وهذا يستلزم تفضيل الولي الخاتم على الرسل بعامة

(١) هو غير صاحب السنن ، فهو محمد بن علي بن الحسن بن بشير أو « بشر »

الترمذى الملقب بالحكيم عاش إلى حدود ٣٢٠ هـ

(٢) ص ١٧٠ ج ٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة طبع الهند .

(٣) ص ٧٩ وما بعدها رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين لشيخ الإسلام ابن تيمية

(٤) ص ٦٢ ج ١ فصوص الحكم ط الحلبي .

وعلى النبي الخاتم بخاصة ، يقول ابن عربي : « ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائظ من اللين ، وقد كمل سوى موضع لبنة ، فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة ، غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها إلا كما قال لبنة واحدة ، وأما خاتم الأولياء ، فلا بد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثله به رسول الله ، ويرى في الحائظ موضع لبنتين ، فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبتين ، فيكمل الحائظ . . كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه ؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه ، فإنه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول » ويقول : « وفينا من يأخذه عن الله ، فيكون خليفة عن الله بعين ذلك الحكم ^(١) » فضل خاتم الأولياء بأمرين ، أولهما : أخذه عن الله مباشرة ، أما خاتم النبيين فيأخذ عن الله بواسطة الملك . الأمر الآخر : هو أنه على يديه تم الدين ، فابن عربي يشير بهرائه ذلك إلى الحديث الصحيح الذي مثل فيه رسول الله ما بعث به هو والأنبياء من قبله ببيت كانت تنقصه لبنة ، وأنه صلى الله عليه وسلم ، هو الذي جاء بتلك اللبنة ، يعني أنه هو الذي أتم الله به على المسلمين دينهم .

ولكن ابن عربي يزعم أن الدين كان ناقصاً لبنتين ، فأتى محمد صلى الله عليه وسلم بواحدة ، وأتى خاتم الأولياء بهذه ، وبلبنة أخرى ، فلم يكمل دين الله إلا على يد خاتم الأولياء ! أين هذا الإفك من قول الحق جل وعلا : (٥ : ٣ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) ؟ ! .

ادعاء كل شيخ أنه الخاتم

يقول ابن تيمية : « ثم إن هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة ، لاحقيقة لها ، وصار يدعيها لنفسه ، أو لشيخه طوائف ، وقد ادعاها غير واحد ، ولم يدعها

(١) ص ٦٣ ، ١٦٣ المصدر السابق .

إلا مَنْ في كلامه من الباطل ، ما لم تقفه اليهود ، ولا النصارى ، كما ادعاها صاحب الفصوص^(١) « وحق ما يقول شيخ الإسلام - وعهدنا به الصدق والأمانة البالغة في النقل - فابن عربي يزعم في الفتوحات المكية أنه رأى رؤيا ، ثم يقول : « ثم عبرت الرؤيا بانحتمام الولاية بي^(٢) » وادعتها التيجانية لشيخها أحمد . قال أحد أتباعه « الفصل السادس والثلاثون في ذكر فضل شيخنا ، وبيان أنه خاتم الأولياء ، وإمام الصديقين ، مُمِدُّ الأقطاب والأغواث . . . »^(٣) »

لماذا فُضِّل خاتم الأولياء ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثم صاحب الفصوص وأمثاله ، بنوا الأمر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبي يأخذ بواسطة الملك ؛ فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة^(٤) » وابن تيمية في فهمه الدقيق ، ووعيه الكامل ، وأمانته التي تستعص على التهم يقرر الحق في قوله ، فقد نقلت لك عن ابن عربي ما يؤيد الحق الذي قرره ابن تيمية . وهاهو البسطامي يقول لأهل الشريعة : « أخذتم عليكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت^(٥) » ويقول : « خضنا بحراً ، وقف الأنبياء بساحله^(٦) » وقال ابن عربي : علماء الرسوم - يعنى أهل الشريعة - يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة ، فيبعد النسب ، والأولياء يأخذون عن الله ، ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه ، وعناية سبقت لهم عند ربهم^(٧) » يعنى أن أتباع الشريعة الإسلامية ، إنما يأخذونها عن أناس طوامم الموت ، أما الصوفية ، فلهم الصلات المباشرة مع الله ، يأخذون عنه من غير واسطة ملك أو نبي أو رسول ! وبهذا كفروا بشريعة محمد ، ومهدوا لأتباعهم الكفر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) ص ٦٣ وما بعدها رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين .

(٢،٣) ص ١٥ ج ٢ ، ص ٥ رماح حزب الرحيم .

(٤) ص ٦٤ رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين .

(٥،٦) ص ٢٤٦ الكواكب الدرية للمناوى .

(٦) ص ٦٣ ج ٢ جواهر المعاني .

الديوان الصوفي

للصوفية أسطورة تزعم أن في الوجود ديواناً باطنياً ، يحكم فيه القطب الأكبر بما يشاء ، ويُصَرَّف - هو من ومعه من أقطاب صغار - أقدار الوجود . إنه عند الصوفية محكمة عليا يحاكم فيها الأقطابُ أقدارَ الله ، دون أن تستطيع أية قدة إلهية نَسَخَ حكم لها ، وقد وصف الدباغ هذا الديوان ، وفصّل مهامه ، فلنترك له الحديث عن هذه الخرافة .

مكان الديوان وقضاته

يقول الدباغ : « الديوان يكون بغار حراء ، فيجلس الغوث خارج الغار ^(١) ومكة خلف كتفه الأيمن ، والمدينة أمام ركبته اليسرى وأربعة أقطاب عن يمينه ، وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس ، وثلاثة أقطاب عن يساره ، واحد من

(١) سجل هذا على الصوفية الدرويش الصوفي الإنجليزي المستشرق ادوارد لين ، فقال : « ويعتقد أن سطح السكبة مركز القطب الرئيسي ، ويفضل مركزاً آخر يباب القاهرة المسمى : باب زويلة ، ويسمى العامة باب زويلة : « المتولى » ؛ لاعتقادهم أنه مركز هذا الكائن المجهول ، ومن وراء مصراعي الباب العظيم الذي لا يقفل أبداً فضاء صغير ، يقال : إنه مكان القطب ، ويدق المصابون بالصداع سماراً في الباب لفك السحر ، كما أن المصابين بوجع الأسنان يخلعون سنّاً ، ويولجونها في أحد شقوق الباب ، وللقطب في مصر مراكز أخرى أقل شهرة ، أحدها في قبر السيد البدوي ، والآخر في مدينة المحلة ، ويعتقد أن القطب ينتقل من مكة إلى القاهرة أو من مكان إلى آخر في لحظة ، ويروى الكثير من المسلمين أن إلياس ويخلطه العامة بالحضر كان قطب زمانه ، وأنه يولى الأقطاب المتعاقبين ؛ إذ يقررون أنه لم يمت . ويزعمون أنه شرب من عين الحياة ، ويكلف بعض الأولياء القيام ببعض الأعمال الشاقة ويقال لهم : أصحاب الدرك » ص ١٦٣ المصريون المحدثون وقد جاء هذا الإنجليزي إلى مصر في القرن ١٩ ، وتصوف وأخذ العهد ثم راح يسجل الحزى الخرافي لا على الصوفيين بل على المصريين عامتهم ، فانظر جنابة الصوفية على مصر والإسلام !!

كل مذهب من المذاهب الثلاثة ، والوكيل أمامه ، ويسمى : قاضي الديوان ومع
الوكيل يتكلم الغوث « والدباغ مغربي ، ولمذهب مالك السيطرة في المغرب ، فكان
لا بد من هذه العصبية التي جعلت الدباغ يزعم أن أربعة الأقطاب كلهم مالكية !
ترى على أي مذهب كان أولئك الأقطاب قبل مالك ؟ ! ولو أن المتكلم كان
حنفياً ، لقال : إنهم حنفيون !

أهل التصريف

« والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث ، وكل واحد من الأقطاب
السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته ! » .

الذين يحضرون الديوان ولغتهم

« ويحضره النساء وصفوفهن ثلاثة ، ويحضره بعض الكُمَّل من الأموات ،
ويكونون في الصفوف مع الأحياء ، والأموات حاضرون في الديوان ينزلون إليه
من البرزخ يطيرون طيرا ، بطيران الروح ، وتحضره الملائكة والجن ، وفي بعض
الأحيان يحضره النبي ، وكلامه مع الغوث ، وأما ساعة الديوان ، فهي الساعة التي
ولد فيها النبي ، والأنبياء يحضرونه في ليلة واحدة ، هي ليلة القدر ، فيحضره في
تلك الليلة الأنبياء والمرسلون ، ويحضره الملائكة الأعلى من الملائكة المقرين ويحضره
سيد الوجود معه أزواجه الطاهرات ^(١) ، ولغة أهل الديوان هي السريانية ^(٢) ؛
لاختصارها ، ولأن الديوان يحضره الأرواح والملائكة ، والسريانية هي لغتهم .
والصغير من الأولياء يحضره بذاته ! » .

(١) هكذا في وسط الرجال ؟ ! ومع عظم شأن ذلك الديوان ، فإن الدباغ يقول
عن نفسه : « إيش هذا الديوان ؟ والأولياء الذين يقيمونه كلهم في صدري !! وإنما
يقام الديوان في صدري والسماوات والأرض بالنسبة إلى كالموزونة في فلاة من
الأرض » ص ٨ ج ٢ الإبريز .

(٢) تدبر الكيد الحفي للعربية لغة القرآن !!

عدد أجساد القطب الكبير

« وأما القطب الكبير ، فلا تحجير عليه ، فإنه يدبر على رأسه ، فيحضره ، ولا يغيب عن داره ؛ لأن الكبير يقدر على التطور على ما شاء من الصور ، ولكمال روحه ، تُدبّر له إن شاء ثلثمائة وستة وستين ذاتاً^(١) . »

تقاتل الأقطاب

« وقد يغيب الغوث عن الديوان ، فلا يحضره ، فيحصل بين أولياء الله من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم ، فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضاً^(٢) ، وإذا حضر سيد الوجود مع غيبة الغوث ، فإنه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وفاطمة وتجلس فاطمة مع جماعة من النسوة اللاتي يحضرن الديوان . »

فيم يتصرف الأقطاب ؟

« وأهل الديوان إذا اجتمعوا فيه ، اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد ، فهم يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل والليلة التي تليه^(٣) ، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية ، والعلوية ، وحتى في الحجب السبعين ، فهم الذين يتصرفون فيه ، وفي أهله ، وفي خواطرهم ، وما تهجس به ضمائرهم ، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف^(٤) ،

(١) أي بعدد أيام السنة الكبيسة !! فله في كل يوم إذن جسد جديد !!
(٢) يسفكون الدم ظلماً ، ومع هذا فهم أقطاب كبار يتصرفون في أقدار الوجود والله يقول : (٥ : ٣٢ من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد في الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً) .

(٣) والله يقول : (٣١ : ٣٤ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً) .
(٤) وصف الله نفسه بأنه عليم بذات الصدور ، وقد وصف الصوفية أقطابهم بهذا وأكثر منه ، فماذا تقول فيهم ؟

وإذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش،
فما بالك بغيره من العوالم؟! » .

انعقاد الديوان في غير الغار

« ويكون الديوان في موضع آخر غير غار حراء مرة في العام في موضع يقال
له : زاوية أسا! خارج أرض سوس ، بينها وبين أرض غرب السودان ، فيحضره
أولياء السودان ، ويجتمعون في غير هذين الموضعين السابقين ؛ لأن الأرض
لا تطيقهم^(١) . » .

هذا هو الديوان الصوفي ، كما وصفه كاهن صوفي كبير نقلته بلفظه نفسه ،
بل قل : هذه هي أسطورة الوثنية المحبولة للحقاء^(٢) ، وكم للصوفية مثلها من أساطير!!
قتلة سفاحون سفاكون للدماء ، ينعمهم الدباغ بأنهم يتصرفون في أقدار الله
وملكوته؟! فاذا بقي للرب الصوفي ، وهذا ملكه كله في قبضة السفاكين؟! !

(١) انتهى مختصراً بلفظه من الإبريز للدباغ ج ٢ من ص ٢ إلى ص ٩ ط ١٢٩٢ هـ
(٢) دمغهم بهذا الحبال مستشرق مسيحي ، فقال : « وللأولياء حكومة باطنة
يرون أن عليها يتوقف نظام العالم ، ورأس هذه الحكومة الأعلى يسمى : القطب ،
وهو أرفع صوفية عصره ، وإليه رأسه الاجتماعات التي يعقدها في انتظام مجلس
شوراه الموقر!! وأعضاء هذا المجلس لا يعوقهم عن الحضور حواجز الزمان والمكان،
وإنما يأتون من أرجاء الأرض في لحظة طرف ، يعبرون البحار والجبال والصحارى
في يسر بالغ ، ودون القطب درجات مختلفة من الأولياء ، وقد عدتها الهجویری في
ترتيب تصاعدي كما يلي : الأخيار ال ٣٠٠ ، فالأبدال ال ٤٠ ، فالأبرار ال ٧ ،
فالأوتاد ال ٤ ، فالنقباء ال ٣ ، وهؤلاء جميعاً يعرف الواحد منهم الآخر ، ولا يعمل
الواحد منهم إلا برضى الباقيين ، وعمل الأوتاد الطواف حول الأرض جميعاً في كل
ليلة ، فإن كان هناك مكان لم تقع أعينهم عليه ، بدت فيه في اليوم الثاني شائبة نقص ،
فيخبرون القطب حتى يجعل همه إلى ذلك المكان المشوب ، فيراً مما أصابه بفضل
القطب » ص ١١٩ الصوفية في الإسلام لنيكلسون ترجمة نور الدين شريفة .

بين الجاهلية وبين الصوفية

كانت الجاهلية في إسفافها الوثني أقل حماقة من الصوفية ، وتَدَبَّرَ ما قصه الله عن الجاهلية وشركها ، تجدهم كانوا يوحدون الله في ربوبيته توحيداً حرمت حتى من مثله قلوب الصوفية ، إن كانت لهم قلوب ! يقول تعالى : (٢٣ : ٨٤-٨٩ قل : لمن الأرضُ ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله . قل : أفلا تَدَّكَّرُون ؟ ! قل : من رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : لله . قل : أفلا تتقون ؟ ! قل : من بيده مَلَكَوَتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وهو يُجِيرُ ، ولا يُجَارُ عليه ، إن كنتم تعلمون ؟ ! سيقولون : لله . قل : فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ؟ ! » . هذا دين الجاهلية ولكن الله لعنهم لعناً كبيراً بشركهم ، لأنهم أشركوا بالله في إلهيته ، فتضرعوا إلى غيره بالدعاء .

أما الصوفية ، فتدين بالقتلة ، والمجرمين ، وأوغاد الفاحشة أقطاباً يتصرفون في الوجود ، ويسيطرون بقهرهم على سنن الله الكونية ونواميس الوجود التي فطرها الله وحده ، وهو الذي يصرفها وحده ، ويتحكمون في أقدار الله ، فلا ينفذ منها إلا ما يشتهون ، فأى الشركين أظنى بغياً ، وأخبت رجساً ؟ لقد وحدث الجاهلية الله في ربوبيته ، وأشركت به في ألوهيته ، أما الصوفية ، فنفتها عنه ، وأثبتتها للمفاليك الصعاليك ، بل انحدرت حتى نفت وجود الله الحق ، ونعتته بالعدم الصرف ، أفيمكن أن يقاس إلحاد الصوفية ، بشرك الجاهلية ؟ أم ترى هذا ليلاً غاسقاً ، وترى الإلحاد الصوفي دياجير تطغى ، وتتراكم ، وتطول ، حتى لا يعرف الأبد فيها بدايته ، أو منتهاه ؟ ! أجيئوا يا كهنة الصوفية ! ولكن ، لا : فحسبي أن الجواب مُسْفِرُ الصُّبْحِ ، وضئء البیان ، قوى الدلائل !

الفصل السادس

« التصوف العملي »

لقد افتروا لك أن التصوف نوعان : نظري أو إشراقي ، والغاية منه معرفة الله « بالأذواق » واكتناه أسرار ربوبيته بالمواجيد ، فكانت نتيجته أن دان مؤتفكوه بالوحدة التامة بين الخلق والخالق ! والنوع الآخر منه هو العملي ، وهو قائم على الرياضات والمجاهدات أى على الذكر والزهد والعبادة . ومحاولة التفرقة بينهما ، كالتفرقة بين الخبث وريحه المنين ، فالنظري من التصوف وليد العملي ؛ لأن النظرية وليدة التطبيق ! وقد بينا لك دين الإشراقيين ، فلنأتك بنبا الآخرين !

دعوى الزهد

زعمت الأوهام أن الصوفية برّ زهادة ، وقداسة روحانية . يعرجان بالروح إلى الملأ الأعلى ، فدعنى إذن أسائل كل صوفى : أليس فى الإسلام ما تبلغ به النفس كمالها وسعادتها النضرة ، وما تتألق به الروح ، وتسمو إلى سماء الإيمان الحق ، والنورانية الصافية ، وما ينبغ به الفكر ، فيدرك الحق إدراكا لا يشوبه ريبٌ وهم ، ولا يريبه ظن ، وما يصفو به القلب ، فيفيض بالخير والرحمة والمحبة ؟ أحسبت الإسلام غير مجد فى تزكية الإنسان والتسامى به ، حتى تفر منحدرأ إلى الصوفية ؟ إن فى إخلاص التوحيد ، وصدق الإيمان ، وطيب الإحسان فيما أنعم الله به لراحة وريفة الظل ، فنّاء الخليل ، ثرّة النبع فى صحراء الحياة ، تترع من سلسلها العذب ما يجعل الحياة حوليك مجالى خير وسلام وصفاء ، ومجانى نعيم روحى وسعادة نفسية . عبادتك الله كأنك تراه ، تجريد لك من نوازع الشر ونوازع ، وتزكية لك مما يضل به الفكر ، أو تطيش الغريزة ، أو تزل العاطفة ، أو يخمد الشعور بحق الحياة الطيبة . إنها تطلقك فى رحاب الوجود جهاداً دائماً فى سبيل الحق ، وعملاً صالحاً

تنشد به رضاء الله وحده ، وتحقيق الخير العام للإنسانية ، وتسبيحاً وتقديساً لله وحده ، لا امتزاجاً ، أو اتحاداً ، كما تزعم الصوفية ! .

ذلك بعض مافي الإسلام ، فماذا في الصوفية؟! فيما ذكرت لك من قبل الجواب الصادق .

إن الزهد الذي تبشر به الصوفية - حين تريد اغتصاب اليتيم والمسكين^(١) - ليس من شعائر الإسلام ، ولا من شرعته في شيء ، مهما حاولت الصوفية توشيته ؛ ل يبدو لضحاياها شعيرة دينية سامية ! .

فمضى الزهد تحقير الشيء ، والتهوين من شأنه في اللغة التي شرفها الله ، فنزل بها كتابه ، وبهذا المعنى وردت في القرآن ، ولم ترد مادتها فيه إلا مرة واحدة . قال تعالى يقص شأن السيارة الذين باعوا يوسف : (١٢ : ٢٠) وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا فيه الزاهدين^{من} (تأمل هذه الكلمات « بخس ، ودرهم ، ومعدودة » ثم تأمل ورود كلمة « الزاهدين » بعدها ؛ لتدرك جيداً حقيقة معناها . فهو إذن - وهذا معناه - مما يمقته الله ورسوله ، ويبرأ منه كل مؤمن بالله . ورحمته وحكمته ؛ إذ معناه تحقير نعم الله ، والتهوين من شأنها الأعظم .

إن في الزهد الذي تزعمونه القضاء على الفرد ، وعلى قوى الجماعة الإسلامية ، فيه صرف للهمم عن الجد والسعى في سبيل الخير للفرد والجماعة . والاستعمار القديم والحديث يعمل لنشر هذه الخرافة في الشرق وحمل أهله على الإيمان بها ؛ ليعيش أهله أذلاء النفس مهزولى القوى ، يرضون باللقمة الساغبة من فئات المستعمرين ؛ عالة على مستعبيهم ، يجرعونهم المسكنة والصغار ! أشباحاً هزيلة ، وظلالاً كابية لِرُكَّامٍ من الجيف !! وقد صدق الشرق في أحقاب من تاريخه خرافة الاستعمار

(١) من أعجب ما ترى . أن يدعو الشيوخ إلى الزهد . وهم يتكالبون على كل شيء خبيث ، يدعون سواهم إلى الزهد ؛ ليكون لهم هم وخدم كل شيء . أفلا يدعون أنفسهم إلى التقوى!؟

الصوفي ، فهو من قمة المجد والقوة والحرية إلى حضيض المهانة والعبودية !
نبشوني ، ماذا يحدث لو اتخذ كل مسلم من الزهد الصوفي شريعة له؟! سيكون
المسلمون - وقد حدث - فريسة هينة سهلة ، اسكل ناب باغية ، ومضغة محتقرة
يمجها كل مشفر ! وهذا هو هدف الاستعمار ، وربيبته الصوفية التعسة ! في
الإسلام الذي أم الله به على عباده النعمة ، وأكمل الدين ، كلمة لو أخذ بها
المسلمون ، لكانوا مع الله وحده قلوباً عابدة ، ومع إخوانهم قلوباً محبة تنزع دائماً
إلى الإيثار والفداء والتضحية : إنها « التقوى » تتقى الله ، فتطيعه طاعة قدسية ،
وتتبع رسوله . تتقى الله ، فلا تغصب مالميس لك . تتقى الله ، فتعمل لنفسك
مايزكيها ، ولغيرك مايسعده ، ويحفظ عليك وعليه الحياة (٨ : ١ فاتقوا الله ،
وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله) ولجلال هذه الشريعة الإيمانية كان
لها من الله هذا الجزاء الأعظم (٦٥ : ٢ ، ٤) ومن يتق الله ، يجعل له مخرجاً ...
ومن يتق الله ، يجعل له من أمره يسراً) .

(٧ : ٣٥ فمن اتقى ، وأصلح ، فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون) .
(٧ : ٩٦ ولو أن أهل القرى آمنوا ، واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من
السماء والأرض) (٣ : ٧٦ بلى من أوفى بعهده ، واتقى ، فإن الله يحب المتقين)
(١٦ : ١٢٨ إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون) .
فلماذا رغبتم عن « التقوى » إلى « الزهد » وهو تراث « الماوية »؟ وقد هولتم
به ، كأنما هو وحده السبيل لهداية الإنسانية الحائرة ؟ ترى هل ترون في القرآن
للزهد ذكراً ، أو أجراً؟! .

أصل الزهد الصوفي

أتدرى عن اقترف الصوفية دعوى الزهد الذي يحقر نعم الله ، ويعمل لتحطيم
كل مقومات الجماعة الإسلامية؟! .

إنهم بَشَرُوا بفتنة غيِّه عن المجوسية المانوية التي آمنت بألوهية الخير والشر ،
وبأن هذين المتقابلين في قِيم الأخلاق امتزجا بربها الأ كبر امتزاجاً تاماً ، وأن
هذا الرب « المانوى ^(١) » الثنائى الطبيعية ، لن يستطيع التخلص من الشر الذى
يقوم ذاته ، أو النجاة منه إلا بفناء العالم ، فوصى « مانى » مُسَيِّمَةً هذا الدين
بالزهد وعدم الزواج ؛ لينحدر مسرعاً إلى هوة العدم . استمدته من « الغنوصية ^(٢) »
التي زعمت أن غاية الإنسانية العظمى هي فى الاتحاد بالرب !! الرب « الغنوصى »
الذى صنعه الهوى ، وأمدته الأساطير بالوجود الأسطورى ! .

(١) نسبة إلى مانى بن فانك متنبىء فارسى ، وقد وصى أتباعه بالزهد المسرف
فى الغلو . وعدم الزواج ؛ ليفنى العالم ، فيستطيع الرب التخلص من طبيعة الشر
الكامنة فيه . وعنه استمد الصوفية ذلك . يقول أبو طالب المكي مفترياً على رسول الله
هذين الحديثين : « إذا كان بعد المائتين ، أبيضت العزبة لأمتى » أى عدم الزواج .
وقال : « لأن يربى أحدكم جرو كلب ، خير من أن يربى ولدا » نفس الدين ،
ونفس الهدف المانوى ! انظر ص ١٥٠ ج ٤ قوت القلوب ط ١٣٤١ ، تجد المانوية
الصرقة ، ويقول الجنيد : « أحب للبتدىء ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، وإلا تغير
حاله ، التكسب وطلب الحديث والتزوج ، وأحب للصوفى ألا يقرأ ولا يكتب ؛ لأنه
أجمع لهمه » إذا كان لا يتكسب وهو شباب ، فمتى ؟ وإذا كان لا يطاب حديث
الرسول ، فماذا ؟ وإذا كان لا يتعلم ، فأى شيء يكون هو ؟ لو أننا نفذنا وصايا الجنيد
لم تبقى للأمة الإسلامية باقية . انظر ص ١٣٥ ج ٣ المصدر السابق .

(٢) معناها الاصطلاحى إدراك الأسرار الربانية بواسطة الكشف ، والذى
أعطاهها هذا المعنى طائفة من المفكرين ، عاشوا فى القرون الأربعة الأولى من ميلاد
المسيح ، ومنهم يهود ومسيحيون ووثنيون . وأهم ما يدينون به هو الثنائية بين المادة
والذات الإلهية ، ومحاولة اجتياز الفاصل بينهما عن طريق سلسلة من الوسطاء ، والمادة
عندهم هي أصل الشر ، والسبب الذى من أجله انحطت طبيعة الإنسان ، ولكن
الإنسان يستطيع عن طريق الخلاص « أى الزهد » أن يعود إلى الذات الإلهية
والأصل الأول . انظر ص ٧ التراث اليونانى للدكتور بدوى .

هذا هو أساس الزهد الصوفي ، وهدفه ، عليه قام ، ويقوم ، وهو كما ترى غير التقوى الإسلامية . غيرها في كل شيء ، غيرها في المعنى والروح والنسب والغاية ، فغاية الزهد الصوفي تدمير الجماعة الإسلامية ^(١) ، وغاية التقوى سُمُوًّا بالفرد ، وسمو الجماعة ، وتَشْيِيدٌ لصروح العدالة والحب والإيثار والإخاء الكامل ، وبالرغم مما تأفك الصوفية من دعاوى الزهد ، فإننا نرى كيانها عدواً خصياً للقناعة ، فتوجههم ضراوة الذئاب إلى الفتك بالحلان الوديمة البريئة ، ويثيرهم الجشعُ إلى سلب ما على فم اليتيم .

وإلا فاهدني إلى جواب ما أسألك عنه . أَيُحَسَبُ قانِعاً من يغصب قوت اليتيم ؛ ليتختم به بطوناً تشكو البطنة ؟! من يهتك عن أيامى المسكنة ، وأرامل الفقر أستارهنَّ ؛ ليجعل منها للأصنام عمائم ضخمة كالدهاية ، منتفخة كبطون السُّحْتِ ، سوداء كحقد المشرك ، حمراء كالجريمة المسفوحة ، خضراء كالعشب السام ، بيضاء كالكفن ؟! من يغصب الفُتَات من الغارمين ، ثم يأكله ناراً من الربا الجائر ؟! من تَحَبُّبٌ في الحرير ، ويدب بنعليه على الطنافس ، ويزعج الهامدين بأبواق سياراته ، وتضج حانات الليل من عربده ^(٢) ، ودرأويشهُ من حوله

(١) يتحدث جولد زيهر عن أثر الزهد الصوفي في تغيير النظر إلى المثل العليا للمسلمين : « تغيير النظر إلى المثل الأعلى للحياة الإسلامية ، فأصبح ينظر إليه من وجهة تخالف تلك التي أقرتها تعاليم المذاهب السنية ، وهكذا أثر الصوفيون على الجماهير الخاضعة لنفوذهم ، قفل إعجاب الناس بتلك السمة العسكرية لأبطال الإسلام - والشهداء الأقدمون ما كانوا إلا من فئة المجاهدين - فانصرفوا عنها ، وولوا وجوههم نحو صور الزهاد الشاحبة وأجسام العباد الهزيلة والرهبان المنقطعين في الصوامع ، بل إن الأبطال الأقدمين في عصور الإسلام الأولى الذين كانوا مثالا يحتذى ، صار لزاماً عليهم أن يحصلوا على صفات البطولة الجديدة ، أي أنهم جردوا من سيوفهم ، وألبسوا أردية الصوف !! » ص ١٥٤ العقيدة والشريعة .

(٢) قال أبو حمزة البغدادي ، مما يرأى ، ويخدع به عن حقيقة التصوف : « علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى ، ويدل بعد العز ، ويخفى بعد الشهرة =

يخبون في المآسي ، ويدبون على الفواجع ، ويقتاتون بالنكبات ، ويتجرعون غصص
الدموع ، ويحتسون دم الجراح؟! ^(١)
أيحسب قناعة هذا النهم المستشري بالحرام ، وذلك التكالب الضاري على
سُحت الأضرحة؟! انظر إلي من حولك من كهانها ، وأرنى فيهم من يمسه الزهد
حتى خطرة ذاهلة في مضغة حترى على شفقتي يتيم محروم ، نالها بعد سغب
يأس!!؟ ذلك هو الزهد الصوفي ، فما ذكركم؟

الذكر الصوفي

في أعياد الوثنية التي يسمونها : موالد ، وفي معابد الأضرحة التي يسمونها :
مساجد ، وفي كهوف الدراويش ، وقد أتمموا بطون الطواغيت بالسحت!!
في تلك الحُمات يقيم الصوفية حانات الرقص ، أو ما يسمونه : الذكر ، فيجلس
الشيخ بين صفيين من دراويش تعشقهم الرذيلة ، ودرويشات نفرت منهن الفضيلة
ثم يصفق بيديه اللامعتين من دسم الحرام إيداناً بيده الذكر ، ثم يُخرج من
شفتيه ومنخرية اسم الله مُجدداً في حروفه وفي النطق به!! وغضون جبينه تهمزُ
الحياء وتلهزُ التقوى ، ومُنشد القوم يطربهم بالغزل الداعر في ليلي وسعاد ، أو
بالدُفوف يدق عليها الشيطان ، وبالنايات تصفر فيها الشهوة ، ثم يهب الشيخ ،

= علامة الصوفي الكاذب أن يستغنى بعد الفقر ، ويعز بعد الدل ، ويشتر بعد
الحفاء « ص ٤ شرح الحكم لابن عجيبة وطبق هذا على السادة الصوفية !!

(١) قال الأستاذ التابعي : « إنني أعرف شيخ طريقة اختار أحد بارات شارع
شريف مقرآ له . ويقصد إليه في البار المذكور أتباعه ومريدوه كلما أرادوا مقابله
في أمر ما ، ويخرج هو إليهم ويمد يده يلثمونها ، ورائحة الخمر تفوح من فمه ، وقطرات
الخمر على يده ، وبقايا « المزة » على صدره وذقنه وأكامه . . . وبلغت الشيخ إلى
أصدقائه الجالسين في البار ويطلق نكتة ما . ويشترك معهم في الضحك من عبط
المريدين والأتباع « صحيفة الأخبار ١١/٢ / ١٩٥٥ .

ويهب معه المريدون ، وَتَمَّتْ يَمِيلُونَ يَمِينَةً وَيَسْرَةَ ، مُتَأَوِّدَةً أَعْطَفُهُمْ تَأَوُّدَ
الراقصات يَلْمَحْنَ فِي أَيْدِي الرُّؤَادِ دِنَانَ الحمرِ وَفَتْنَةَ الذهبِ ، وَمَاهِي إِلَّا لِحْظَةَ ،
حَتَّى تُجَنَّنَ هَذِهِ الأَجْسَادُ بِمَا فِيهَا مِنْ رَغَبَاتٍ مَكْبُوتَةٍ ، مَفْصَحَةٌ عَنْ غَلِيلِهَا المَحْتَرِقِ
بِالتَأَوُّهِ المَحْنَثِ ، وَالتَّمَايَلِ الخَلِيعِ ، وَبِالأَصْوَاتِ المُنْكَرَةِ المَبْجُوحَةِ مِنْ عَوِيلِ الخَطِيئَةِ
وَالاستغاثَةِ بِزَيْنَبَ ، أَوْ نَفِيسَةَ . لا يريدون زَيْنَبَ الطَاهِرَةَ ، وَلا نَفِيسَةَ العَابِدَةَ .
وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ بِهِمَا شَيْئًا آخَرَ !! فَكُلُّهُ يُغْنِي عَلَى أُنْتَاهِ !! وَهَكَذَا يَظْلُونَ فِي
اقتِرَافِ هَذَا الزورِ المُلْحَدِ سَاعَةً ، أَوْ سَاعَتَيْنِ ^(١) ، كُلُّهُ يَرِيدُ أَنْ يَثْبِتَ لِلْعَيُونِ
الرَائِيَةِ فِي لَهْفَةٍ ، وَالزَّغَارِيدِ المَغَازِلَةَ فِي تَوَجُّعِ مَشُوقٍ ، أَنَّهُ حَيَوَانٌ قَوِيٌّ الجَسَدِ !!
وَبَعْدَ هَذَا يَزْعُمُونَ أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ سَاعَاتِ التَّجَلِّيِّ !! وَلَكِنْ مِنْ أُمِّ بَاعَتِ قُوَّتِ
يَتِيمِهَا ، وَزَوْجِ سِتْرِ امْرَأَتِهِ ، وَمَدِينِ يَهْلِكُ الدِّينَ بِقِيَّةِ طَعَامِهِ فِي سَبِيلِ « شَيْشَةَ »
الشَّيْخِ ، وَ« حَشِيشِ » الشَّيْخِ ، وَ« أَفْيُونِ » الدَّرَاوِيْشِ . وَهُمْ يَرْقُصُونَ فِي
حَانَاتِ الذِّكْرِ !!

أَتَرَانِي بِالْفَتَى ؟ أَمْ أَنِي قَصْرَتْ ؟ إِخْلَاكَ تَنْزِعَ إِلَى اتِّهَامِي بِالتَّقْصِيرِ ، فَكُلُّ
ذِي بَصَرٍ تَقَعُ عَيْنَاهُ عَلَى الصُّوفِيَّةِ يَعْزَبُونَ فِي حَانَاتِ ذِكْرِهِمْ ، تَقَعُ عَيْنَاهُ عَلَى
مَشَاعِلِ المَجُوسِ ، تَتَوَهَّجُ كَرَغَبَاتِ الفَاجِرِ !! وَعَلَى الدَّفُوفِ بِأَيْدِي فِتْيَةٍ ، أُسْبَلُوا
شَعُورَهُمْ ، وَقَدْ لَمَسَهُمُ الشَّيْطَانُ بِلَهْيِهِ ، فَرَاخُوا يَتَكَسَّرُونَ عَلَى النِّعَمِ الشَّرُودِ ،
وَيَهْصِرُونَ غَضُونَهُمْ عَلَى النِّظَرَاتِ المَتَوَهِّجَةِ الرِّغَبَاتِ ، وَشَيْخُ الطَّرِيقَةِ سَعِيدٌ ؛
لَأَنَّ شَبَابَكَ فِتْيَتُهُ تَوَقَّعُ فِي حَبَالِهَا المَهَائِمِينَ ، هَذَا يَحْدُثُ ، وَتَرَاهُ ، وَتَرَاهُ ، وَلا نَسْمَعُ
النِّكِيرَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحَدٍ !! كَأَنَّمَا رَذِيلَةُ القَوْمِ فَضِيلَةُ مُقَدَّسَةٍ !!

مَا هَكَذَا ذَكَرَ الرَّسُولُ رَبَّهُ ، وَمَا هَكَذَا ذَكَرَ الصَّحَابَةُ مِنْ بَعْدِهِ رَبَّهُمْ ،

(١) يَظَلُّ الرَّاغِبُ الصُّوفِيُّ يَتَخَلَّعُ سَاعَةً فِي حَانَةِ الذِّكْرِ ، دُونَ أَنْ يَحْسِبَ بِعَمَلٍ
حَتَّى إِذَا وَقَفَ لِلصَّلَاةِ « يَخْبِطُ الصَّلَاةَ الحَمْسَ » فِي خَمْسِ دَقَائِقٍ !! هَذَا لِأَنَّ
الرَّقْصَ الصُّوفِيَّ شَهْوَةٌ وَخَطِيئَةٌ ، أَمَّا الصَّلَاةُ فَطَهْرٌ وَعِبَادَةٌ .

ما ذكروه باسمه المفرد، ولا ذكروه في ميل وتأوُّد . ما ذكروه بقيادة واحد منهم
ينطق بالاسم مصفقا ، وينطقون به وراءه . ما ذكروه ، ولهم منشد يغازل ليلي !!
ما ذكروه وأصواتهم من ضجيجها تفرع الليل ، وتصك جنباته ، ما ذكروه جزاء
مضنة لحم ، أو نفثة « شيشة » !! ما ذكروه بالنايات والطبول والدفوف . ولكنهم
ذكروه ، كما علمهم رسوله ، أما من ذكر الله ذكر الصوفية فهم مشركو الجاهلية
(٨ : ٣٥ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)^(١) . وكفرة اليهودية
والمسيحية !!

ذكر الصوفية بدعة يهودية

جاء في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة : « لِيَتَّبِعْ بنو صهيون بملكهم
أُسَبِّحُوا اسمه برقص ، بدف ، وعود ، لِيُرْتَمُوا . . . هَلَلُوا يا ، سَبِّحُوا الله في
قدسه ، سبحوه برباب وعود ، سبحوه بدف ورقص ، سبحوه بأوتار ومزمار ،
سبحوه بصنوج الهتاف^(٢) » .

وهكذا يذكر الصوفية !! وحسبك أن ترى حانة صوفية يذكرون بها ؛
لتشهد الصلة الوثيقة بين الذكر الصوفي ، والبدعة الجاهلية اليهودية !! ولكن الدباغ
يزعم : « أن الصوفية يهتزون يمينا وشمالا ؛ لأن الأقطاب رأوا الملائكة تفعل ذلك »
ص ٧٢ ج ٢ الإبريز .

الشيخ جاسوس القلب

يوجب الصوفية على الذاكر « أن يستحضر شيخه ، وأن يستمد منه عند
الشروع فيه ، فيقول : مددك يا أستاذي ، وأن يرى أن استمداده منه ، عينُ
استمداده منه صلى الله عليه وسلم ، فإنه الواسطة إليه ، وأن يستأذن شيخه بقلبه ،
فيقول : دستور يا أستاذي ! وأن يستأذن أصحاب الطريق والقدم ، وهم أهل

(١) المكاء : الصفير بالقم ، أو التشبيك بالأصابع والنفخ فيها . والتصدية : التصفيق

(٢) العهد القديم . المزامير ص ٦٤١

السلسلة ، فيقول : دستور يا أصحاب الطريق والقَدَم^(١) « وهكذا توجب الصوفية على « الدرويش » أن يتلطح بهذه الوثنية قبل أن يذكر الله ، وأن يستأذن كل هذه الأصنام ؛ ليتقبل الله ذكره ، ويغمره برضاه ! حُجُبُ صَمَاءِ تمور حولها الدياجير ، وتقصف الأعاصير ، تضعها الصوفية في طريق السالك ، حتى لا يرى شعاعةً من نور !

كيفية الذكر

« أن يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه ، وأن يبدأ بـ « لا » يمينا ، ويرجع بـ « إله » فيتوسط ، ويختم « إلا الله » يساراً قبلة القلب ، فإن ذكر اسما مفردا كالله ، و « هو » ضرب بذقنه على صدره ، وأن يذكر مع جماعة مع رفع الصوت ، وَيَذْتَعِ الكلمة من سُرَّتِهِ إلى قلبه^(٢) « هذه « البهلوانية » المرعناء ، هي صورة الذكر الصوفي . ترى هل كان رسول الله - وهو يذكر ربه - يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه ؟ أو كان يضرب بذقنه صدره ؟ أو كان يميل يمنا ويسرة ؟ لم يفعل شيئا من ذلك ؛ لأنه نبي ؛ ولأنه رجل أَيْ الرُّجُولِيَّة . أمّا رفع الصوت ، فالله يقول (١٧ : ١١٠) ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك سبيلا) وأصل الصلاة الدعاء ، ولكن الصوفية يهذي ربهم يَعْدِلُونَ ! .

صيغ الذكر الصوفي

« من آداب المرید مع شيخه أن يذكر ما لقنه له أستاذه ، فلا يتجاوز به إلى غيره^(٣) » ولهذا تعددت صيغ الذكر الصوفي ، تبعاً لتعدد الطرائق ، وتباين الشيوخ ، فمنهم من يذكر بالاسم المفرد ، ومنهم من يذكر بـ « هو هو » ومنهم

(١) انظر ص ٢٨ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلواني ، ص ٨٦ -

رسالة منحة الأصحاب لأحمد بن عبد الرحمن الشهير بالرطبي .

(٢) المصدر السابق .

(٣) من رسالة الحلواني ص ٣٠ .

من يذكر بـ « أه أه » . وكل طاغوت صوفي محرم على عبْدَتِه أن يذكرها بغير ما أذن لهم فيه ، أو أن يذكرها بما ترقص به الطرق الأخرى ؛ لا اعتقادهم أن بعض أسماء الله قد يضر ذكرها هذا ، وينفع ذلك ، أو تضر في حال ، وتنفع في حال أخرى ، والخير بما ينفع الذاكر ، أو يضره ، إنما هو الشيخ ؛ لهذا لا يستطيع « الدرويش » أن يذكر « لا إله إلا الله » إلا إذا أمره بها شيخه ، ولا ينادى ربه بيالطيف ، وإلا أصابه مسٌ أو خبال ، أو كما بسمونه « لطف » ! .

اسمع إلى القديس الصوفي ابن عطاء الله السكندري يفترى الإثم الأكبر :
« اسمه تعالى « العَفْوُ » يليق بأذكار العوام ؛ لأنه يصلحهم ، وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره ! اسمه تعالى « الباعث » يذكره أهل الغفلة ، ولا يذكره أهل طلب الفناء ، اسمه تعالى « الغافر » يُلقن لعوام التلاميذ ، وهم الخائفون من عقوبة الذنب ، وأما من يصلح للحضرة ، فذكره مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة ، اسمه تعالى « المتين » يضر أرباب الخلوة ، وينفع أهل الاستهزاء بالدين^(١) .

ويستمر ابن عطاء في سرد هذا البهتان حتى يستوفى أكثر أسماء الله . والله تعالى يقول : (١٧ : ١١٠ قل : ادعو الله ، أو ادعو الرحمن ، أيّامًا تدعو ، فله الأسماء الحسنى) ويقول : (٧ : ١٨٠ والله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يُلجِدون في أسمائه ، سَيُجْزَوْنَ ما كانوا يعملون) اسمه الغافر لا يصلح إلا للعوام ! كأنما أولئك الطواغيت معصومون من الذنب ، أو آلهة ! على حين كان يستغفر الرسول ربه في اليوم مائة مرة ! فهل تجرد رحما بين حق القرآن ، وبين باطل الصوفية ؟ !

(١) ص ٢٣ وما بعدها مفتاح الفلاح ط ١٣٣٢ هـ

ذكر رسول الله

ومن عبير السنة المطهرة ، يسطع عليك ما يشق روحك ، فقارن بينه وبين ذلك اليَحْمُومِ الصوفي . قال صلى الله عليه وسلم : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » « متفق عليه » وكان صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة حين يُسَلِّمُ : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، ولا حول ، ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون » « رواه مسلم » وقال : سيد الاستغفار أن تقول : « اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » رواه البخاري .

وفي الصحيحين عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد ؛ أنت نور السموات والأرض ، ومن فيهن ، ولك الحمد ؛ أنت قيّام السموات والأرض ، ومن فيهن ، ولك الحمد ؛ أنت ربّ السموات والأرض ، ومن فيهن ، ولك الحمد ؛ أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي . ما قدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، أنت إلهي ، لا إله إلا أنت ، ولا حول ، ولا قوة إلا بك » .

أرأيت إلى هذا الذكر النبوي الجامع ؟ ! إنها ضراعة النبوة والعبودية الخالصة تفتحت لها أبواب السماء ، ما فيه ذكرٌ باسم مفرد ، ولا ضربٌ صدر

بذقن ، ولا هزة الرأس إلى أخمص القدم ! ما فيه التناوح بالرأس يَمَنَّةً وبِسْرَةٍ ،
ولا نَتَعٌ من سُرَّةٍ إلى قلب . ما فيه منشد ، ولا دف ، ولا شباة . ما فيه دائرة
يقف في مركزها نُصْبٌ يرقص الذاكرين بِتَصَدِيقَتِهِ ! إنما فيه قلب مؤمن ضارع
ملأه حب الله خشية ورهبة وتقوى ، يتوجه إلى خالقه الأَعْظَم ، مالك الملك كله
في إيمان صادق ، وتوحيد خالص ، فصلوات الله وسلامه على محمد عبد الله ورسوله .

عبادة الصوفية

ذلك هو التصوف العملي في شعيرتيه الزهد والذكر ، فما العبادة فيه ؟ أهي
تلك الركعات ، أو السجرات التي لا يقر فيها قلب ، ولا جسد ، ولا تسلم فيها لله
خاطرة واحدة ، ولا يخشع شعور ، ولا يضرع دعاء ؟ فإنما هي لأصنام القبور
سجود وتساييح ، ولجلاميدها الصم عبودية ، تطفح بالخشية منها ، والتقوى لها ،
واللياذ بها ، والذهول المستغرق إلا عنها ! ألا ترى مساجد الله خرابا ، ومعابد
القبور ، تمور بالحشود المحشودة فيها من كل صَوْبٍ وَحَدَبٍ ؟ ألا ترى مساجد
الله التي طهرها الله من أوثان الأضرحة ، خاوية على عروشها ، اما المعابد التي
جثم على صدرها قبرٌ ميت ، وثوت فيها رَمْتُهُ ، أو وَهْمُهُ ، فتضيق - على رحابها
الفِصَاح - بِالْأَمِينِ لها رجاء بركات القبر ، والرَّيَّةُ البالية ، أو الوهم الخرافي المشيد
عليه القبر ، أو العظام المنوعة من حيوانات شتى ؛ لتَنْصَبَ النذور على السَّدَنَةِ ؟ !
ألا ترى تلك المعابد ينفق على فرشها وإضاءتها وتبخيرها الألوْفُ ؟ ! أما مساجد الله
فتترك للغربان تسلح عليها ، وللبوم ينعب فيها ! .

ما عبادة الصوفية ؟ أهي تلك النذور يحفدون بها إلى الجيف ؟ أهي هذا
السجود على عتبات الأصنام دوخها وطء النعال ؟ ! أهي هذا التقبيل الملهوف
العاشق لأحجار الأوثان رجاء سَلَسَبِيلِ رحمة منها ومغفرة ؟ أهي هذا التوسل
إلى الله بعظام نخرة ، وصَفْوَانِ أملس ، وخشب عافه السوس من طول ما طعم منه ؟

أهى هذا الدعاء العريض بالهامدين فى القبور ، ينشدون منهم مدد الحياة ، وروح الخلود ؟ أهى تلك الأوراد ^(١) الشَّرْكَيةَ ينعق بها الصوفية تحت سجوات ليهم المربد ، وشفوف السَّجَر الراقص ، فى هياكل الطواغيت ؟! أهى هذا الخلف بالقبور والهامدين فيها ، وجعل الخلف بالله عرضة للفرار من ذنب ، أو جريرة ؟! ذلك هو الجانب العملى من التصوف فى ذكره وزهده وعبادته ، أتراه يصلح لهداية الإنسانية ، وقيادتها إلى مُثُلها العليا ؟ أم تراه يفتك بها فتك السل الدفين بالصدر الرقيق الحزين ؟! أما جانبه النظرى ، فقد دانوا فيه كما بينت لك بأن العبد عين الرب ، وبأن الشرك عين التوحيد ، ذلك هو التصوف بنوعيه ، إن شئت أن تجعله نوعين ! فهل تراه يودى بالمسلمين إلا إلى التهلكة بعد أن يحيلهم من عباد الرحمن إلى عبادة للطاغوت ؟ من أمة قوية عزيزة كريمة موحدة الغايات والمبادئ إلى أشتات واهنة ، وأشباح هزيلة مستضعفة ، تضرب بها الوثنية فى متاهات الباطل ، ويقضى عليها الوهن والذل والصفاء ، فتصبح المطايا الذال للاستعمار ، وأحلاف الضعة ، والمهانة والاستكانة ؟!

دعاوى الصوفية وأدعيتهم

غَشَّت الصوفيةُ بصائرَ عشاقها بما تَسَحَّر به من فنون الخيال الغزلىِّ ، والشاعرية الحاملة فى الصور البيانية المتأنقة الفتنة ، المكحولة الرّوعة ذلك ماجعل

(١) لكل طريقة ورد خاص بها تفضله على جميع الأوراد الأخرى ، بل تفضله على القرآن ، قال طاغوت التيجانية : « وسألته صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفاتح ، فأخبرنى أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرنى ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع فى الكون ، ومن كل ذكر ، ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة » ص ١٠٣ ج ١ جواهر المعانى لابن حرازم التيجانى طريقة . فتدبر كيف تجاهد الصوفية فى سبيل صرف المسلمين عن كتاب الله !!

بعضهم يجادلنا في شأن الصوفية ، فيأتينا بأدعية ونجاوى صوفية ، فيها وَشْيُ
السحر الشاعر وفتنته ، وبدعاوى فيها روحانية الحق وروعته ، ثم يقول : أو مَنْ
يقولون هذا ، تفترى عليهم أنهم غير مسلمين ؟ !

لهؤلاء الذين خَلَبَهُمْ عَشْقُ الصوفية أقول : ما من كَهَانٍ نَحْلَةُ ضَالَّةٍ ،
أو أبحار دين زائف ، إلا وناجوا معبودهم ، وَدَعَوْهُ بِمَا يُخَيَّلُ إِلَيْكَ مِنْ سِحْرِهِ
أنه ضراعة نبوة في فجر الوحي ، فهل نعدم مسلمين بتلك النجاوى ، وهذه
الأدعية ؟ !

سلامهم قبل الفتنة : لِمَنْ هذه النجاوى ؟ ولمن تضرعون بهذا الدعاء ؟ سلامهم
عن صفات معبودهم ، وأسمائه الحسنى ، وعن شرعته التي كلفهم بها ، وهناك حين
يجيبونكم توقفون أنهم لا يناجون الله ، ولا يدعونه ، وإنما يفعلون ذلك
لآلهة أخرى ابتدعوها ؛ لَتُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ! .

ويذكرنا هؤلاء المسحورون بدعاوى الصوفية ، إذ يفترون : « كلامنا هذا
مُقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ! » وكذلك زعمت كل فرقة نجمت في الجماعة الإسلامية ؛
لتجد لها أنصاراً وأعواناً من الأغرار ، الذين يخدعهم زيف القول الخلو عن رياء
العمل المر ! قالتها الشيعة التي تُوَلِّهُ أُمَّتَهَا ، وقالتها المَعْطَلَّةُ ، وقالتها المَجَسِّمَةُ ،
وتقولها القاديانية والبهائية ! وقد نقلت لك عن النابلسي - وهو صنم صوفي كبير -
دعواه أن وحدة الوجود مستمدة من الكتاب والسنة ! .

إنك لا تستطيع أن تمنع إنساناً من أن يدعى ما يشاء ، ولكن الذي تستطيعه
هو أن تبطل دعواه ، وترنمها بميزان الحق من الكتاب ، وثمت تستطيع أن تحكم
عليه عن بَيِّنَةٍ بِالصِّدْقِ ، أو الكذب فيما ادعاه . وقد ابتليت معتقدات الصوفية
وأربابها وآلهتها ، فهل ترى لها أثارة من نسب إلى شرع ، أو عقل ؟

لقد جحدت الصوفية الحقيقة الأولى ، تلك التي يقررها الشرع ، ويحكم بها
العقل . وهي أن الله سبحانه وتعالى مُغَايِرٌ لخلقه في ذاته وصفاته وأفعاله ، فكيف

نحکم علیها بأنها تؤمن بما يترتب على تلك الحقيقة العليا من حقائق مقدسة ؟ ليس المهم أن تقول ، بل الأهم أن تعمل بما تقول ، فهل يعمل الصوفية بالكتاب والسنة ، كما يناق بعض زعمائهم ؟ ! ومما يجادلنا به عشاقُ السحر الصوفي قول ابن الفارض :

وإن خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى يوماً حكمتُ برِدِّتى
وعلى ما فى هذا البيت من غلو الإسراف فى دعوى التجرد^(١) ، وحقارة الكذب ، فإن هؤلاء ينسون قول ابن الفارض فى نفس القصيدة :

فلا حَيَّ إلا من حياى حياىه وطوع مرادى كل نفس مُريدة
وينسون ما طفحت به تائبته الكبرى من زندقة باغية الجراءة ، تؤكد لك أنه حين يناجى ربًّا ، فإنما يعنى به أتى مستباحة العفة ، أو رمة بالية أو نفسه التى تحقّق بها وجودُ ذلك الرب فى مرتبته العينية ! ويجادلنا هؤلاء بقول رابعة : « ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً فى جنتك ، وإنما عبدتك لذاتك » ، ثم يهتفون لرابعة شهيدة العشق الإلهى ! رابعة التى تزعم أنها تجردت من كل رغبة ، أو رهبة ، أو طمع ، أو خوف ! .

هؤلاء ينسون أن رابعة بهذا السحر الصوفى الفاتن تستشرف عزة الألوهية ! وتفترى لنفسها الشائنة مقاماً يسمو عن مقام الرسل الذين جعل الله من صفاتهم أنهم يدعونهم : رَغَباً وَرَهَباً ، أو خوفاً وطمعاً ، يقول الله عن زكريا وآله : (٢١ : ٩) إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ، ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) ثم

(١) للإرادة الإنسانية مجال فساح من الخير الذاتى ، كإرادة الزواج . وكسب العيش ، وإرادة التمتع الروحى بما أبدع الله من جمال فى جنات الأرض ، وما على من يريد ذلك جناح من الله ذى الرحمة . ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم : « حُبب إلى من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرّة عينى فى الصلاة » وهل الحب إلا إرادة مصممة قاهرة ؟ فهل أشرك محمد ؟ لأنه أراد ذلك ؟

تأمل هذه الآيات التي تنجيك من سحر رابعة: (٧ : ١٥٤) وادعوه خوفاً وطمعاً
إن رحمة الله قريب من المحسنين) وَصَفَّ اللهُ من يدعونه خوفاً وطمعاً بأنهم
محسنون ، والإحسان أسمى مراتب العبادة ، وأكمل مقامات العبودية ،
والعبودية هي غاية الحب ، مع غاية التذلل ، فما الحب الذي تطفح به مشاعرُ
رابعة؟! !

(١٧ ، ١٦ : ٣٢) إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكروا بها ، خَرُّوا سُجَّدًا ، وهم
لا يستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، ومما رزقناهم
ينفقون) أرايت في صور القديسين الناسكين أروع من صور هؤلاء الذين تتجافى
جنوبهم عن المضاجع لذكر الله؟! ! ومن أخص صفاتهم دعاء الله خوفاً وطمعاً!
فما حب رابعة؟! !

من أخص خصائص البشرية أنها ترغب وترهب ، حتى بشرية الأنبياء
والرسل . ترهب وهي أسمى مقاماتها ، ومن أصدق الدلائل على الحب المسيطر القاهر ،
أن يمتلي القلب رغبة في المحبوب ورهبة منه . رغبة في رضاه ، ورهبة من غضبه^(١)
أو جفاه ، فإذا لم تسكن رغبة في نواله ، فقد سئمته ، وإذا لم تسكن رغبة من
عقابه فقد احتقرته ، وكلما تسامى الحب ، قويت الرغبة في نوال المحبوب ، واشتدت
الرغبة من حرمانه . الرغبة والرغبة جناحا الحب اللذان يَحْمَلُكُمَا فوق الذرى ،
فإذا تجردت منهما كان حبك كاذباً ، لا يهبر منك شعوراً ، ولا يُوَجِّهُ إرادة .
ولكن رابعة تزعم أنها تجردت من تلك البشرية الطهور ، بشرية القديسين ،
بشرية أولى العزم من الرسل ! فماذا وراء هذا الزعم ؟ وراء أنها في قمتها العليا

(١) وجزاء رضوان الله في الآخرة الجنة ، وجزاء غضبه فيها النار ، فإذا لم ترغب
في جنته ، فأنت غير راغب في رضاه ، وإذا لم ترهب ناره ، فأنت لا ترهب غضبه ،
وإذا لم ترغب الرضا ، وترهب الغضب ، فأنت دعي حب كذوب .

لاتدنو منها مكانة المصطفين الأخيار من أنبياء الله ، وراهه أنها ليست بشراً ، بل إلهاً ، فالملائكة أنفسهم يرغبون ، ويهربون ! وراهه اتهام صريح لمن نَزَلَ القرآن - وتعالى الله عن إفك رابعة - بأنه أخطأ حين أمرنا أن ندعوه خوفاً وطمعاً ، وَدَاجَى حين رَغَبْنَا في الجنة ، وَخَوَّفْنَا من النار .

دعواها التجرد شعورٌ منها - وما أخبث هذا الشعور وأكذبه - بأنها ساوت من تحب !! ثم مَنْ رابعة هذه ؟ أليست هي التي تقول عن الكعبة : « هذا الصنم المعبود في الأرض ^(١) » ؟

ثم اقرأ هذه الآية : (٦٦ : ١١) وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت : ربِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) هذه القديسة العظيمة التي طيب الله ذكرها ، وخلده في كتابه ، وضربها مثلا للذين آمنوا ، إنها تضرع إلى الله ؛ ليبنى لها بيتاً في الجنة ، أما رابعة التي لاتزن في القيمة خاطرة من امرأة فرعون ، فتستعلى أن تطلب الجنة ! وقرأ النور في قوله سبحانه : (٩ : ١١١) إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل) وَعَدُّ كَرِيمٍ عَظِيمٍ من الكريم القادر ، يشتري به نفس المؤمن وماله ، وما ذلك الوعد ؟ أن تكون له الجنة ، وقد وصف وعده في ختام الآية بقوله تعالى : « وذلك هو الفوز العظيم » ولسكن رابعة في تعاليها الجاحد ، لاتراه فوزاً عظيماً ، فتطلب غيره ! أليس هذا اتهاماً للكريم بالبخل ، أو بأنه لم يحسن الوعد ، ولا شراء نفس المؤمن وماله بالجنة ؟ !

وينتفض هؤلاء إعجاباً بـمعروف الكرخي ^(٢) ، إذ يرؤون عنه أنه بال على

(١) ص ٣٨ وما بعدها كتاب شهيدة العشق الإلهي للدكتور بدوي .

(٢) توفي سنة ٥٢٠ هـ وكان يقول : « إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي »

انظر ص ٩ الرسالة للقشيري مطبعة التقدم ، فتأمل منذ متى كفرت الصوفية ؟ !

شاطيء نهر ، وتيمم ، فقيل : يا أبا محفوظ !! الماء منك قريب !! فقال : « اعلى لأبلغه^(١) » لقد كان رسول الله يطوف على نسائه ، فيغتسل منهن جميعاً بغسل واحد ، فلماذا كان لا يغتسل عقيب كل واحدة ؟ بل ثبت عنه أنه كان أحياناً يبئس جنباً ، غير أنه كان يتوضأ !! أكان معروف أشد خوفاً من رسول الله ؟ والله أرحم مما يظن معروف ، لو أنه سبحانه قبض إليه عبده قبل أن يباغ الماء القريب ليتوضأ . إنه هوس صوفي يغلوفى الحب ، حتى يتجرد من الرغبة والرغبة ، ويغلو في الخوف ، حتى يتيمم والماء منه قيد شبر واحد !! فما ندري أنحب حتى لانحاف ، أم نحاف حتى لانحب ؟! ويبهتون ابن حنبل أنه سأل بشراً الحافى عن الزكاة ، فقال بشر : أما عندكم فالعشر ، وأما عندنا ، فالعبد ، وما ملكت يداه لسيدة !! وتبرق عيون الصوفية بالسرور السكران ، وتميد أعطافهم من نشوة الخمر الصوفى !! هؤلاء ينسون الإثم الكبير في قول الصوفى الحافى : « عندنا أم عندكم » فإنه نزعة من الأسطورة الصوفية التي تزعم : أن الدين شريعة وحقيقة^(٢) ، وأن الأولى دين الظاهرية ، وأن الأخرى دين الباطنية ، وقد سبق الحديث عن ذلك . ويتناسون أنه ينتسب إلى غير أهله حين يزعم أن هذا الحق الذى قاله : « العبد ، وما ملكت يداه لسيدة » هو من دين الصوفية ، أو من شرعة الباطن !

(١) ص ٨٣ طبقات الصوفية لاسلمى ، وقد نسبة أبو ظالب إلى الرسول . نظر ص ٢٩ ج ٣ قوت القلوب ط ١٣٥١ هـ

(٢) يقول الدباغ : « إن الولى يسمع كلام الباطن ، كما يسمع كلام الظاهر » ولهذا قد يعصى الولى الصوفى في نظر الشريعة ، فيكون مطيعاً في نظر الحقيقة . يقول الدباغ : « إن الولى الكبير فيما يظهر للناس يعصى وهو ليس بعاصى وإنما حجبت روحه ذاته . فظهرت في صورتها ، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية » ص ٤٢ ج ٢ الإبريز . وهكذا يطلب منا الصوفية اعتقاد أن معاصيهم طاعات !!

ثم من سيد بشر^(١)؟ لقد عرفتم سيد الصوفية الذي يعبدونه ، فاعرفوا إذن سيد بشر!

ويذكرنا هؤلاء بالأدعية الصوفية التي تتبرج فيها أنوثة البيان الفاتنة ، وتنهل منها دموع الحب ، وتنوح جراحه ، ولكني أذكر هؤلاء بأن البرهمية^(٢) أو البوذية^(٣) ناجت ربها بصلوات من الدعاء ، يغازل الروح شعرها بالروعة الآسرة ، شفافة الترانيم عن نفس دلها العشق ، وقلب تبله الغرام ، كذلك صنعت الزرادشتية^(٤) والمناوية^(٥) ، والفرعونية واليهودية ، والمسيحية والبهائية^(٥) والقاديانية^(٦) ! وأنت

(١) بشر بن الحرث أبو نصر الحافي مات سنة ٢٢٧ هـ

(٢) نسبة إلى « برهما » الكائن الأوحى كما سمي في « الفيدا » كتاب الهند القديم المقدس ، وتؤمن هذه النحلة بثلاثة آلهة « براهان » الرئيس الأعلى ، و « فيشنو » إله الحياة ، والثالث « سيفا » وهو إله التدمير والحراب . وتؤمن هذه الطائفة بقدسية كهنة الدين ؛ لأنهم في نظرهم الذين يملكون لهم الشفاعة عند الآلهة والتأثير عليهم ، وعنها أخذت الصوفية هذا التقديس .

(٣) نسبة إلى « بوذا » متنبئ هندي ولد في القرن السادس قبل الميلاد . وقد تطورت البوذية حتى اعتقدت في بوذا أنه إله تجسد لينقذ البشرية ، بأن تحمل عنها عبء خطاياها !! ويظن بعض الباحثين أنه أسطورة لم توجد ، وبصورة بوذا صورت الصوفية إبراهيم بن آدم .

(٤) نسبة إلى « زرادشت » متنبئ فارسي ولد قبل المسيح ، جاءهم بكتاب اسمه أفستا ، ثم أضيفت إليه شروح فسمى : « زند أفستا » وتؤمن هذه النحلة بالهين أحدهما للخير ، واسمه « أورمزد » وآخر للشر ، واسمه « أهرمن » إلا أن زرادشت يؤمن بانتصار الخير على الشر ، فهو ذو نزعة تفاؤلية ، لا تشاؤمية كما في ديانة ماني .

(٥) نسبة إلى ميرزا حسين علي الملقب بالبهاء ، وخلاصة دينه أن الله سبحانه يظهر في دورات متعاقبة في صور الرسل ، وأنه - أي ميرزا حسين علي - أتم وأكمل صورة للتجسد الإلهي ، وأنه النبع الذي استمد منه الرسل جميعاً من لدن نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

(٦) نسبة إلى ميرزا غلام أحمد القادياني نسبة إلى قاديان توفى سنة ١٩٠٨ م وقد ==

إذ تلو من أدعية هؤلاء - دون أن تكون على بينة من نسبتها إليهم - لن تشك في أنها ضراعات القديسين ، بشرتهم برضاها السماء !! فهل نعدم بهذه الأدعية دعاءً حقاً ، وجنود إسلام ؟ ! لا تسأل الداعي : بماذا تدعو ربك ؟ ولكن سله أولاً : من ربك الذى تدعوه ، وما صفاته ؟ !

وهاك أنماطاً من الأدعية ، فاقراها ، وتدبرها ، وثمت تشعر بقلبك ، وقد غمره اليقين بأنها ضراعة عبودية خالصة تتبتل تحت السحر فى المحارب ، بيد أنك حين تعرف حقيقة مَنْ بَكَ دموع الحب فى تلك الأدعية ، وإلى أى دين هو ينتسب ، سيرود بك العجبُ كل مرادٍ له ، وستأسى على هذا الحلم الجميل الذى نعم به خيالك لحظة ، بل ستشعر ، كأنما تهوى من قمة السماء إلى غور جبٍ سحيق عميق ! غير أن هذا سينجيك من السحر الصوفى الذى يفتتك عن الحق بما يسرك به من سلاف الأدعية ، فتظن بالصوفية فى نشوتك ظن الخير ، وتحسبها مع المسلمين فى فخر ومحراب ! .

فاقرأ معى هذا الدعاء : « اللَّهُمَّ لَتَكُنْ مَشِيئَتِكَ أَنْ أُسِيرَ فِي طَرِيقِ شَرِيعَتِكَ ، وَأَنْ أُرْتَبِطَ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِوَصَايَاكَ ، اللَّهُمَّ احْمِنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَانِ وَإِغْرَاءِ الشَّيْطَانِ ، وَلَا تَجْعَلْنِي لِشَهْوَاتِ سُلْطَانَانَا عَلَيَّ ، وَلَتَكُنْ إِرَادَتِي خَاضِعَةً لَكَ ، أَعِنِّي عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْخَيْرِ . وَاشْمَلْنِي بِرِعَايَتِكَ اللَّهُمَّ آمِينَ ^(١) » أتري فى هذه النجوى أنارة من باطل ؟ أم تجدها سالحة ؛ لتدعو الله بها ، وأنت حول بيته ؟ وتأمل قوله : « اللهم اللهم » وقوله : « لتكن إرادتى خاضعة لإرادتك ^(٢) » .

= ادعى أنه المسيح الموعود ، أو المهدي المنتظر ، وأن الله يوحى إليه ، وقد انشطر أتباعه من بعده شطرين أحدهما الأحمدية ، والأخرى القاديانية ، والأولى أقل غلواً من الأخرى ، وكتاتهما تكفر من لا يؤمن بغلام أحمد على أنه المسيح الموعود !!

(١) ص ٢٤٦ كتاب الفكر اليهودى جمع دكتور هرمس ترجمة ألفريد يلوز

(٢) قارن بهذا قول ابن الفارض « وطوع مرادى كل نفس مريدة » .

ولكن أتدرى لمن هذا الدعاء؟ إنه ليهودى! والله تعالى يقول عن اليهود: (٢: ٦١) وضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ، وِباءوا بغضبٍ من الله، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبيين بغير الحق، ذلك بما عصوا، وكانوا يعتقدون) فهل شفع هذا الدعاء وغيره عند الله لليهود؟ كلا. وإن راحوا يملأون به سمع الوجود؛ لأنهم لا يدعون به الله، وإنما يدعون رباً آخر، اختلقته أوهامهم المادية الصماء، لقد رفعوا أيديهم إلى السماء، وهي مملّخة بدم النبيين، وفي قلوبهم شتى أرباب وآلهة! وأطنى من هذا الشر، اقترفت الصوفية.

وهاك آخر: «إلهى عليك توكلت، فلا أخزى إلى الأبد، عرفنى يارب طرقتك، وسبلك، علمنى، أرشدنى إلى حقك، وعلمنى؛ لأنك أنت هو إلهى ومخلصى، وإياك رجوت اليوم كله، إذا تصوّرتُ كثرة أفعالى الرديئة أنا الشقى، فإنى أرتعد من يوم الدينونة الرهيب^(١)، لكن إذ أنا واثق بتحنن إشفائك، أهتف إليك مثل داود: ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك^(٢)» وهذه النجوى الحنون، ألا تجدها رَفَافَةً تروح الحب الآمل فى رحمة المعبود؟ ألا ترى فيها الهتاف بدعاء: «يا الله».

ولكن أتدرى ما هى؟ إنها صلاة رومية أرثوذكسية! والله تعالى يقول عن هؤلاء، ومن دان دينهم: (٥: ٧٣) لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) فهل شفع، أو يشفع هذا الدعاء، ومثله لهم؟ أترأه ينسخ عنهم حكم الله بأنهم كافرون؟! كلا، وإن تجاوبت بأصدائه جنيات الوجود! فقد آمنوا برب هو ثالث ثلاثة، فلم يناجوا بها «الله» حقاً، وإنما ناجوا بها رباً، يزعمون أنه تجسد فى ثلاثة مظاهر! وكفر الصوفية أشدّ شناعة؛

(١) قازن بهذا زعم ابن عربى أن الوعد فى الآخرة عين الوعيد، وأن النار

عين الجنة!!

(٢) ص ٢٤١، ٢٦٨ كتاب خلاص النفوس فى الصلوات والطقوس

فقد آمنت بربِّ هو عينُ كل شيء! أو كما يقولون في تسيبحتيهم المقدَّستين :
« المظاهر عين الظاهر » يعنون بالمظاهر أنواعَ الخلق ، وبالظاهر الله تعالى وتقدس
والأخرى : « ذات ماترى ، عين مالاترى » يعنون أن ماتراه بعينيك من مظاهر
الوجود هو عين الإله الصوفى ! .

وهالك دعاء آخر : « السلام عليك أيها الإله العظيم ، لقد أتيت إليك
ياسيدى فى سلام ، فكن بى عطوفا ، فأنت صاحب العطف ، واستمع لندائى ،
لَبَّ ما أقوله ، فإنى أنا واحد من عابديك ^(١) » أتُنكر من هذا الدعاء شِرْكا ؟
أو تستنكر منه وثنية ؟ ولكنك إذ تبثلى معتقد صاحبه ، تستخدم عاطفتك مقتآله ،
ولسانك لعنة تنصب عليه ؛ فإنه لوثنية فرعونية عبدت ربَّها فى صورة مجل ،
أو كوكب ! وكذلك الصوفية ! بل إنها مرَّغت تلك الوثنية الفرعونية فى ردغتها
ثم خرجت بها صوفية تعبد كل شيء !

واستمع معى إلى هذا الدعاء : « ربنا إنا نتوجه إليك ، وتضرع بين يديك
ونذكرك بالتلهيل والتكبير ، وثنى عليك بالتسبيح والتقديس . إلهى ! وملاذى ،
وكهف صَوْنى وعَوْنى فى شدائدى و بلائى ، إنى أبسط إليك أ كف الضراعة ،
وأمد إليك أيدى الابتهاال ، ياربى المتعالى ، وياذا الجلال والجمال ، أن تنزل كل
بركتك وموهبتك ، وسابقة رحمتك ، وسابقة نعمتك على أحببتك الذين شملتهم
لحظات أعين رحمانيتك ^(٢) » فهذه النجوى المضمخة بالعبير سكران الرِّوح ، غرامى
النفحات ، أنحس فيها شيئا يرغب عنه إخلاص توحيدك ؟ ولسكن أتدرى لمن هى ؟
إنها للزنديق القزم القمى . عباس بن ميرزا حسين أو « عبد البهاء » يناجى بها ربَّه
أفتجعل منه هذه الصلاة مسلما ناسكا فى الفجر ؟! كلا ، فإنه لا يناجى بها الله ،
وإنما يناجى بها أباه ميرزا حسين على الذى آمن به زنادقة البائية من الشيعة أنه

(١) ص ٣٤١ « مصر » تأليف أدولف إيرمان ترجمة الدكتور عبد المنعم بكر .

(٢) ص ٢٢٠ ، ٢٦٥ مكاتيب عبد البهاء .

أتم وأكمل مظهر تجسدت فيه الذات الإلهية ، فقد زعم لهم ذلك ، فأمنوا بما زعم !
وقد زادت الصوفية هذا الكفر خطيئة ، فعبدت رباً يتجسد بذاته ووجوده
وصفاته وأفعاله في كل شيء !

مقارنة

ثم قارن بين تلك الأدعية التي آمنت ألفاظها ، وكفرت قلوبها ، وبين هذا
الدعاء الصوفي الذي كفر لفظه ومعناه وقلب مفتريه ! « إلهي استهلك كلتي
في كلتيك ، وأمد أوليتي بأوليتك ، حتى أشهد أوليتك في أوليتي ، وآخريتك
في آخريتي ، وظاهريتك في ظاهريتي ، وباطنيتك في باطنيتي ، وقابليتك في
قابليتي ، وأنت في إنيتي ^(١) ، وهويتك في هويتي ^(٢) ، ومعيتك في معيتي ،
حتى أكون عنوان ذلك السر كله بل شكله وصورته ^(٣) » يدعو الله سبحانه ،
وتعالى أن يجعله عينه وجوداً وذاتاً وحقيقة ! ! وَمَنْ يَجْرُؤُ عَلَى هَذِهِ الزَّنْدَقَةِ غَيْرِ
ابن عربي ؟ !

وإليك صلاته على نبيه : « اللهم صل وسلم وبارك على الطلعة الذات
المُطلَّسة ، والغيث المُطمَّط ، لاهوت الجلال ، وناسوت الوصال ^(٤) ، وطلعة
الحق ، هوية إنسان الأزل ^(٥) ، في نشرٍ مَنْ لَمْ يَزَلْ ^(٦) ، من أقمت به نواصيت

(١) أي وجوده الظاهر .

(٢) الهوية باطن الذات الإلهية عند الصوفية ، يطلب من الله أن يجعل وجوده

الباطن والظاهر عين وجوده هو في إنيته وهويته !!

(٣) ص ١٥ مجموعة الأحزاب ط استامبول سنة ١٢٩٨ هـ

(٤) أي الإنسان الذي وصل بين الألوهية والإنسانية في ذاته ، فباطنه لاهوت ،

وظاهره ناسوت .

(٥) أي حقيقة الله ، فأنه عند ابن عربي إنسان قديم !

(٦) أي هو الإله القديم الذي ظهر في صورة إنسان ، وعن هذا الإنسان انتشرت

جميع الأنواع الخلقية ، وعنه ينتشر مالا يزال في مكنون الغيب من أنواع الخلق .

الفرق إلى طريق الحق ، فَصَلَّ اللهم به منه فيه ^(١) ! يقول ابن عربي : اللهم صل على محمد الذي تَجَسَّدَ فيه اللهُ ، اللهم صل على نفسك التي ظهرت ، وتظهر في صور الكائنات . ألا ترى مع الحق أن هذا الدعاء الصوفي يَحْمُومُ الكفر الأثيم ، وخطيئة الوثنية الجاحدة ؟

وما إخالك بعد هذا يَمُنُّ ستخدعه فتنة السراب الخلوب فيما تنفزل به الصوفية من أدعية شعرية أو نثرية ، فإنها إذ تدعو ، أو تصلى ، فإنما تفتري ذلك لرب ليس هو ربك الحق أيها المسلم ، قد يفتنك من الصوفي دعاؤه : « اللهم » غير أن هذا الدعاء يهتف به البوذي واليهودي والبهائي ، وكلُّ يعنى به رب هواه ، وإله أساطيره ! وقد يخدعك من الصوفي قوله : « اللهم صل على محمد » ويقولها أيضاً البهائي ! فمحمد الذي تصلى عليه الصوفية ، ليس هو خاتم النبيين ، وإنما هو ظن ابتدعوه ، وسموه : « محمداً » ؛ ليفتنوك به . محمدم هو إله الآلهة الصوفية في تجسد بشري ، بل إنك لترى الصوفية في كتبهم لا يسمونه إلا : بـ « الحقيقة الحمدية » يعنون بذلك أن الله حقيقة متعينة أو متجسدة في صورة محمد !! (٦ : ١١٦ إن يتبعون إلا الظن ، وإن هم إلا يخرصون) (٤٥ : ٢٢ أفرايت من اتخذ إلهه هواه ^(٢) ، وأضله اللهُ على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون ؟) هذا حكم الله ، فبأيِّ حكم بعده تؤمنون !

ويأفك الصوفية أنهم أحباء الله ، وأحباء رسوله ! يفترون ذلك في صوت ناعم رقيق ، فيزغشُ جسدك سكرُ الصوت المُفعم بأنوثة الرياء ، وخنوثة النفاق فيصرخ « الدرويش » في وَجْهِ مَنْ يذكره بالحق : « أَوْ مَنْ يَقُولُونَ ذَلِكَ

(١) ص ١٤ المصدر السابق .

(٢) العجب أن ابن عربي يقرر أن الهوى إله حق يجب أن يعبد ، ويستشهد بهذه الآية ، ويقرر صحة عبادة الهوى !! انظر ص ١٩٤ فصوص الحكم ط الحلبي ج ١

تفترون عليهم أنهم عدو لله؟! « ولكن لا تنس يا صاح أن اليهودية والنصرانية زعمتا هذا ، فكذبهما الله (٥ : ٢٠) وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله ، وأحباؤه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم؟! بل أنتم بشر ممن خلق) (٤٧ : ٢٨) ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهوا رضوانه ، فأحبط أعمالهم) والدليل على الحب الصادق لله طاعته وتقواه ، ومتابعة رسوله فيما جاء به (٣ : ٣١) قل : إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يُحِبِّبِكُمُ اللهُ .

ولقد ذكرت لك دين الصوفية كما هو في كتبهم المقدسة ، فهل تجد فيه بركة من ظن ، تميل بك إلى توهم أنهم أحباء الله وأوداء رسوله ؟ إنهم دانوا بأخبارهم وكهانهم أرباباً من دون الله ، فكيف تصدق أنهم أحباء الله ورسوله ؟

ودغوى حبههم للرسول وآل بيته دعوى الرجس أنه قداسة ، والإثم الكبير أنه روحانية فضيلة!! وكتلك الفرية افتراء الشيعة أنهم أحباء آل بيت محمد!! أتري الشيعة والصوفية : اتبعوا الرسول ، وجعلوه وحدهم الأسوة والقدوة الحسنة؟! ما تم ما يحتاجون به لدعواهم سوى المكوف على الأضرحة الزنيمة المفتراة لآل البيت ! سوى تلك القباب التي شيدها معبودة على عظام نخرة ، لاتدرى أهي لحيوان أم إنسان ، أم هي أمشاج من عظام شتى ، لاتدرى أهي لصالح أما طالح ، لمسلم أم يهودي ، فقد شيدها الفاطمية في مصر ؛ لتصرف الناس عن حج بيت الله ، ولتجعل قلوب المسلمين نفسها قبوراً خربة ، ثم سميتها بأسماء آل البيت ، وأقامت على سداتها وعبادتها الصرفية ! ما لهم من دليل على حبههم لآل البيت سوى عبادة تلك الأصنام بتقبيل أستارها وأحجارها ولثم نحاسها وخشبها ، وتعطير أجوانها ، والاستشفاع بأعتابها ، واقتراف الأعياد الوثنية في كل موسم لها . وسل الآمين تلك « الموالد » عن عربة الشيطان في باحاتها ، وعن الإثم المهتوك في حاناتها ، وعن حم الشهوات التي تنفجر تحت سود ليلاتها^(١) . وهكذا تكذ الصوفية

(١) يصف الجبرتي ما كان يحدث في مولد الغففي - وكأنما يصف موالد اليوم =

في سبيل أن تجعل دنيا المسلمين كلها مقبرة ، قفراء إلا من الوحشة ، جرداء إلا من
الرهبة والفرع ، خاوية إلا من الخطايا تُقْتَرَفُ باسم الإسلام ! تكذ في سبيل أن
تجعل نفوس المسلمين مقابر ، وغاياتهم المقابر ، وآلهتهم العظام البوالى في المقابر !
وتحث المسلمين ؛ ليجعلوا الحياة كلها قبراً بئناً إلى غيابات العدم ، وجيف المقابر ! فما
ينقضى في مصر أسبوع إلا وتحشد الصوفية أساطير شركها ، وعُباد أوثانها عند
مقبرة يُسَبِّحُونَ بحمد جيفتها ، ويسجدون أدلاء لرمتها ، ويقتفون خطايا المجوسية
في حَمَاتِهَا ، ويحتمسون آثام الحجر و« الحشيش » والأجساد التي طرحها الليل على الإنم
فجوراً ومعصية ! ويسمون الناس : « موالد » أو مواسم عبر وذكريات خوالد !
وما تجتمع جماعة صوفية ، أو تنفض ، إلا ليبحثوا كيف يحتفلون بصنم قبر ،
أو رمة قبر ؟ ! وما يُهَوِّمُ إيل على صوفى ، أو يُفْرِغُهُ بالنور نهار ، إلا وقلبه مستعبد
بهوى صنم قبر ، أو رمة قبر ! وما يقعد صوفى أو يقوم ، أو يركب أو يمشى إلا
وينعق مستغيثاً بصنم قبر ، أو رمة قبر ! قبور قبور ! هذه هى دنيا الصوفية ، لها
جهاد الصوفية ، ولرمها عبادتها ، لها تحيا ، ولها تموت ، وبها تعيش ! وخير ماتمناه
الصوفية ، هو أن يهلك المسلمون جميعاً ، حتى يكون فى كل ساعة « مولد » مقبرة ،
وعيد رمة ! فليقتل المسلمون أنفسهم ؛ ليمدوا الصوفية بأعياد كثيرة للقبور ، ونذور

== « ينصبون خياماً كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوى ، ويجتمع العالم الأكبر من
أخلاق الناس ، وخواصهم وعوامهم ، وفلاحى الأرياف وأرباب الملاهى والملاعب
والغوازى والبغايا والقرادين والحواة ، فيملثون الصحراء والبستان ، فيطئون القبور
ويولون ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول
والزمور ليلاً ونهاراً ، ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء ، ويقندى بهم الأكابر من
الأمرء والتجار والعامه من غير إنكار ، بل يعتقدون أن ذلك قرينة وعبادة ، ولو لم
يكن ذلك ، لأنكره العلماء ، فضلا عن كونهم يفعلونه ، فإله يتولى هدايتنا أجمعين »

ص ٢٢٥ ج ١ تاريخ الجبرتى ط ١٣٢٢ هـ

للجاهل ! ما لهم من دليل على حبهم للرسول وآل بيته سوى تلك « التواشيح »
التي يتغزلون بها في العيون الحوام النعس ، والشفاة الطوامي اللئس ، والأهداب
المسبلات في إغراء على لهب من الورد يتوهج في الخدود النضر ، تلك هي أدلتهم !
ويا لها من أدلة ! حياة كلها خطايا ، وقلوب أربابها رمم معبودة ، ونفوس آلهتها
جيف ، وأفكار كلها للأساطير وحياة ميتة ، ووجود يفزع منه العدم ، ودنيا خمول
خامد تعصف بها الذلة . فأين الكفاح في سبيل بناء الحياة ؟

إن الله سبحانه وصف لنا نفسه في كتابه الحق بصفاته المقدسة ، وسمى نفسه
بأسمائه الحسنى ، فوصفه المسلمون ، وسموه بما وصف ، وسمى به نفسه ، فلم يفتروا له
صفة ، ولم يبتدعوا له اسما ، ولم يختلفوا لصفاته ، ولا لأسمائه معاني غير التي وردت
في اللغة التي نزل الله بها كتابه ، هذا ؛ لكيلا يفتروا عليه ما لم يتكلم به ،
أو يصفوه بما لا يحبه ، أو يسموه بما لا يرضاه ، وشرع سبحانه لنا شرعاً هادياً
كريماً ختم به شرعته ، بلغه رسوله الأمين ، فلم يدخل المسلمون في شرعه سبحانه
ما ليس منه ، ولم يتهموا شرعه بالقصور أو التقصير ؛ لأن ربه الحكيم الخبير
خالق الزمان والمكان ، يعلم ما يصلح لكل زمان ومكان ، وقد أخبرهم سبحانه
أن رسالة محمد ، هي خاتمة الرسالات ، فليس بعده من نبي ولا رسول ، فما جاء به
صالح للحياة ، حتى تقوم الساعة ، وإلا اتهمنا من نزله بأنه غير عليم ولا خبير ولا
حكيم . كذلك لم يتهم المسلمون شرع الله بالجود ، ولا بأنه عقبه كشود تقف في
طريق سُمُوِّ حضارة الإنسانية ، أو تقدمها . أما الصوفية ، فتجحد بما وصف الله ،
أو سمي به نفسه ، وتكفر بوحية ، وتؤمن برب تجزأت ذاته ، فكانت كل شيء
تراه العين ، أو يطيف بالظن ، فلتناجج الصوفية بصلواتها ماشاء ، ولتدو بالدعوات
تحت أقبية الليل في هياكلها العبقة بالبخور الوثني ، فإنما تناجي أصناماً ، وإنما
تضرع إلى رمم ! .

دعوة الصوفية الأخلاقية

يزعم بعض الكتّاب أن الصوفية دعوة أخلاقية مثالية ، ويستشهد لذلك بما يلحج به في كتبهم من دعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، وبما يفتنه من روعة الجمال في البيان الأدبي عن تلك الدعوة ، وعلى ما في هذا الزعم الغافل من غضون سود من الكذب ، وتجاويد كاذبة من الباطل ، فإني أقول : إن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة كَمُّ مشترك بين الأديان جميعها ، سواء منها ما نزل به وحى من الله ، أو ما افترته الأهواء ، وأفكته الأساطير ، فتش في كتب البوذية والبرهية ، والزرادشتية والمناوية والغنوصية وإخوان الصفا ، بل فتش حتى في كتب اليهود الوضعية ، وفي كتب أية نحلة^(١) ضالة ، تجد دعوة تلتهب حماسة إلى التسامى بالخلق ، وإلى تحقيق مثله العليا ، فليست الصوفية - إن صدقنا زعمها - بدعاً في زعمها ، وإنما هي كغيرها من الدعوات الضالة ، شرٌّ ينافق بأنه : برُّ الخير ، ورذيلة ترأى بأنها : روح الفضيلة ، وكفر يَحْتال بأنه : إيمان النبوة ، فليست الدعوة الخلقية هي الفيصل بين دين ودين ، أو دعوة ودعوة - فإنها في كل دعوة ، وفي كل دين - وإنما الفيصل بين الأديان والدعوات ، وكونها حقاً أو باطلاً ، خيراً أو شراً هو العقيدة التي تنبعث عنها هذه الدعوة الخلقية ، أو الباعث الذي يكمن وراء السلوك ، والغاية التي توجهه إلى هدفه ، وترجى منه . وقد ذكرت لك دين الصوفية ، أو عقيدتها ، فهل تجدها حقاً ؟ وهل تعتبر ما تدعو إليه من المثل الأخلاقية خيراً ، وإن كانت رائعة البيان فاتنة الصور ، خيرة المظهر ؟ وهل تعتبر ما ينبعث

(١) فالبهائية مثلاً تزعم أنها تؤمن بكل الكتب السماوية ، كالتوراة والإنجيل والقرآن ، وتسجل هذا في كتبها ، وتزعم أنها تدعو إلى السلام العالمي ، والإخاء البشري العام ، فهل نحكم بأنها نحلة مؤمنة مسلمة ؟ كلا . فإنها تدين برب تجسد في سيدها ميرزا حسين علي . والصوفية شر منها في معتقداتها الباطلة .

عنها من عمل خيراً في ذاته ، كبيرٌ يتيم ، أو جهادٍ في سبيل مثل أعلى يعطف الإعجاب ، ويُلهم الفِدَائِيَّةَ؟ كلا . فالله يقول لنبيه : (٣٩ : ٦٥) لنن أشركتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) وإن كان عمله خيراً نبيلاً في أعراف السُّلُوكِيِّينَ . هذا ؛ لأن الباعث ، أو النية ، أو العقيدة التي ينبعث عنها هذا العمل ، ليست حقاً ولا خيراً ، فكل ما ينتج عنها من ستوك ، فهو مثلباً باطلٍ وشر . أم ترى هذا البطل العربي الذي قاتل مع أصحاب النبي قتالاً ليس كمنه قتال في الصبر والجَلاد والبطولة التي تكافح الموت . لقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه في النار؟! هذا ؛ لأنه قاتل حَمِيَّةَ ، لا في سبيل الله ، أو بمعنى آخر : لم تكن لديه العقيدة الخاصة التي تجعل من هذا القتال خيراً ، أو عملاً صالحاً له عند الله ثوابه . وعقيدة الصوفية إيمان برب يتجسد بذاته في حجر أو جيفة ، فغاية الصوفي من عمله رضوان الإله المتجسد في الحجر أو الجيفة ، وباعته على العمل حب الحجر أو الجيفة ! .

أما عمل المسلم ، ودعوة المسلم الخلقية ، وجهاد المسلم ، فوراء هذا كله عقيدة خالصة ، تُوَحِّدُ الله توحيداً خالصاً في ربوبيته وإلهيته ، ويوجه ذلك كله غاية سامية مُطَهَّرَةٌ ، هي رضوان الله وحده .

يقولون : اقرأوا ما كتب الصوفية من دعوة إلى التسامى والروحانية ، والتأملات الشاعرة في أسرار الكون ، وسرائر النفس والحياة ، والاستسلام المطلق إلى مُبْدِعِ الوجود . وأقول لهم : بل اقرأوا ما كتب الصوفية عن الله ورسله ، وقرأوا ما كتب الصوفية عن معتقدم . ابتلوا العقائد ، قبل ابتلاء الأخلاق ، يا أسارى الصوفية ! ، فما الخلقُ إلا نتيجة . والصوفية نفسها تقرر أنها دين وعقيدة ، قبل أن تكون دعوة خلقية ، فلتحاسب على دينها واعتقادها قبل محاسبتها على دعوتها الأخلاقية ! وما أحكم وأحسن قول الفضيل بن عياض : « إن العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يُقْبَلْ ، وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالصاً

لم يُقْبَل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة ، وهذا هو المذكور في قوله تعالى : (١٨ : ١١٠) فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ، فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً^(١) .

فعلى الذين يعصف بهم الإعجاب بدعوة الصوفية الخلقية ، أن يولوا إعجابهم شِطْرَ كل فرقة حكم الله عليها بالكفر ، ففيها أيضاً الدعوة إلى مثل تلك الأخلاق التي يسحرهم البيان عنها في الصوفية ! ، بل في بعضها أروع مما في الصوفية ، اقرأوا هذه الدعوة : « خَفِ اللهُ إِلَهَ آبَائِكَ ، واخدمه بحب ؛ لأن مخافة الله وحدها هي التي تَرُدُّع الإنسان عن الذنوب ، وَحُبُّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَحِثُّ الْمَرْءَ عَلَى الْخَيْرِ ، دَرْبَ نَفْسِكَ عَلَى الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ ، أَحِبَّ الْحَقِيقَةَ وَالِاسْتِقَامَةَ زِينَةَ النَّفْسِ ، وتعلق بهما ، كن حازماً في المحافظة على كلمتك ، ترفع عن المواربة والتهرب والمراوغة ، أبغض الكسل والخمول . »

دعوة حارة إلى أروع الأخلاق ، وَحَقٌّ يَرِفُ إِيمَانًا وَقَدْسِيَّةً وَسَلْكًا ! ثم اقرأوا هذه : « إِنَّا نَبْغِي مِنَ الْعَالَمِ الْحَقِيقَةَ الْمَجْرَدَةَ ، وَنَجْنِي الْخَيْرَ وَالطَّهْرَ وَالْجَمَالَ » دعوى رِيَانَةَ الْجَمَالِ ، وَلَكِنْ لَيْتَهَا كَانَتْ صَادِقَةً ! وَاقْرَأُوا هَذِهِ : « إِنْ لَمْ تَكُنْ لِنَفْسِكَ ، فَلِمَنْ تَكُونُ ؟ ! وَلَكِنْ إِنْ كُنْتَ لِنَفْسِكَ فَقَطْ ، فَلِمَ تَكُونُ ؟ ! » دعوة إلى الإيثار النبيل والتكافل الرحيم الودود . وَاقْرَأُوا هَذِهِ : « فَكَّرْ مَائِيًّا فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ ، تَنْجِي إِلَى الْأَبَدِ مِنْ سَيْطَرَةِ الذَّنُوبِ ، اعْلَمْ : أَنْ فَوْقَكَ عَيْنًا نَاطِرَةً ، وَأَذْنَا سَامِعَةً ، وَأَنْ جَمِيعَ أَعْمَالِكَ مَسْجُودَةٌ فِي كِتَابٍ »^(٢) قول تظنه إيماناً يتمجد بالصلاة المؤمنة ، قول يوحى بالإيمان بأن الله بكل شيء محيط .

تلك الدعوات الرائعة في تساميتها الغائبي ليس في الصوفية مثلها ، ومع هذا

(١) ص ٧٤ تفسير ابن القيم .

(٢) تلك النصوص عن الفكر اليهودي ترجمة ألفريد يلوز من ص ٢٤ ، ٢٠٠ .

حكم الله سبحانه على أصحاب تلك الدعوات بأنهم عدوه ، وأن عليهم غضبه ولعنته ؛ لأنهم يهود ، والعقيدة اليهودية ضلالة ، وباطل . فكل ما انبعث عنها من عمل ، أو قول ، فهو مثاها ضلال وباطل ، وحابط عند الله ، وإن كان يستهدف المثل العليا في أعراف الأخلاقيين .

فلو أن الدعوة الخلقية كانت وحدها ، هي الميران الذي تَرَنُّ به إيمان الإنسان أو كفره ، لحكمتنا على أولئك اليهود الماعونين بأنهم بررة يَتَّبِعُونَ في المحاريب المقدسة ! لو كانت الدعوة الخلقية وحدها ، هي أساس الحكم على الإنسان بأنه مسلم أو غير مسلم ، لدخل تحت الحكم بالإسلام كل زنديق وملحد وكافر ، فما منهم من أحد إلا ويدعو إلى الأخلاق الفاضلة .

العقيدة الصافية هي ملاك الأمر كله ، وروح الدين كله ، وهي التي تقوم العمل والخلق بالخيرية أو الشرية في نظر الإسلام ، وهي التي لها المقام الأول والاعتبار الأسمى عند الله سبحانه . ثم تمثل ماتقتضيه تلك العقيدة الصافية في حياتنا أخلاقاً وسلوكاً ودعوة ، واتباعاً صحيحاً لهدى الله وحده .

ليس المهم ماتتخلق به ، أو تقوله ، أو تعمله ، بل الأهم قبل كل شيء ، ماتعتقد به . اذكروا مرة أخرى ، بل اذكروها دائماً ، تلك هي الآية التي يقول رب العالمين فيها لمحمد : (٦٥: ٣٩) لئن أشركت ليحبطن عملك) . والمعنى طبعاً ، هو العمل الذي يبدو خيراً في ذاته ، وإلا لما كان للتوعد بحبوطه معنى . ولقد أشرك الصوفية إشراكاً خبيثاً ، وأخبت ما فيه أنه يفتن الناس عن حقيقته ، فيظنون توحيداً صافياً . لقد خدعتك الدعوة الخلقية في الصوفية عن عقيدتها ، فوزنت قولها في الأخلاق بميزانك العاطفي الذي يهتز مع الخديعة ، ويميل ظالماً مع الهوى . ولكن زينها بميزان الحق والعدل من كتاب الله ، زينها بميزان التوحيد الخالص ، وثممت ترى أنها الفتنة الخائنة ، وأن دعوتها الخلقية ليست إلا شيف رياء يحاول ستر عقيدتها للملحدة . اسمعوا ما يقول ابن عربي عن الله :

يا خالق الأشياء في نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه فيك ، فأنت الضيق الواسع
يصف الله بأنه خالق مخلوق . وبأن ذاته هي جميع ذوات أنواع الخلق ، وأنه
ما زال يخلق في نفسه ما لا ينتهي من أنواع الخلق ، فهو ضيق ؛ باعتباره حقاً ؛ أي
مجرداً عن النعوت ، وهو واسع باعتباره خلقاً متنوعاً كثيراً لا ينتهي . وسمع إليه
يقول عن الله : « فذكر - أي الله - أن هويته هي عين الجوارح التي هي عين
العبد ، فالهوية واحدة ، والجوارح مختلفة ، وكل جارحة علم من علوم الأذواق
يخصها من عين واحدة تختلف باختلاف الجوارح » . يصف الله بأنه نفس جوارح
العبيد ، فيد السارق ، ويد القتال ، ويد المرتشي ، ويد المقامر ، ويد المخمور يتناول
بها الإثم . كل هذه الأيدي ، هي أيدي رب ابن عربي . والعين المختلصة والأذن
السارقة ، والقم الملتن من الحرام ، كل أولئك من جوارح رب ابن عربي .
والمعارف الحسية التي نستمدّها من اليد والقدم والعين والسمع واللسان . إنما هي
معارف رب ابن عربي ؛ لأنه عين تلك الجوارح كلها ! ويؤكد هذا بقوله :
« فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد وقواه ، وليس
العبد سوى هذه الأعضاء والقوى ، فهو - أي الله - حق مشهود في خلق متوهم ،
فالخلق معقول ، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود »
أرأيت إلى غلواء الزندقة في دين ابن عربي ؟ ! ، إنه يزعم أن الخلق شيء
معقول ؟ ! أما الله - سبحانه - فشيء محسوس ! ؛ لأنه عين ما ترى عينك ، وتسمع
أذناك ، أما « الخلق » فصفة ، أو وجه من وجوه الحق سبحانه ! ، ويؤكد ذلك
مرة أخرى بقوله : « ثم تممها الجامع للكل محمد صلى الله عليه وسلم ؛ بما أخبر به عن
الحق : بأنه عين السمع والبصر واليد ، والرجل واللسان ، أي : هو عين الحواس »
و بقوله : « تحققتا بالمفهوم وبالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء ، والأشياء محدودة
وإن اختلفت حدودها ، فهو محدود بحد كل محدود ^(١) » ربه عين كل شيء !

(١) هذه النصوص كلها عن فصوص الحكم لابن عربي ص ٨٨ ، ١٠٧ وما بعدها =

ولكل شيء ، حَدٌّ يُعْرَفُ بِهِ ، فكل تعريف هو تعريف لِكُنْه الذات الإلهية ، إذ كل شيء عند ابن عربي هو عين الله !! فليطِرْ فِكْرُكَ عبر الآباد والآفات والآزال ، وَلِيَجُلْ خيالك في شتى الصور، المستحيل منها والممكن ، فكل شيء يراه فِكْرُكَ ، ويلح به خيالك ، هورب ابن عربي . فسكر في المغول ، والصليبيين ، وكل مستعمر سام العرب ، والمسلمين خَسْفًا ، أو هوانًا ، فسكر في الجاهليين يُجْرِّعون صِحَابَ النبي العذاب ، فسكر في الصهيونيين اليوم ، وفيما يكيدون به للإسلام ، فسكر في السفاحين الأوغاد ، فسكر في أولئك جميعًا ، وسل ابن عربي وأخْلَاصَهُ عَنْهُمْ ، وثمت تسمع منهم : إنهم جميعًا الذات الإلهية ! أليسوا أشياء ؟ وابن عربي يقول : إن الله هو عين الأشياء جميعها ! أليسوا خَلْقًا ؟ وابن عربي يقول : إن الله هو عين الخلق ؟ أليست لهم جوارحُ باغية مُلَطَّخَةٌ بِأَدمِ البريء ؟ ! وابن عربي يقول : إن الله هو عين كل يد وقدم ولسان ! والصوفية المعاصرة تعبد ابن عربي ، وتدين بقدسيته ، وأتحداهم أن يبنذوه ، أو يعلنوا على الملأ كفره ومروقه ؟ ! فإن فعلوا ، كان آية على أنهم خرجوا من دينه .

هذه يَحَامِيْمٌ من عقيدة الصوفية ، فهل ينفعها أن تملأ الوجود بعد ذلك بالدعوة إلى الخلق الفاضل ؟ إنها إذ تقول : اتق الله ، فإنما تعني به ربها الذي هو الصخر الأصم والجيفة المنتنة ، تعني ربها الذي هو عين كل شيء ، وإذ تقول : جاهد في سبيل الله ، فإنما تعني به وهما عِبْدَتُهُ رَبًّا يتعين بذاته في كل خَلْقٍ ! اقرأوا

= وقرأ هذا النص : « إن الله لطيف ، فمن لطفته ولطافته أنه في الشيء المسمى كذا المحدود بكذا عين ذلك الشيء ، حتى لا يقال فيه إلا ما يدل عليه اسمه بالتواطؤ والاصطلاح فيقال : هذا سماء وأرض وصخرة وشجر وحيوان وملك ورزق وطعام والعين واحدة من كل شيء وفيه » ص ١٨٨ فصوص ط الحلبي ، يعني أن الله هو عين كل هذه الأشياء وغيرها . فإذا عرفت شيئاً منها بتعريف ، فهذا التعريف صادق على الله بالتواطؤ يعني أنه هو عين تعريف الله نفسه في جنسه وفصله ، فتأمل .

ذلك جيداً ، ثم نبشوني : أما زلتُم أسارى الإعجاب بدعوة الصوفية الخلقية ؟ !
على أن الدعوة الخلقية الصوفية ، هي دعوة إلى الأخلاق السلبية^(١) ، فحسب ،
إذ هي قائمة على الزهد الماتوي ، فهي - على الزعم بأنها خير ، ودون الثغرات إلى
معتقدها - لا تصلح لأمة تريد أن تقود الحياة بقوة الحق والعدل إلى الخير العام ،
وأن تزعم العالم في سلام وأمن . تريد الوثبة الجريئة المقدمة التي تُسخر كل
شيء أذن الله لها فيه في سبيل تحقيق قيمها الرفيعة الموثمة . تريد الحياة دفاقة
التيار ، زخارة المشاعر بالحوية المتدفقة ، المندفعة دائماً إلى الأمام ، جياشة الليل
والنهار بالعمل الدائب المنتج الثمر ، والجهاد في سبيل أن تكون كلمة الله هي
العليا ، إنما تصلح دعوة الصوفية الخلقية - بذلك الاعتبار نفسه - لجماعة تعيش في
الكهوف ، أو المغاور ، أو على قنن الجبال في الحس الهامد ، والشعور الخامد ،
والوجدان الأصم البليد ، وكل إنسان فيها منطو على نفسه . لجماعة تقطعت
أرحامها ، فعاش كل فرد فيها لنفسه ، يسخر ليله ونهاره لنفسه ، دون أن يحول
عينيه وغاياته عن نفسه وحدها ! فهي أخلاق تطفح بالآثرة الضيقة المنكثومة
الخائفة ، والفردية التي ترى الدنيا لها وحدها ، وتعمل ؛ لئلا يكون كل شيء لها
وحدها ! إنها رهبانية تسرى فيها قشعريرة الخوف المذعور من الحياة ، ويرعد
الفرق القلق من المجتمع . رهبانية تعيش في غيابة التحول الأسوان وراء الوجود

(١) يمتاز الإسلام في دعوته الخلقية بأنه يدعو إلى أقوى وأعز الأخلاق الإيجابية
وإلى أقدس الأخلاق السلبية ، فهو لا يطلب منك ألا تفعل الشر فحسب ، بل يأمرك
أن تفعل الخير ، فهو يأمر مثلاً بالجهاد والسعى في سبيل الرزق ، وينهى عن الرهبانية
والسرقة يتجلى لك ذلك في قوله سبحانه : (١١٠ : ٣) كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر) وفي قوله : (٧٧ : ٢٢) واقفوا الخير لعلمكم
تفعلون) وقوله : (٣١٠ : ٢٢) فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور
حذوا ، لله غير مشركين به) بل يتجلى لك ذلك أي جانب الإيجاب وجانب السلب في
عقيدة التوحيد (٤ : ٣٦) واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً) .

الإنسانى ! تَصْلُحُ لجماعة تعيش لعدم الميت ، لا للحياة الشاعرة بذاتها ومَقومَاتِهَا ، تعيش للوحدة السكائية الساهمة المحتضرة ، لا للجماعة التي يعمل فيها كل إنسان لنفسه ، ولمن معه ، وتجعل الإيثار النبيل شعارها ، وابتغاء مرضاة الله فَلَكَ حياتها وغاياتها وبواعثها . فدعوة الصوفية الأخلاقية . فِرَارٌ ذليل من الحياة ، وَبِجِبِنٍ يرتجف من الحياة ، وَتَفَرُّدٌ موحش في تيه الوحدة الذاهلة القائمة ، وَتَقْتُلُ ظُلمة تقوى الإنسانية المكافحة في سبيل تقدم الحياة ، وكفران باغ بما أنعم الله به على الإنسان من قوى ؛ ليعمل باسم الله ما يعمله لنفسه ، والجماعة التي يجب أن يشيد صروحها ساهقات عاليات الدرى .

ويزعمون أن الصوفية جاعدت حتى نشرت الإسلام في بقاع كثيرة ! ، واقد علمت مادين الصوفية ؟! فما نشرها إلا أساطير حقا ، وخرافات بلباء ، وبدعاً باقماً شوهاء ، مانسروا إلا وثنية تؤله الحجر ، وتعبد الرمم ! مانسروا دينهم إلا في حماية الفاصب المستعمر ، وطوع هوى الفاصب المستعمر . فَعَدُوُّ الإسلام ، يوقن تماماً أن البدع ، هي الوسيلة التي تصل إلى الخداف دائماً ، لكي يقضوا بها على الإسلام وأهله ، فَعَلِمَ قديماً ، ويفعلها حديثاً . وقرأوا تاريخكم إن كنتم كَمَثَرُونَ ، أرونى صوفياً واحداً قاتل في سبيل الله ؟! أرونى صوفياً واحداً جالد الاستعمار ، أو كالفخ ، أو دعا إلى ذلك ^(١) ؟! إن كل مَنْ نُسِبَ إليهم

(١) سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ والغزالي الزعيم الصوفى الكبير على قيد الحياة ، فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعوراً واحداً ، ولم يحرق قلمه بشيء ماعنه في كتبه ، لقد عاش الغزالي بعد ذلك ١٣ عاماً إذ مات (سنة ٥٠٥ هـ) فما ذرف دمعة واحدة ، ولا استنفض همه مسلاً ؛ ليندود عن الكعبة الأولى ، بينما سواه من الشعراء يقول :

أحل الكفر بالإسلام ضماً يتناول عليه للدين النجيب
وكم من مسجد ، جعلوه ذراً على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوف وخريق المصاحف فيه طيب

مكافحة المستعمر - وهم قلة - لم يكافوه إلا حين تخلى هو عنهم ، فلم يطعمهم السحت من يديه ، ولم يبيع لهم جَمَعَ الفئات من تحت قدميه ، وإلا حين قهرت فيهم عزّة الوطنية ، ذل الصوفية ، قاتلوا حَمِيَّة ، لالدين^(١) ! . ثم اقرأوا ما كتب الزعيم مصطفى كامل في كتابه : المسألة الشرقية : « ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان ، أن رجلاً فرنسائياً دخل في الإسلام ، وسمى نفسه : سيد أحمد الهادي ، واجتهد في تحصيل الشريعة ، حتى وصل إلى درجة عالية ، وَعُيِّنَ إماماً لمسجد كبير في القيروان ، فلما اقترب الجنود الفرنسية من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها ، وجاءوا بسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد ، يعتقدون فيه ، فدخل « سيد أحمد » الضريح ، ثم خرج مُهَوَّلاً لهم بما سينظم من المصائب ، وقال لهم : بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم ؛ لأن وقوع البلاد صار بحتاً ، فاتبع القوم البسطاء قوله ، ولم يدافعوا عن القيروان أقل دفاع ، بل دخلها الفرنسيون آمنين^(٢) » وحين أغار الفرنجة على المنصورة قبل منتصف القرن

== أهر هذا الصريح الموجه زعامة الغزالي ؛ كلا . إذ كان عاكفا على كتبه يتمرر فيها أن الجمادات تخاطب الأولياء !! ويتحدث عن الصحو والمحو . دون أن يقاتل ، أو يدعو حتى غيره إلى قتال !! وابن عربي وابن الفارض الزعمان الصوفيان الكبار عاشا في عهد الحروب الصليبية ، فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك في قتال . أو دعا إلى قتال ، أو سجل في شعره أو نثره آهة حسمى على الفواجع التي نزلت بالمسلمين لقد كانا يقرران للناس أن الله هو عين كل شيء ، فليدع المسلمون الصليبيين ، فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة في تلك الصور . هذا حال أكبر زعماء الصوفية وموقفهم من أعداء الله !! فهل كافوا غاصباً أو طاغياً ؟

(١) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقا تل حمية ، ويقا تل رياء . أى ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا » رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٢) ص ٢١٢ المسألة الشرقية للزعيم مصطفى كامل « نقلا عن ص ١١ من كتاب التصوف في الإسلام للدكتور عمر فروخ » .

السابع الهجري ، اجتمع زعماء الصوفية ! أتدري لماذا ؟ ! لقراءة رسالة القشيري
وامناقشة في كرامات الأولياء .^(١) ! : « من أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا
المستعمرين ، يندقون على الصوفية الجاه والمال ، فرب مَفْوُض سام ، لم يكن يرضى
أن يستقبل ذوى القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ، ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة
من حلقات الذكر ، ويقضى هنالك زيارة سياسية تستغرق الساعات . أليس
التصوف الذى على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة فى الأمم ؟^(٢) » ثم إن كل
من نسبت إليهم الصوفية أنهم جاهدوا فى سبيل الله ، وعملوا على نشر الإسلام ،
ليسوا صوفيين ، وإنما حشرتهم الصوفية فى زمرتها زوراً وبهتاناً ، وأستاذها فى
ذلك الشيعة^(٣) . لقد سمي الصوفية رسول الله صوفياً ، ومثله الخلفاء ، وَكُلُّ بَطْل
عبرى فذ من المسلمين زعموا أنه صوفى !! هذا ؛ ليخدعوا المسلمين بهؤلاء عن
زعمائهم من طواغيت الصوفية ! وليفتنوا المسلمين بزعمهم أن أولئك القديسين
الأبطال كانوا بعض أئمة الصوفية ! والتاريخ يذكر أن لقب « صوفى » لم يُبتدع
إلا فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، وأن أول من لقب به هو « أبو هاشم
السكرانى » فأرونى صوفياً واحداً كان له فضل خير على الإسلام ؟ ! .

أجيبوا يا من فتنت الصوفية عن الحق عقولكم ! لا تأتونى يا أسارى الصوفية
بأقوالهم فى الأخلاق ، ولكن اثبتونى بعقائدهم ، ثم زنوها بالقرآن ، إن كنتم به
مؤمنين ! لا تقولوا : قال فلان الصوفى : كذا فى الأخلاق ، أو فعل كذا مما هو فى
مظهره حق وخير ، ولكن قولوا قبل كل شيء : إنه يعتقد كذا ، فالصوفية تزعم
أنها الحقيقة فى الإسلام ، وروح عقيدته . والأخلاق ليست إلا بنت العقيدة ،

(١) الطبقات للشعرانى ط صبيح ج ١ ص ١١

(٢) ما بين القوسين من كلام الدكتور فروخ فى كتابه « التصوف فى الإسلام »

(٣) يذكر الشيعة فى كتب طبقاتهم كثيراً من أئمة أهل السنة وينسبون إليهم

أقوالهم أرباباً منها ، كل هذا ليفتنوا المسلمين عن طريق ذكر هؤلاء البررة .

والإسلام قبل كل شيء ، إنما يبتلى العقيدة أو النية ، فإن كانت النية ، أو العقيدة كما يحبها الله ، اعتبر ما يصدر عنها من فعل صائب خيراً ، وجازى عنه بالخير ، وإن لم تكن العقيدة خالصة ، فكل عمل يصدر عنها ، فهو هباء ، وإن كان في مظهره أعظم الخير^(١) . اسمعوا قول الله : (٤ : ٤٨ . إن الله لا يغفر أن يُشركَ به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ثم قوله تعالى : (٩ : ١٠٢ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملاً صالحاً ، وآخر سيئاً ، عسى الله أن يتوب عليهم ، إن الله غفور رحيم) ففي العقيدة لا يقبلها إلا خالصة نقية ، أما في العمل ؟ اقرأوا الآية ؛ لتعرفوا الجواب لقد افترت الصوفية على الله ما لم تفتره زندقة من قبل ، فجعلته هو عين خلقه .

اقرأوا هذا الكفر لابن عربي : « فالحق مُحدودٌ بكل حدٍّ ، وصور العالم لا تنضب ، ولا يحاط بها ، ولا تُعلم حدود كل صورة منها إلا على قدر ما حصل لكل عالم من صورته ، فلذلك يُجهلُ حدُّ الحق ، فإنه لا يُعلمُ حدُّه إلا بعلم حد كل صورة^(٢) » يقول : إنه لا يمكن تعريف الله ، لماذا ؟ لأن الله هو عين كل شيء ، فنحتاج في تعريفه إلى الأخذ بتعريف كل صورة من صور الوجود ؛ إذ هو عينها ، وصور العالم لا تنضب ، ولا تنهاى ، فتعريفه سبحانه ، لا يتناهى تبعاً لذلك ! والصوفية تفتري على نوح أنه لم يحسن أداء رسالته ؛ إذ دعا قومه إلى الشريعة ، ولم يدعهم إلى الحقيقة . دعاهم إلى الظاهر ، لا إلى الباطن ، ثم تحمك الصوفية على قوم نوح المشركين بأنهم أجابوا دعوة الله بالفعل ، وأنهم فهموا الحق الذى ستره عنهم نوح ، فعملوا بالمستور ، فكانوا من المفلحين ، وتحكم بأن نوحاً نفسه أثنى عليهم لعبادتهم الأصنام^(٣) . ثم اقرأ قول ابن عربي في الباب ١٢٩ من الفتوحات المسكية

(١) كما فعل ذلك الصوفي الكبير الإنجليزى المال والعاطفة ، فبنى داراً كبيرة لعلاج الفقراء ، لقد كان « المندوب السامى الإنجليزى » يذهب إليه فى كل عام ليأكل عنده « الفتة » هو ورجال سفارته .

(٢) ص ٧٠ فصوص الحكيم ط الحلبي ج ١

(٣) ص ٧٠ وما بعدها فصوص « انظر الفص النوحى »

لا تراقِبُ ، فيس في الكون إلا واحد العين ، فهو عين الوجود
وَبُسْمَى في حالة ياله وَيَكْنَى في حالة بالعييد
تري ، هل متظنون مصرين على أن الصوفية دعوة إلى الأخلاق المثالية ،
وأنتم تعرفون أن الإصرار على كلمة كفر واحدة تمحو من سجل الإنسان كل كلمة
مؤمنة ، والصوفية مصرّة على كلماتها الكافرة !! .

خلاصة دين الصوفية

ونخص لك دين الصوفية في كلمات قصار . أما في الوجود فيدينون بأن
المطلق منه عين المقيّد ، أو نفس العينيّ المتقوم بخصائصه في هذا ، أو ذلك من
الأشياء ذات السكبان المادي ، أو بمعنى آخر : يرون أن الله هو عين خلقه ، وأما في
الاعتقاد ، فيدينون بأن الكفر والإيمان ، أو الشرك والتوحيد ، اسمان لحقيقة واحدة
أو مترادفان لها مدلول واحد ، وأما في الدين ، فيرون السماوي منه عين الوضعيّ ،
فَمَنْزَلُ الأول ، هو الله ، باعتباره حقيقة مُجَرَّدَة عن النعوت الإيجابية أو السلبية ،
أو الإضافيّة ، وواضح الثاني هو الله - وتعالى جَدُّ رَبَّنَا - باعتباره متجسداً في
صورة بشرية !! وأما في الجزاء الأخروي ، فيلنقى عندهم طرفاه الثواب والعقاب
فالنعيم في الفردوس عين العذاب في جهنم . كلاهما عين الآخر في الحقيقة والأثر !!
وأما في الفكر ، فيدينون بأن الحقيقة عين الخرافة أو الأسطورة ، وبأن الحق
والباطل ، أو الصواب والخطأ يتحدان في الدلالة ، وكلاهما مقياس صحيح لصاحبه ،
وأما في الأخلاق ، فيدينون بأن الخير والشر ، أو الفضيلة والرذيلة سواء في الباعث
والغاية وفي القيمة ، وإن شئت حديثاً أكثر اختصاراً ، فقل : إن خلاصة دين
الصوفية ، وفكرها وخلقها : لاتقابل ، لاتضاد ، لاتناقض ، إذ الكل ذات واحدة ،
هي ذات الله سبحانه . أو كما يقول ابن عربي : « ما في الوجود مثل ، فما في الوجود
ضد ، فإن الوجود حقيقة واحدة ، والشئ لا يصاد نفسه ^(١) »

(١) ص ٩٢ فصوص ج ١ ط الحلبي .

خَافَ الصُّوفِيَّةَ كَسَلَفِهِمْ

قد يقول قائل : مالنا ، ولابن عربي وغيره ، فتلك أمة قد خلت ، ومالها من أثر ! ولكنني أقول لهذا الذي خدعته الصوفية عن سُمِّها ، فسقته إياه بحسبه عسلا مُصَفًى : نحن لانحارب أناسا ، وإنما نحارب تراثا وثنيا ، آمن به سلف الصوفية على أنه الروحانية القدسية في الإسلام ، وعاثوا به فسادا في عقائد المسلمين . والصوفية المعاصرة ، تدين بمادان به سلفها كابن عربي وابن الفارض ، وفي تقديس كيننة الصوفية لذكرهما ، وفي التغني بشعرهما الوثني في نشوة سكرى . في ذلك كله بُرْهَانٌ على أن الصوفية المعاصرة ، امتدادٌ طويل عريض عميق لدين ابن عربي والشعراني ! إنها تتعبد بكل ماخلفت الصوفية السالفة من تراث ، وتقديس ما كتب أحبارها ، وتبشر به على أنه تجليات الروح الإلهي ، وتؤمن به إيمانا عميقا ، يسلب الفكر ، ويختلب البصيرة ، ويهوى بالنفس إلى غَوْرٍ سحيق من الإلحاد ، بل ربما أذنت لك الصوفية في الطعن على كتاب الله ، وتشور وترغى وتزبد إذا مسست كتاب صوفي زنديق بسوء . ولئن أنكرت مرة على طبقات الشعراني مافيه من خطايا ، لرموك بعمى البصيرة .

كل صوفي هو ابن عربي في زندقته ، وابن الفارض في وثنيته ، والشعراني في خباله وخطاياها . تدبر أورادهم اليوم ، وقصائدهم التي يرقصون بها رواد حانات الذكر ! تدبر نعيمهم في كل لحظة بالهامدين ، تجد دليل ما أقول . ألا تسمع منهم :
مدد ي أهل التصريف ؟ مدد يارئيسة الديوان (١) ؟

(١) تأمل الحجاج قبل الحج وبعده ترم يطوفون حول الأضرحة في مصر ، كأنما يريدون طمأنة أوثانهم أنهم على العهد مقيمون !! بل تأمل الأسطورة التي ينتدعها سدنة كل صنم ؛ إذ يزعمون أن من زار هذا الوثن ، أو ذاك سبع مرات ماشيا كتب له ثواب حجة !! زعموا هذا للبدوي في طنطا ، وللدسوقي في دسوق ، ولشبل في الشهداء !!

واستمع إلى أولئك «المخمرين»^(١) بعد حلقات الذكر ، تجدهم يتسابقون إلى القول بأنهم : « يهود نصارى ، مجوس » وال دراويش يصيحون من الفرحة الطروب : « إكفر ، اكفر ، يامرئى !

فرار الصوفية من النقد

زعم الصوفية أن من ينتقدهم . يطرّد من رحمة الله ! يهولون بهذا قيّدا ظنوماً « للدراويش » حتى لا يُحطّموا أغلال الصوفية عن أعناقهم وقالوا : « وهذا الفن من الكسب يجب ستره عن أكثر الخلق : لما فيه من العلو ، فعوره بعيد^(٢) ! باطنية منافقة ، ورينة تود به الصوفية إذا صعقتها صدمة الحق . وقالوا : « إذا رأيت منتقدا على التصوف ، ففر منه فرارك من الأسد ، واهجره^(٣) » ترى هل يفر الصوفية من هذا النقد العادل ؟ ما أرتضى لهم أن يكونوا تحت سيطرة هذا الجبن الرعديد ، ورهن هذا العجز الذليل !!

وقالوا : « طريق الكسب والشهود ، لا تختمل المجادلة والردّ على قائله ، وحزمانه يعود على المنكير^(٤) » كل هذا ؛ ليظل ضحايا الصوفية عمى البصائر ،

(١) هم طائفة من الدراويش يجلسون بعد الذكر ، ثم يتبارون في إنشاد أرجال أو أشعار يزعمون أنها إلهام ساعتهم ، وما زلت أذكر ذلك الرجل الهرم فى قريتي « زواية البقلى » وهو يقول عن الأقطاب :

ساعة يجونا عرب ساعة يجونا اعجام
ساعة يجونا نصارى لابسين زنار
ساعة يجونا سكارى من حدا الخمار

(٢ ، ٣ ، ٤) ص ٨ ، ٣ رسالة الفناء من مجموعة رسائل ابن عربى طبع الهند ، ص ٨ إيقاظ الهم شرح الحكم لابن عجيبة .

والقلوب ، مختوماً على سمعهم ، فلا يسمعون من أحد كلمة حقٍ تجادل باطلاً صوفياً^(١) !!

أما أنا ياسماحة الشيخ ، فسأظل إن شاء الله - ورعايته أستلهمها وعونه أستمده - أثيرها حزباً على الصوفية في تراثها الوثني، ومعتقداتها الفاسدة، وما نبتغى بها سوى الذياد عن الحق ، ورضا الحق ، ولن يروعنا في صيبل الله منكم وعيد . نعم سأظل - وعلى الله توكلت - أحارب باطل الصوفية بالحق من كتاب الله : فإنها محسوبة على الإسلام ، بل يظن الكثير في أقطابها أنهم مشارق ربانية ، وينايع نورانية ، ومثل عليا للروحانية ، فحق على كل مسلم تمزيق هذه الأفتنة التي نسجتها تهاويل الأوهام ، وأفانين الأساطير ؛ لكيلا يُحتجَّ على دين الله بدين الصوفية ؛ وليؤمن المسلمون أن الخير والهدى والسعادة في الاعتصام بكتاب الله وحده ، والافتداء بخاتم النبيين وحده ، فهو أخلص الخلق توحيداً لربه ، وأهداهم إيماناً به ، وأزكاهم طاعة ، وأشدهم تقاةً ، وأعرفهم بما نزله الله عليه ، وهداه ، وهدى المسلمين به .

مزاعم كاذبة

تزعم الصوفية « أن التصوف صفةٌ لله^(٢) » ! وأن « من صدق بهذا العلم ،

(١) كان يحضر مجلس الدباغ رجل لا يعتقد فيه أنه ولي كبير !! فكان إذا حضر سكت الدباغ عن أساطيره الصوفية خشية أن يفضحه الرجل أمام تلاميذه، ثم قال لهم : « إذا حضر هذا الرجل فلا تسألوني عن شيء حتى يقوم » و يروي أحد تلاميذه أنهم كانوا إذا سألوا الدباغ وذلك الرجل حاضر وجدوه - أي الدباغ - كما يقول تلميذه : « كأنه رجل آخر لا نعرفه ولا يعرفنا وكأن العلوم التي تبدر منه لم تكن له على بال » ص ٤٣ ج ٢ الإبريز . أعرفت سر سكوت الصوفية أمامك ؟ إنهم يخشون بطش الحق بهم أمام دراويشهم .

(٢) ص ١٥٨ طبقات الصوفية للسلي .

فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عبّر عنه ،
وتكلم فيه ؛ فهو النجم الذي لا يدرك ، وأن علم التصوف لا يستغنى عنه أحد ، وأن
نسبته إلى العلوم نسبة الكلى لها ، ونسبة الشرط الذي لا بد منه لتحصيلها ،
وأنه لا يوجد تحت أديم السماء أشرف من علم التصوف ، وأنه لن ينقطع ، حتى
ينقطع الدين^(١) « كأنما رسول الله ، وأصحابه كانوا من جهالة العوام !
وأنما ابن عربي والشعراني أعظم مقاماً عند الله من السابقين الأولين !
وأنما العلم الحديث الذي فجر الذرة ، وسخر قواها ، وجعل من الحديد طيراً ،
كأنما هو غير مُجدٍ في تقدم البشرية ! لأنه ليس تصوفاً !

بل هذا معناه : أن اجاء به للمتصوفة أفضل وأعظم مما جاء به خاتم النبيين !
أليسوا يقولون : « إنه لا يوجد تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم ؟ » والرسول
صلى الله عليه وسلم لم يكن صوفياً ، ولا دعا بدعوة التصوف !
فهل في مقدور صوفي أن يثبت صدق تلك الزعم الكواذب ، والظنون
الشواحب البواهت ! كما ثبت بالحق الساطع أنها زيف وبهتان ؟ !

مرحى بالمحاجة

وهنا ينازعني الإشفاق على شيبتك ياسماحة الشيخ ، وعلى نفسك الداوية
من هجير الأسي ، ولَفَح اللوعة المضنية ، بيد أنى أرى من الخير ، أن أصل ما بيني
وبينك بالإلحاف في رجاء صادق ، هو أن تقرأ ، وأن تقرأ ! ولست بطامع في أن
ترد على ما كتبت ! ترى أيخلف الشيخ الكبير ظني^(٢) ؟

(١) ص ٧ ، ٨ كتاب إيقاظ الهمم شرح الحكم لابن عجيبة .

(٢) أعثرني الله على كبير منهم في منزل رجل كريم لا يعرف دين الصوفي الكبير
الذي كان على بينة من عدة لغات وعدة فلسفات ، ويتزعم طائفة كبيرة لها فروعها
المنتشرة في كل مكان ، فما هي إلا لحظات قصار ، حتى قهره الله بالحق من آياته ، مما
اضطره إلى أن يحكم بأن عقيدة السلف هي خير عقيدة . وهذا ديدنهم . فرار جبان ،
وكذب جبان !!

لما يحل خطر منصبك بينك، وبين أن تشكو منا إلى النيابة، فلما أن أياسك عدلها من أن تظلم لك، شكوت إلى كل حكومة سابقة! فهل يحول بينك، وبين أن تدود عن الصوفية غائلة ساحقة ماحقة؟! إني ليخيل إلى أن الشيخ الكريم سيدعوني إلى مناظرة يشهدها الجهم الفقير من أتباعه، فرحى مرحى بها، وإن كانت عند وثن الشعراني! وإذا لم ينزع أحدكم إلى الرد، فسيؤمن الكثيرون أن الصوفية باطل جبان لا يعر بد بسورته إلا حين يغمض الحق عنه عينيه لحظة! .

وأصيحوا إلى قول الله: (٤٠ : ٤١ - ٤٤) ويا قوم : مالي أدعوكم إلى النجاة ، وتدعونني إلى النار ، تدعونني ؛ لأ كفر بالله ، وأشرك به ما ليس لي به علم ، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ، لا جرّم أنما تدعونني إليه ، ليس له دعوة في الدنيا ، ولا في الآخرة ، وأن مردنا إلى الله ، وأن المُسرفين هم أصحاب النار ، فسندّ كرون ما أقول لكم ، وأفوض أمري إلى الله ، إن الله بصير بالعباد) فهلا أفضتم إلى حجي الله ، وعلى إشراق الهدى من كتابه وسنة رسوله ، نسعى في الوجود دعاة إيمانٍ وحق وتوحيد وإخاء وسلام ؟!

دعوة من الحب إلى الضحايا

أما أنت أيتها الضحايا المسكينة التبعة ، وأنت يا قرابين الشهوات من الطواغيت ، فليلهموى الباغى دماؤك المسفوحة ، والأوثان منك الذسك المُلحد . أيتها الحيارى في ظلمات الليل ، وغَيَابَةِ التيه ، انظروا ، وانظروا ، فصوب عيونكم دايع كريم حبيب ، تنأق البشائر على نُحَيَّاه ، يدعوكم بالحب : أن هلموا قبل أن يطويكم التيه ، وتجتاحكم عواصفه ، فبابُ التوبة مفتوح على مصراعيه ، وما على بابه إلا كل من يرحب بكم . ومن سموات الهدى والقُدسِ تسمعون قولَ الرحمن (٣٩ : ٥٣) قل : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ،

لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوبَ جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم (٢٥ : ٧٠ - ٧١) إِلَّا مَنْ تَابَ ، وَآمَنَ ، وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا . فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ، وَمَنْ تَابَ ، وَعَمِلَ صَالِحًا ، فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) واحذروا ، فإن الله يقول : (٤ : ٤٨) إِنْ لَمْ يَشَأْ) فتعالوا إلى الله ، فما يملك ابن عربي ، أو البدوي به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فتعالوا إلى الله ، فما يملك ابن عربي ، أو البدوي أن يقبل لكم متاباً ، أو يغفر لكم ذنبا ، أو يبدل سيئاتكم حسنات ! أو يعفو عن زلة واحدة ! .

أيها التائبون في كهوف الظلمات ! عودوا إلى الحق من هدى الله الحق ، ثم انظروا حوالىكم حين تنكبون إلى الله ، وتعملون بهديه . ألا ترون الإسلام رَفَافَ الألوية في عزة على قمة الوجود الإنساني كله ، وعلى الذرى المسلمات من كل مناحيه ؟ ! ألا ترون هداة يناسم في رَحْمَةٍ شَرْقَةٍ وغربَةٍ ؟ ألا ترون الحياة فياضة الصفاء والبشر والخير ، تنعم بالسلام الوديع الرفيق الآمن ؟ ! ألا ترون القلوب ينابيع ثمرّة للإخاء والحب والإيثار ؟ ألا ترون لكون كله محاريب إيمان ، وحمى حق وعدل ، ومغاني سلام كريم ؟ ! لا تعجبوا إذا رأيتم ذلك كله فإنه وعد الله العلي الكبير القدير : (٢٤ : ٥٥) وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ، كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي ، لَا يَشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) كل هذا يحقّقه الله للمسلمين إذا هم أخلصوا الله وحده دينهم ، ووعدّ الله أن يتخلف ؛ لأنه الكريم القدير ، وقد حقق الله سبحانه وعده لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولأصحاب محمد ، ولكل من سلك بالحق سبيل محمد ، وسيحقّقه لكم إذا اتبعتم سبيله .

دعوة صادقة الحب أيها الحيارى : لا منجاة لكم من آلامكم وأحزانكم ، ومن الخوف الذي يعصف بكم ، والقلق الذي تضطرب به مشاعركم ، لا منجاة

لكم من تلك المموم الساجية إلا إذا لُذتم بحمى الله وحده^(١) ، تؤمنون به ،
وتتدبرون آياته ، وتهتدون بهديه ، وتقننون برسوله وحده (٨ : ٢٤) بأبيها
الذين آمنوا استجيبوا لله ، وللرسول ، إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول
بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تُحشرون .

(١) لاذ الصوفية بفاروق ، وأفاضوا إليه عبداناً يشكرونه على أن منح شيخهم
كسوة ، وبين يدي فاروق ، وقف شيخ الصوفية يخطب عابداً شاكرآ ، فقال عن
الكسوة : « إنها يامولاي رمز لما أعطاك الله من مواهب ، وعنوان لفيض من
فيوضاته سبحانه على قلب فاروق الطاهر تسكشف عن مدى طهر وضعه الله فيك ،
فصفت روحك الطيبة . وإن هذا التكريم للصوفية إنما هو قبس من قلبك النقي
ينير لنا الطريق ، ويهدينا سواء السبيل ، فبك نستضيء ، ومن هديك نسترشد ،
ومن روحك العالية نستمد الإلهام والهدى وإني إذ أتشرف بالوقوف بين يديك
اليوم أقطع على نفسي عهداً وثيقاً أن أكون لجلالتك المخلص الوفي أمداً الله يامولاي
بروح من عنده ، وألبسك حلة من مجده ، وأيدك بجند من جنده ، وأعانك بعونه
وكفلك بعين رعايته » اقرأ الصحف الصادرة بتاريخ ٢٥/٣/١٩٤٧ م . فهل يذكر
الصوفية ؟ ! « بك نستضيء » تقديم الجار والمجرور يفيد قصر استضاءتهم على
فاروق ؟ فهل يذكرون ؟ « من هديك نسترشد » هكذا ؟ بتقديم الجار والمجرور ؟
هذا معناه أن الصوفية لم تكن تهتدى بشيء إلا بهدى فاروق ! !

خاتمة

وإني - وقد ناضلت الصوفية بهدى الله - أعرف أن هذا النضال يثير على
بغى أحقادهم ، ويقف بي على شفا خطر يدهم بفتنة منهم بجوره ، غير أنى أومن
بهذه الحكمة الرائعة المؤمنة : « لأن يكون الناس جميعاً عدواً الى فى الدنيا ، خير
من أن يكون الله وحده خصمى يوم القيامة » وأجعل من هذه الآية الكريمة
مناراً الى (١٢ : ١١٠ حتى إذا استنأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كذبوا ، جاءهم
نصرنا ، فنجى من نشاء ، ولا يررد بأسنا عن القوم المجرمين) هذا وعد الله
لرسله ، ووعداه لأتباع رسله . فليتدبر الصوفية ! وليشكروا الى النيابة ما شاءوا ،
فلن ترى النيابة فيمن يدلها على الجنة جانيا ، ولا فى ردّ العدوان عن كل مقدسات
الدين والفضيلة ، وقيم الفكر جريمة ! والصوفية بغى وفتنة مجنونة الأحقاد ،
غير أنها تختال عذراء طاهرة ألم بها ظن مرتاب ، وملائكية تسلسل الوحي
فى فجر المحراب !

ولن أضع القلم - وحسبى الله - إلا إذا أضمت الصوفية ، وأدميت ، أو إلا
إذا تهدمت أنا ، أو قضيت ! فلن تخشى صولة الحق ، سورة الباطل ، ولكن
كل هذا لن يمسّ قلوبنا بحقد ، ولا نفوسنا بضغينة ، بل إنه ليرفع بأيدينا
- ومن خلفها قلوبنا تحمها - فى ضراعة خاشعة الى الله أن يهب لنا ، وللصوفية
الإيمان الحق ، وأن يهديهم سبحانه سبيل الإسلام .

(٣ : ٨ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ؛
إنك أنت الوهاب) .

عبدالرحمن الوكيل

وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

مراجع الكتاب ومصادره

١٥ خلاص النفوس في الصلوات والطقوس	القرآن الكريم كتب السنة
١٦ مكاتيب عبد البهاء كتب الصوفية	٢ جامع الأصول في أحاديث الرسول
١٧ فصوص الحكم لابن عربي ^(١)	٣ دليل الفالحين شرح رياض الصالحين
١٨ الفتوحات المكية « »	٤ الجامع الصغير للسيوطي كتب تفسير
١٩ مجموعة رسائل ابن عربي طبع الهند	٥ تفسير ابن كثير
٢٠ مواقع النجوم لابن عربي	٦ « ابن القيم
٢١ ذخائر الأعلام « »	٧ « الزمخشري كتب لغة
٢٢ ديوان عمر بن الفارض طبع بيروت	٨ القاموس المحيط
٢٣ شرح الديوان للبوريني والنايلسي	٩ معجم مقاييس اللغة لابن فارس كتب دينية إسلامية وغيرها
٢٤ كشف الوجوه الغر للقاشاني	١٠ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية
٢٥ الإنسان الكامل للجبلي	١١ مجموعة الرسائل الكبرى « »
٢٦ تذكرة الأولياء للعطار	١٢ العَلَمُ الشامخ للمقبلي
٢٧ الطواسين للحلاج	١٣ حاشية الصاوي على الخريدة
٢٨ أخبار الحلاج	١٤ العهد القديم
٢٩ اللُّمَعُ للطوسي	
٣٠ التعرف لمذهب أهل التصوف للـكـلابـاذي	

(١) اعتدنا بأربع نسخ بتحقيق الدكتور عفيفي

(٢) بـشـرـح القاشاني (٣) بـشـرـح جامي (٤) بـشـرـح بالي افندي

- | | | | |
|----|---|----|---|
| ٥٢ | بلغة المرید للبکری | ٣١ | قواعد الصوفیة للشعرانی |
| ٥٣ | مجموعة الأحزاب طبع استامبول | ٣٢ | اليواقیت والجواهر » |
| ٥٤ | رسالة لأحمد عبد المنعم الحلوانی | ٣٣ | الكبریت الأحمر » |
| ٥٥ | منحة الأصحاب للربطی | ٣٤ | لطائف المنن » |
| ٥٦ | اهبات المقتبسة لمحمد عثمان | ٣٥ | مطلع خصوص الکلم للقیصری |
| | کتب مؤلفة عن الصوفیة | ٣٦ | إحیاء علوم الدین للغزالی |
| ٥٧ | ابن الفارض والحب الإلهی للدكتور محمد حلوی | ٣٧ | مشكاة الأنوار » |
| ٥٨ | الصوفیة فی الإسلام لنيكلسون | ٣٨ | قوت القلوب لأبی طائب المکی |
| ٥٩ | فی التصوف الإسلامی » | ٣٩ | جامع الأصول فی الأولیاء للكشغانی |
| ٦٠ | الإنسان الكامل للدكتور بدوی | ٤٠ | إیقاظ الهم بشرح الحكم لابن عجمیة |
| ٦١ | شطحات الصوفیة » » | ٤١ | الفتوحات الإلهیة » » |
| ٦٢ | شريدة العشق الإلهی » » | ٤٢ | جواهر المعانی لعلی بن حرازم |
| ٦٣ | التصوف الإسلامی لزکی مبارك | ٤٣ | رماح حزب الرحیم لعمر بن سعید |
| ٦٤ | التصوف فی الإسلام للدكتور فروخ | ٤٤ | الإبریز للدباغ |
| ٦٥ | مشتهی الخارف الجانی للشنقیطی | ٤٥ | تائیة ابن عامر البصری |
| | کتب التاريخ والتراجم والطبقات | ٤٦ | النفحات الأقدسیة لمحمد بهاء الدین البیطار |
| ٦٦ | وفیات الأعیان لابن خلکان | ٤٧ | القول الفرید لمحمد دمرداشی |
| ٦٧ | نفع الطیب للمقری | ٤٨ | معرفة الحقائق » » |
| ٦٨ | میزان الاعتدال للذهبی | ٤٩ | روض القلوب المستطاب لحسن رضوان |
| ٦٩ | لسان المیزان لابن حجر | ٥٠ | مفتاح الفلاح لابن عطاء الله |
| ٧٠ | طبقات الشافعیة للسبکی | ٥١ | المجموعة الدمرداشیة |
| ٧١ | معائب الآثار للجبرتی | | |

٧٢ حضارة العرب امتتاف لوبون	٨٤ الفلسفة الشرقية لغالاب
٧٣ تاريخ العرب العام لسيدرو	٨٥ الفلسفة في الشرق لبول ماسون
٧٤ » » » لفيليب حتى	٨٦ المدخل لجوتيه
٧٥ مصر لأدولف إرمان	٨٧ عقيدة الشيعة لرونلدسن
٧٦ المصريون المحدثون للمستشرق لين	٨٨ العقيدة والشريعة لجولاد زيهير
٧٧ الحرب الصليبية الأولى لحسن حبشى	٨٩ مذاهب التفسير »
٧٨ فجر الإسلام لأحمد أمين	٩٠ الفكر اليهودى جمع دكتور
٧٩ لواقع الأنوار «الطبقات» للشعرانى	هرمس
٨٠ الرسالة للقشيرى	٩١ التراث اليونانى للدكتور بدوى
٨١ طبقات الصوفية لاسلمى	مراجع عامة
٨٢ الكواكب الدرية للناوى	٩٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة
٨٣ طبقات الشاذلية لالكوهنى	٩٣ السكليات لأبى البقاء
كتب فلسفة	٩٤ التعريفات للجرجانى (١)

(١) ملحوظة : لم نذكر تواريخ طبع هذه الكتب ولا أسماء مؤلفيها كاملة ، إذ ذكرنا ذلك فى متن الكتاب نفسه .

فهرس

مفحة	الموضوع	مفحة	الموضوع
٣	المقدمة	٣٣	سجود الملائكة لابن الفارض
١٤	شكوى ومعدرة	٣٤	إله ابن عربي
١٤	الأمم في شيخ الصوفية	٣٤	تصويبه لعبادة الأصنام
١٥	خدية للصوفية	٣٨، ٣٥	ربوبية كل شيء
١٦	إباحة الأم والأخت في الصوفية	٣٥	الرب إنسان كبير
١٦	التجلى في صور النساء	٣٦	صور العالم هي الله سبحانه
١٧	واجب شيخ الصوفية	٣٧	رب الصوفية وجود وعدم
١٨	لماذا أكتب للشيخ؟	٣٩	تجسد الإله الصوفي في المرأة
١٩	دين الصوفية	٤٠	الإله الصوفي شيء مادي
١٩	زعمهم أن القرآن شرك	٤٢	لماذا عبد ابن عربي المرأة؟
٢٠	« الدين شريعة وحقيقة »	٤٣	فقر الإله الصوفي
٢١	وسيلة المعرفة الصوفية	٤٣	إله الجنى
٢٢	إله ابن الفارض	٤٤	زعمه أنه الرب الأعظم
٢٥	زعمه أنه هو الله	٤٦	رب الصوفية متناقض في ذاته
٢٦	الصحو والمحو عند الصوفية	٤٨	إله الغزالي
٢٩	ابن الفارض هو المعبود الأكبر	٤٨	الغزالي يدين بوحدة الوجود
٣٠	عبادة الأنوثة وسببها	٤٩	تعظيمه للحلاج
٣١	مجون ابن الفارض	٥٠	رأى المستشرقين في الغزالي
٣٢	كل أنى ذات إلهية	٥١	خطر وحدة الوجود على الإسلام
٣٢	العشاق في الذات الإلهية	٥٢	دندنة الغزالي بوحدة الوجود

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٥٤	طعنه على توحيد المسلمين	١٠٤	هتكت العورة دين صوفي
٥٧	أصنام صغيرة	١٠٥	تطور الصوفيين إلى وحوش
٦٥	رأى المستشرقين في التوحيد	١٠٦	جريمة قوم لوط كرامة صوفية
٦٨	صوفي يهتك عرض دابة	١٠٧	رمة تتصرف في الوجود
٧٠	إيمان الصوفية بكتبهم	١٠٨	التنكر للعقل وللشرع
٧٠	زعمهم أنها أسرار ورموز	١٠٩	الولى يعصى ويشرب الخمر
٧٣	أطوار الوجود الصوفية	١١١	صوفي يدبر الأمر
٧٤	الحقيقة المحمدية	١١٢	الكلاب أولياء الصوفية
٧٥	زعمهم أن محمداً هو الله والرد عليهم	١١٤	طعن المستشرقين على المصريين بسبب الصوفية
٨١	محمد يتصرف في أقطار الأرض	١١٧	الصوفية يقولون للشيء كن، فيكون
٨٢	أشرف صفات الرسول	١٢٠	سماع الجمادات والطواف بالملكوت
٨٤	آراء المستشرقين في الحقيقة المحمدية	١٢١	صوفي يضمن الجنة لمن يطعمه
٨٧	أكل شيء من نور محمد؟	١٢٢	الملكوت في بطن صوفي
٨٩	أكان محمد يعرف القرآن قبل نزوله؟	١٢٣	الدسوقي يملك الجنة والنار
٩٣	وحدة الأديان	١٢٤	السرقعة كرامة صوفية
٩٤	نفهم تعذيب الكفار	١٢٤	القطب وأعوانه وحقيقته
٩٥	الحكم بنجاة فرعون	١٢٧	خاتم الأولياء وتفضيله على كل الرسل
٩٦	كل الأديان الباطلة حق	١٢٩	ادعاء كل شيخ أنه الخاتم
٩٦	الحكم بنجاة إبليس	١٣٠	لماذا فضل خاتم الأولياء؟
٩٧	وحدة الأديان عند ابن الفارض	١٣١	الديوان الباطني
٩٩	عبادة الشيوخ وكراماتهم		
١٠١	آراء المستشرقين في التوسل		
١٠٢	صوفي يخطب الجمعة عارياً		